

جامعة العلوم الاسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

تخصص الدراسات اللغوية

التقديم والتأخير في آيات القرآن المتشابهة لفظاً

دراسة لغوية دلالية

Advancement and deferment in quranic analogous verses - semantical lingual study .

إعداد الطالب

سرمد طه حميد

إشراف الدكتور

عودة خليل أبو عودة

قُدِمَتْ هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

تخصص الدراسات اللغوية

الفصل الدراسي الثاني ٢٠١١/٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

الإسراء: ٨٨

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ ﴾

الكهف: ١

(إذا أوردَ الحكيمُ ـ تقدَسَتْ أسماؤه ـ آيةً على لفظةٍ مخصوصةٍ ثم أعادَها في موضعٍ آخر من القرآن، وقد غيّرَ فيها لفظةً عما كانَتْ عليهِ في الأولى فلا بُدَ مِنْ حِكمَةٍ تطلب، وإن أدركتُموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركُوها فليس لأنه لا حكمةَ هناك، بل جهلتم) [1]

١) درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٢٥٠ ـ ٢٥١

الاهداء

إلى هادي الأمة ومن له علينا الفضل والمنة، سيدي رسول ا ﷺ ومـن نرجو أن نكون على خُطاه .

إلى من أمرني بهم الحق تبارك وتعالى إحساناً، وأن أخفض لهما جنَاح الـذل من الرحمة كما ربياني صغيراً، والدي الذي علمني الإخلاص في العمل وأمي التي داوت جراحي ببلسم حنانها.

وإلى زوجتي الغالية أم عمر التي عانت فراقي عنها في أثناء أعـوام الدراسـة فكانت خير معين لي لأكمل مسيرتي وأحسن سند لأنهي ما بدأت .

إلى ولدي العزيزين ثمرتي فؤادي (عمر وثاروين)

إلى إخواني الذين غمروني بالود والمحبة وأزواجهم وأولادهم .

إلى القلوب التي اجتمعت معهم على محبة ا وطاعته وأفترقنا إخوة فيه أسأل ا أن يظلني وإياهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

أهدي لهم ثمرة جهدي

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة :

(التقديم والتأخير في آيات القرآن المتشابهة لفظاً ... دراسة لغوية دلالية)

وأجيزت بتاريخ : ٢٠١٢/٣/١٨

أعضاء لجنة المناقشة :		التوقيع
الدكتور عودة خليل أبو عودة	مشرفاً	....
أستاذ - اللغة والنحو		
جامعة العلوم الاسلامية العالمية		
الدكتور منير تيسير شطناوي	عضواً	....
أستاذ مشارك – اللغة والنحو		
الجامعة الهاشمية		
الدكتور محمود مبارك عبيدات	عضواً	....
أستاذ مساعد – اللغة والنحو		
جامعة العلوم الاسلامية العالمية		

فهرست المحتويات

ملخص الرسالة

تناولت هذه الدراسة ظاهرة التقديم والتأخير في آيات القرآن المتشابهة لفظاً، دراسة لغوية دلالية، وقد جاءت الرسالة في مقدمة أشار الباحث فيها إلى أهمية الموضوع ودوافع الكتابة فيه، وعرض للدراسات السابقة في هذا المجال وأهم ما تميزت به هذه الدراسة عن سابقاتها.

وكان الفصل الأول دراسة نظرية جاءت في مبحثين: أولهما في التقديم والتأخير والثاني في علم المتشابه اللفظي، وجاء الجانب التطبيقي في معالجة وتحليل الآيات المتشابهة لفظاً في الفصول الثلاثة الباقية، وكان الفصل الثاني عن التقديم والتأخير في (الإسناد و التراكيب) أما الفصل الثالث فعالج فيه التقديم والتأخير في متعلقات الفعل (المنصوبات والمجرورات) بينما اختص الفصل الرابع في التقديم والتأخير في (التوابع) .

وقد خلصت الرسالة إلى مجموعة من النتائج منها :

مع كثرة الدراسات البيانية واللغوية في القرآن فسيبقى دائماً معيناً لا ينضب، وقد كشفت هذه الدراسة أن هناك الكثير من الآيات المتشابهة التي لم يكن الباحثون قد أحاطوا بها نتيجة تناولهم في دراساتهم القرآن الكريم بشكل عام وعدم تخصصهم في الجزئيات كالمتشابه اللفظي أو أنهم تناولوا المتشابه اللفظي مع كل الظواهر البلاغية ففاتهم إحصاء وتحليل ما ورد في هذا الكتاب العظيم ، كما أن هذه الدراسة ستتيح لنا التعرف على أسرار التراكيب سواء جاءت على الترتيب أو خالفته فنعرف نظم الكلام كما أنزله ا تبارك وتعالى وهو خالق اللغات وأهلها كلاماً، وكشفت الرسالة من خلال اهتمامها بربط الجانبين النحوي والمعنوي في التحليل عن جوانب جديدة في إعجاز الآيات القرآنية من خلال المقابلة بين هذه الآيات فالدراسة فيها تكون غير متناهية وهناك ظواهر بلاغية أخرى يمكن دراستها ضمن هذا التطبيق لإغناء البحث العلمي والدراسات القرآنية بمادة وافرة من النصوص القرآنية المفتوحة المهيئة للتحليل والتوجيه وفق الأسس العلمية المعمول بها، لخدمة كتاب ا الذي يعلا ولا يعلا عليه .

الباحث

سرمد طه حميد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد   رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعد فإن من فضل ا   علي أن أعانني على تسجيل هذه الرسالة (التقديم والتأخير في آيات القرآن المتشابهة لفظاً، دراسة لغوية دلالية) بجامعة العلوم الاسلامية العالمية قسم الدراسات اللغوية التي تشرفت بالدراسة فيها والتخرج فيها إن شاء ا   .

من الأمور المهمة التي أجمع عليها علماء الإسلام قديماً وحديثاً مسألة أن فهم كتاب ا   وتدبر معانيه ومعرفة تفسيره ووجوه الإعجاز فيه لا يتم إلا حين يبنى على فهم لعلوم العربية قبل كل شيء.

إن التفكير في كتابة هذه الرسالة انطلق في نفسي من رغبة ملحة وحلم كبير بأن أحظى بشرف خدمة كتاب ا   العزيز خالصاً لوجهه الكريم، ولا سيما أنه المعين الذي لا ينضب، لقد احتج به النحويون وانتهل منه البلاغيون وفيه نظر المفسرون وينال الكل منه مبتغاه، ويقول عنه نبينا الكريم ﷺ (إن هذا القرآن مأدبة ا   فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبلُ ا   و النور المبين و الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، و نجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، و لا يعوج فيقوم، و لا تنقضي عجائبه و لا يخلق من كثرة الرد)[1] وصدق سيد قطب حين قال: " إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبِلُ عليه" [2]

واستوقفتني كلمات لسعيد النورسي يصف فيها كتاب ا   تبارك وتعالى فيقول عنها: (إن القرآن أوقع في العالم الانساني تحولاً عظيماً، وأسس ديانة واسعة، وأدام على وجه الزمان ما اشتملَ عليه

---

[1]) المستدرك على الصحيحين للنيسابوري ، ٧٤١/١ رقم الحديث ٢٠٤٠

[2]) معالم في الطريق ، سيد قطب، ط ٦ ، دار الشروق القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ١٥

من العلوم. **فكلما شاب الزمان شب**)[٣] سنَة الحياة أن يؤول كل شيء بعد شباب وتمام إلى شيبة ونقصان حينما يتم إلا القرآن فإنه يشب ويتجدد يوماً بعد يوم .

ولطالما كان موضوع التقديم والتأخير مستحوذاً على اهتمامي خلال أعوام تدريسي لطلبة التوجيهي فكانت الشواهد القرآنية تبهرني لما تحمله من عظيم الدلالات واكتمل حلمي مع اقتراح مشرفي الفاضل الدكتور عودة علي بالكتابة في هذا الموضوع مطبقاً على الآيات المتشابهة لفظاً، وبدأت الرحلة المباركة التي استغرقت أكثر من عام مليء بالخير والبركة .

أمـا المنهج الذي سارت عليه الرسالة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة اللغوية النحوية، فبعد إحصاء وحصر الآيات المتشابهة لفظاً التي اختلفت تقديماً وتأخيراً عمدت الى تحليلها وتفسيرها من خلال كتب المتشابه اللفظي والمفسرين والبلاغيين وأهل اللغة، وكان سير البحث على ترتيب المصحف بعد توزيعه على الأبواب النحوية، وتناول البحث التقديم والتأخير، ليس كما جاء على الأصل بل دراسة المخالف للترتيب ومحاولة كشف دلالاته الجديدة منطلقاً من قاعدة أن التعبير القرآني تعبير مقصود[٤].

إن هذه الدراسة ذاتُ طابعٍ تطبيقي، ولكن كما هو معلوم لا تطبيق من دون أسس نظرية تمهد الطريق لمعالجة التطبيقات، وإرساء مفاهيمها، واستخلاص نتائجها، وحاولت قدر الإمكان أن لا أعيد ما تفضلَ به الباحثون السابقون؛ تحقيقاً لمبدأ إتيان البحث بالجديد في عالم المعرفة إلا مواقع ومباحث وجبت الإشارة فيها إلى جهود السابقين .

بدأت الرسالة بالفصل الأول الذي تضمن مبحثين نظريين أولهما عن التقديم والتأخير، وتناولت فيه هذه الظاهرة بين الدرس النحوي والبلاغي والصلة الوثيقة بين علمي النحو والمعاني، ثم أحوال الجملة العربية، وبعد ذلك عرضت لأثر الإعراب في التقديم والتأخير وجاء المبحث الثاني عن علم المتشابه اللفظي واختلافه عن المتشابه قسيم المحكم وأهمية دراسة علم المتشابه اللفظي وذكرت أهم ما صنفَ في المتشابه اللفظي وفرقت بينه و بين ما صنفَ وكُتب في توجيه آيات المتشابه اللفظي مع إفراد الحديث عن أمهات الكتب في هذا العلم والتي كانت المصدر الرئيسي لهذا البحث، أما الفصل الثاني فبدأت فيه التطبيق مستقصياً مواضع المتشابه اللفظي موزعاً على الأبواب النحوية فبدأت بالمرفوعات المتمثل في الاسناد وجعلته عنواناً للمبحث الأول(التقديم والتأخير في الإسناد)

---

٣) إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز لبديع الزمان سعيد النورسي ترجمة.إحسان قاسم الصالحي ١٩٤ .

٤) التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص ٩ .

وأردفت المبحث بثانٍ عن (التقديم والتأخير في التراكيب) وقد ذكرناه مع الإسناد لأن في التراكيب إسناداً فهو إما جملة اسمية أو فعلية، وجاء الفصل الثالث (التقديم والتأخير في متعلقات الفعل) وهو في مبحثين، أولهما : في المنصوبات والثاني في المجرورات، وكان نصيبهما من الشواهد القرآنية في المتشابه اللفظي هو الأوفر أما الفصل الرابع والأخير فقد كان عن التقديم والتأخير في التوابع في مفردة تقدمت في آية وتأخرت مرة

في أخرى . وختمت البحث بالخاتمة، وسجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

أما تساؤلات البحث التي انطلقت منها للكتابة في هذا الموضوع فتتلخص في الأسئلة التالية:

- هل خُصصتْ دراسة مستقلة لظاهرة التقديم والتأخير في الآيات المتشابهة لفظاً ؟
- هل أحصيت مواضع التقديم والتأخير في هذه الآيات بشكل تام ؟
- هل كانت هناك محاولات لكشف الوجوه الدلالية عن هذه الآيات ؟

انطلاقاً من هذه الافتراضات بدأت قبل كل شيء وبتوجيه من مشرفي المحترم بإحصاء المواضع التي وردت فيها الآيات المتشابهة لفظاً المختلفة تقديماً وتأخيراً ، فتناولت كتب المتشابه اللفظي وكتب البلاغة والتفاسير كلاً على حدة مكتفياً في المرحلة الأولى بإحصاء الآيات وكان كتاب (الآيات المتشابهات) للدكتور عبد ا الطيار[5] خير معين فضلاً عن البرنامج الالكتروني (المصحف الرقمي) الذي أعطى من خلال المعطيات الدقيقة فوائد مهمة في كشف متشابهات جديدة لم يلتفت إليها أحد من قبل و الفضل والمنة، وقد أخذَ مني هذا العمل أكثر من أربعة أشهر واستمر كذلك في أثناء تحضير بطاقات العمل .

إن التخصص في تناول جانب خاص من الظواهر البلاغية الأسلوبية من الأمور الواجبة لتكون الدراسة أكثف والنتائج أدق وأغزر، فالباحث في موضوع ما يتناول المجمل فيفوته الكثير لأن همه هو الإحاطة بمادة دراسته بشكل عام، والحقيقة الواضحة أن هذه الظاهرة قد تناولها الكثير من الباحثين، وواجهتني عقبات في البداية وأنا أعرض هذا الموضوع على بعض الأساتذة والزملاء فلم تكن الفكرة تروق لهم لكثرة من تناولها من قبل، ولا أتردد في ذكر ما وقعت عليه من أغلب تلك الدراسات السابقة لأكشفَ بعد ذلك إن شاء ا تميز هذه الدراسة عن سابقاتها .

---

٥) الطيار، عبد الله بن محمد بن أحمد ، الآيات المتشابهات (التشابه اللفظي للآيات، حكم وأسرار- فوائد وأحكام) ط ١ دار التدمرية السعودية ٢٠٠٩ (كان عماد هذا الكتاب إحصاء الآيات المتشابهة لفظاً بدون توجيه ثم اتيانه بقبسات من علوم القرآن ومعلومات عنه وأسماء السور وتسلسلها حسب التنزيل و والإعجاز العددي لبعض ألفاظ القرآن ووسائل لحفظ القرآن واختبار ذلك الحفظ ...)

أولاً : <u>الدراسات التي تتعلق بالتقديم والتأخير</u>

١- **أسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم في لغة القرآن الكريم**[٦]. كانت هذه المحاولة الأولى المستقلة لأحد المحدثين في هذه الظاهرة وهي دراسة بلاغية جعل للاستفهام أول بابها وأتبعها في الثاني بالحديث عن المسند اليه وآراء العلماء ومذاهبهم في تقديمه وختم الثالث عن ما قدم في القرآن الكريم وبين في الخاتمة تناوله بالدراسة والتحليل لفن من فنون البلاغة وكشف النقاب عن أثره عند القدماء المحدثين وما وضع من قواعده وأحكامه وما أبرز من لطائفه وأسراره .

٢- **التقديم والتأخير في القرآن الكريم** [٧] وجاءت في ثلاث فصول وخاتمة، الفصل الأول ترجمة لعلماء البلاغة المتقدمين، والثاني جاء بما وقع في القرآن الكريم من تقديم المسند والمسند إليه، والثالث في المفعول به أوالظرف أوالحال .. ، وتميز البحث بالطابع البلاغي الخالص.

٣- **الأسرارالبلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة** [٨]، قسمها الباحث على فصول أربعة تدور حول تقسيم علم المعاني من أحوال الاسناد بركنيه الرئيسين وتقديم أحدهما على الآخر وأحوال المتعلقات وتقديمها الأخرى على بعضها البعض وخاص في الخاتمة إلى جملة نتائج من أهمها أن الأسلوب القرآني أجلُ من أن يحكم بقاعدة مطردة.

٤- **التقديم والتأخير في القرآن الكريم** [٩] جرى فيها على المنهج التحويلي الذي أخترعه الغربيون ليربط بين البنى التحتية والبنى السطحية للتراكيب النحوية، ووفق ذلك المنهج يحلل الباحث كل ما يقع عليه من آثار هذه الظاهرة .

٥- **التقديم والتأخير عند اللغويين العرب القدامى مع تطبيق على سور من القرآن الكريم**[١٠]، قدم الباحث للتقديم والتأخير بين البلاغين والنحاة قدامى ومحدثين من خلال آرائهم ورصد الظاهرة معتمداً في ذلك التسلسل التاريخي ووجدته ينتقل في معالجته للموضوع بين مصطلحات البلاغين والنحويين عارضا مفاهيم الإسناد مفصلاً القول فيها والفضلات

---

٦) شيخون، محمود محمد السيد ـ ط/١ ـ مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة -١٩٨٣م .

٧) حميد أحمد عيسى العامري (رسالة ماجستير) جامعة صلاح الدين أربيل- العراق ١٩٩٠ .

٨) خالد بن محمد بن ابراهيم العثيم (رسالة ماجستير) جامعة أم القرى في المملكة العربية لسعودية ١٩٩٨.

٩) عزالدين محمد أمين سليمان الكوردي ، ط/ ١، دار المعرفة ، بيروت ٢٠٠٧ (أجيزت الأطروحة سنة ١٩٩٨ من جامعة الموصل)

١٠) حسن عبد الكريم الشحوذ (رسالة دكتوراه) جامعة تشرين ، سوريا ٢٠٠٢م

والمتعلقات ولم يكتف بهذا بل تجاوزها إلى التقديم والتأخير في التبعيات والتعابير المركبة والأساليب .

٦- **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**[١١]: وكون هذه الدراسة تحليلية تجعل كاتبها يصفها في المقدمة بنوع من أنواع التفسير وبعد أن يتناول في الباب الأول التقديم والتأخير من حيث الأهمية والدوافع وتأثيره في المعاني وختمه للباب بفصل عن حكم ترجمة القرآن الكريم وبيان أثرها على أسلوب التقديم والتأخير ـ الذي يثبت استحالة ترجمته ـ واصفاً إياه بالمبحث الجديد الذي لم يتطرق إليه أحد والمساحة الدراسية التي لم تملأ من الدارسين، فبعد كل هذا يأتي في الباب الثاني الذي يشغل ثلاثة أرباع الرسالة

ليبدأ البحث في سور القرآن وآياته بشكل عام ليكشف عن أسرار التقديم والتأخير .

٧- **أسرار التقديم والتأخير في كلام العليم الخبير**[١٢] اطلعت على هذا البحث بعد أن كنت قد قطعت أشواطاً كبيرة في كتابة رسالتي فوجدته في حوالي الخمسين صفحة مقسماً على مباحث ستة بحسب المعاني النحوية، ويذكر الباحث في مقدمة بحثه أن مجال تطبيقه هو في الآيات المتشابهات، وإن كان قد جاء فيها أحياناً بآيات متشابهات معنى لا لفظاً وأحصى ثمانية وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم. بذل الباحث جهدا تناسب مع بحث مقدم في مؤتمر علمي، ولم تتجاوز قائمة المصادر سبعة وعشرين مصدراً .

وفيما عدا هذه الدراسات جاءت رسائل أخرى في ظاهرة التقديم والتأخير في نماذج شعرية(كشعر الهذليين)[١٣] وفي المثل العربي[١٤] وفي الحديث النبوي الشريف[١٥] وآخرها : ضوابط التقديم والتأخير في الجملة العربية (دراسة تطبيقية) [١٦].

ثانياً : الدراسات التي تعني بعلم توجيه آيات المتشابه اللفظي .

١١) منير محمود المسيري ـ ط/١ـ مكتبة وهبة – القاهرة -٢٠٠٥ م

١٢) ينظر علي أحمد بلال الجيلي بحث مقدم في مؤتمر الإعجاز العلمي في جامعة الزرقاء ٢٠٠٥ .

١٣) ينظر مها علي الشطناوي، ، أسلوب التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة(شعر الهـذليين أنموذجـاً)، رسـالة ماجسـتير، جامعـة اليرموك، الأردن ، ١٩٩٦ .

١٤) ينظر غادة أحمد قاسم البواب، التقديم والأخير في المثل العربي (دراسة نحوية بلاغية) رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الاردن ٢٠٠٦ م .

١٥) ينظر عايدة إبراهيم محمد المعيني، ، التقديم والأخير في الحديث النبوي (دراسة بلاغية في صحيح البخاري) رسالة ماجستير، جامعة الشارقة، الامارات العربية المتحدة ٢٠٠٧

١٦) ينظر: محمد علي محمد الزيوت، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، عمان، الأردن .

أفردت في الفصل الأول عناوين[17] للكتب والمصنفات في المتشابه اللفظي عند القدامى والمحدثين منها المختصة بجمع هذه الآيات فقط ومنها المختصة بجمعها وتوجيهها، وأكتفي بذكر أهم اثنين هنا وهما :

١- **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية** – صالح الشثري[18]

قسم الباحث أطروحته إلى ثلاثة أبواب بعد مقدمة أوضح فيها معنى المتشابه، وجاء الباب الأول بفصوله الخمسة معرفاً بالمصادر الخمسة المشهورة في المتشابه اللفظي[19] أما الباب الثاني فخصصه للاختلافات في حدود الكلمة، وجعل الحديث عن التراكيب في الباب الثالث من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والفصل والوصل .

٢- **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: دراسة نحوية بلاغية** – مشهور موسى المشاهرة[20]

جاءت هذه الأطروحة في ثلاثة فصول بعد تمهيد عرفَ فيه المتشابه اللفظي وأهمية دراسته والقواعد التي تعين على توجيهه، خصص الباحث الفصل الأول للمتشابه اللفظي في الحروف تضميناً وتناوباً وزيادة ونقصاناً، وجعل الفصل الثاني للمفردات تعريفاً وتنكيراً، وإفراداً وجمعاً، وفكاً وإدغاماً..، أما الفصل الثالث فقد خصه بالجمل .

إنني بتتبعي لجهود السابقين أقف وقفة احترام وإجلال لإنجازاتهم الكبيرة وحتى لا أكرر ما بدأوه ولا اقول أكمل؛ لأنهم عرضوا له بشكل جيد جداً وحتى تتحق غاية الرسالة العلمية من إسهامة جديدة في عالم المعرفة فإني أبرزت في رسالتي ما انفردت بها عمن سبقني فجزاهم ا خير الجزاء ، لكن هكذا تطلبت أطر دراساتهم فيمن خصصها في القران كله فلم يستطع الإحاطة بكل جزئياته، ولا أدعي لنفسي ذلك فمن اختار أن يجعل مجال تطبيقاته في كتاب ا فأحسن بإختياره لما سيجده من أنس وحسن وراحة نفس واطمئنان، وسيجد معينا لا ينضب أبداً فهذا باب مفتوح لكل من أخلص في خدمة لغة القرآن الكريم؛ ليجعل كلمة ا هي العليا والتي ستبقى كذلك، ولكنها تحتاج الى من يكون لها فيشمر لها كل واحد في مجال عمله، وفي هذا فليتنافس المتنافسون وليعمل العاملون .

تأتي هذه الرسالة لتتخصص في جزء من كتاب ا تبارك وتعالى ألا وهي الآيات المتشابهة لفظاً متناولاً الاختلاف بينها من حيث التقديم والتأخير الذي يعتبر من أهم الأساليب البلاغية في

---

١٧) ينظر هذا البحث الفصل الأول المبحث الثاني ص ٤٧ - ٥٢

١٨) رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى (المملكة العربية السعودية) كلية اللغة العربية ، تخصص البلاغة ٢٠٠٠ م .

١٩) درة التنزيل للإسكافي، والبرهان للكرماني، وملاك التأويل للغرناطي، وكشف المعاني لابن جماعة، وفتح الرحمن للأنصاري .

٢٠) رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الأردنية ، دراسة نحوية بلاغية ، كلية الدراسات العليا ، اللغة العربية وآدابها ٢٠٠٤ م .

أحوال الجملة العربية و خواص الاستعمال القرآني للتراكيب وهنا يتبين لنا سر التخصص الذي هو طريق النجاح حيث إن معظم الدراسات السابقة كان مجال تطبيقها هو كل القرآن الكريم فتناولوا الظاهرة بشكل عام وتجدهم يلتفتون أحياناً إلى الآيات المتشابهات في ما تيسر لهم فنجد السيد محمود محمد السيد شيخون في أسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم في الباب الثالث في فصله الثالث يضع عنواناً (ما قدم في آية وأخر في أخرى) ولا يطلق عليها لفظ المتشابه اللفظي حتى ويعد فقط **ثمانية** مواضع في كتاب ا ، ويأتي المسيري في دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم ليعالج وهو يمسح القرآن حوالي **العشرين** موضعاً ، أمـا أكثرهم إحصاء تقريباً فقد كان الدكتور الجيلي في (التقديم والتأخير في كلام العليم الخبير) حيث قدم **ثمان وثلاثين** موضعاً ثم الدكتور عز الدين الكردي في (التقديم والتأخير في القرآن الكريم) حيث قدم **لاثنين وثلاثين** موضعاً وكذا العامري فكان هؤلاء الباحثون جزاهم ا خيراً وهم يتناولون الموضوع لا يحيطون بالمتشابه اللفظي بشكل جيد كونه جزءاً من دراستهم وليس كلاً، ومن جهة أخرى نجد الذين تناولوا في دراساتهم المتشابه اللفظي كالباحث صالح الشثري في (المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية) يتناول في الباب الثالث الاختلاف في الآيات المتشابهات فيجعل للتقديم والتأخير فصلاً بجانب الحذف والذكر والفصل والوصل والتعريف والتنكير، فيحصي حوالي **الخمسة والعشرين** موضعاً ويوجهها من كتب المتشابه والتفاسير. وكذا مشهور موسى مشاهرة في (المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية) يتناول التقديم والتأخير في فصله الثالث المتشابه اللفظي في الجمل، ويوجه **أربعة** مواضع فقط نحوياً وبلاغياً وغيرهم كثير سأعرض لهم إن شاء الله في الفصل الأول، ولعل اقتصارهم على معالجة (بعض) المواضع لا يعتبر من المآخذ عليهم؛ لأنَّ بحوثهم لم تكنْ مختصة بتناول ظاهرة بلاغية أسلوبية واحدة بل تناولوا تلك الظواهر بشكل عام فلم يستطيعوا الاحاطة بجميع الأمثلة والإسهاب في توجيهها .

ومن أبرز الدوافع والأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع :

١- إن انتخابي لأسلوب التقديم والتأخير من أساليب علم المعاني لجعله وسيلة رصد للاختلاف الحاصل بين الآيات المتشابهة لفظاً في ضوء السياق القرآني له ما يعزوه فهذه الظاهرة الأسلوبية تؤدي غرضاً جوهرياً يتعلق بمعاني الجمل فالعدول عن الأصل بشكل عام ومن حيث التقديم والتأخير بشكل خاص يعد تفسيراً عظيماً لجمالية النص القرآني والكشف عن مواطن الإعجاز فيه .

٢- وجوب تناول كل ظاهرة بلاغية وأسلوبية على حدة في الآيات المتشابهة لفظاً وكانت هذه مدونة في توصيات أغلب الرسائل بل وفي صلبها فيذكر الدكتور عز الدين الكردي وهو يعالج التقديم والتأخير في آيتين متشابهتين (ما وقع في هذين الأسلوبين المتشابهين من التكرار كثير في القرآن الكريم، محتاج إلى دراسة تفرده بالبحث والتحليل الذي يكشف عن المذاقات الخاصة التي أعطتها التحويرات الخفيفة في مواضعها القرآنية تبعاً لاختلاف السياقات)[٢١].

٣- كان أملي أن أخدم كتاب ا ببحث موسع يكون خيراً لي في ديني ودنياي، ولطالما أحببت النحو والدلالة وشعرت بالترابط الوثيق بينهما فكان فضلاً عظيماً من ا تبارك وتعالى أن أجمع بين هذين المستويين في هذه الرسالة لأخرج بنتائج جديدة تخدم الدرس اللغوي وفي النهاية تساهم بالنظر في كتاب ا برؤية جديدة .

٤- إن هذا البحث امتداد لبحث كتبته في أعمال أحد فصول الماجستير، وتصبح الفائدة أكبر حين يواصل الطالب البحث في دراسة بدأها فتزداد خبرته في ذلك الموضوع وتكشف غوامضه، وآملُ أن لا يتوقفَ الأمر هنا بل يكون له بقية في المستقبل إن شاء ا .

٥- الفائدة العظيمة للدعوة المباركة التي هي مسلك الأنبياء ومن أتبعهم نسأل ا أن نكون وإياكم من أنصارها ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨

٦- مما شجعني على المضي قدماً في موضوع الرسالة أنني حينما كنت قد تناولت جانباً من جوانب التشابه في الآيات وهو التقديم والتأخير فقد اطلعت على دراسة مماثلة ولكنها تتعلق بأسلوب الحذف والذكر وعنوانها (الحذف والذكر في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة استقرائية على الجمل والمفردات) [٢٢] فأدركت أنَّ المجال باقٍ لرسالة متخصصة في التعريف والتنكير [٢٣] والتذكير والتأنيث والفصل والوصل والفك والادغام ، فتكون الدراسة

---

٢١) التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، عزالدين محمد أمين سليمان الكردي ، ١٨٩ .

٢٢) أنظر: أبو زينة ، منصور محمد حسن (رسالة ماجستير) الجامعة الاردنية ، عمان ٢٠٠٢م .

٢٣) وقد تناولها بالفعل أحد الزملاء (زهير صالح المنديل) فبعد أن سجلتُ لبحثي هذا في التقديم والتأخير اقترحت عليه بالكتابة في التعريف والتنكير فسجلها تحت عنوان (التعريف والتنكير في الآيات المتشابهة لفظاً دراسة لغوية دلالية) وهكذا جاء عنوان رسالته وناقشها بتاريخ ٢٠١١/١٢/١٤ في هذه الجامعة العزيزة وأجيزت و الحمد .

أعطت حق هذا الموضوع الذي يستحق أكثر مِنْ أنْ يُدْرَسَ في ثنايا الظواهر الأسلوبية أو كتبِ المتشابه اللفظي بحيث لا تعدو مجرد نماذج من الذكر الحكيم يتناولها كل من يكتب في هذا الباب .

٧- إن هذه الدراسات هي من صلب البحث في إعجاز القرآن البياني وينبغي لمن يتصدى لهذه الدراسات وبعد أن يسلك من مناهج التحليل والتعليل والاستنباط والاستقصاء شاحذاً الهمم للوصول إلى الغايات العليا أن يهيأ نفسه لحقيقة عظيمة بعد أن يكشف الحقائق والدلالات وهي أن إيمانه بتلك الحقائق ستزداد .

أما أهم المراجع التي استفدت منها في البحث فقد كانت للكتب المختصة في توجيه المتشابه اللفظي النصيب الأكبر حتى يرجع الفضل إلى أهله، فهم الكرام الأوائل :

١- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي (ت٤٢٠ هـ).

٢- البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) .

٣- ملاك التأويل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) .

٤- كشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣هـ) .

٥- فتح الرحمن بكشف ما يتلبس في القرآن لأبي يحيى زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ).

كما كان لكتب الدكتور فاضل السامرائي الدور الكبير في إغناء هذا البحث ككتابي:

١- التعبير القرآني ٢- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل .

أما في التفاسير فبرز الدور الكبير لـ(تحرير والتنوير) للطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، فضلاً عن كتب اللغة والنحو للأوئل كسيبويه والجرجاني ومن المحدثين الدكتور تمام حسان وعلي أبو المكارم وفاضل السامرائي ومهدي المخزومي، وأود في هذا المعرض الاعتذار عن كثرة ورود المصادر المأخوذة من دارالكتب العلمية ـ بيروت، فمع ما هي عليه إلا أني لم أحصل على غيرها مع كثرة البحث .

وختاماً أتقدم بالشكر الجزيل لمشرفي الجليل وأستاذي الفاضل الدكتور عودة خليل أبوعودة الذي كان له الفضل كل الفضل بعد ا سبحانه وتعالى في توجيهي لهذا الموضوع وإغنائه بتوجيهاته السديدة، واستدراكاته البديعة التي كان لها الأثر الكبير في بناء هذا البحث، فأسأل ا أن يجزيه الخير كله، كما لا أنسى التوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة وأخص أستاذي العزيز الدكتور محمود عبيدات الذي تشرفت بالتعلم عليه في أثناء فصول

الماجستير والدكتور منير شطناوي على قبولهما مناقشة هذا العمل وعلى ما سيبذلانه من جهد في سبيل تقويمه وتكريمي بإسداء النصح والإرشاد وأرجو ا أن ينفعني بتوجيهاتهما السديدة وأن يكتب لهما الأجر والثواب، ولا ينقطع شكري لكل من تغمدني بالنصح وغمرني بالعلم والاهتمام من الأساتذة الكرام في أرض الوطن، والزملاء الأفاضل وكل من مد لي يد العون وله علي الفضل فلا أملك ثناء أبلغَ إلا أن أقول جزاكم ا خير الجزاء وأحسن إليكم .

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة العلوم الإسلامية العالمية والعاملين فيها لما وجدته فيهم من رحابة صدر وحسن معاملة وضيافة في مراحل الدراسة فجزاهم ا عنا طلبة العلم خير الجزاء .

هذا ما أنتهت إليه الرسالة ولا ندعي الكمال لها فالكمال وحده وإنما هو جهد جعلت همي فيه خدمة القرآن الكريم والسعي لنيل رضا ا فما وفقْتُ فيه فمنه تبارك وتعالى فله الحمد والمنة، وإن كنت أخطأت فجل من لا يسهو، ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ الصافات: ١٨٠ – ١٨٢

الفصل الأول

(مقدمات أساسية)

الفصل الأول

مقدمات اساسية

رسالة (التقديم والتأخير في آيات القرآن الكريم المتشابهة لفظاً) هي رسالة تطبيقية تقوم على استقصاء هذه الظاهرة في جزئية مهمة من القرآن الكريم ألا وهي الآيات المتشابهة لفظاً، ثم تقوم بتوجيهها من خلال كتب المتشابه اللفظي والتفاسير وعلوم القرآن وبما يفتحه ا علينا من إجتهادات وقد أوضحنا ذلك سلفاً، ولكن لكل دراسة لا بد من مقدمة نظرية قبل البدء في التطبيق فآثرت أن أخصص الفصل الأول ليكون فصلاً نظرياً يتناول المقدمات الأساسية التي ستقوم عليها موضوع الرسالة .

سيتناول المبحث الأول **ظاهرة التقديم والتأخير** من خلال تعريفه، وبيان موقعه بين الدرس النحوي الذي مثل المهد الأول له ثم إنتقاله إلى الدرس البلاغي، ولكي ندرك هذه الانتقالة المهمة لا بد لنا من معرفة علاقة علم النحو بعلم المعاني والرابطة الوثيقة بينهما المتمثلة في الجملة التي تشكل الموضوع الرئيسي لدراستيهما، فنتطرق إلى الجملة ووتعريفها وتأليفها وتقسيماتها ونفاضل بين الجملتين الاسمية والفعلية ونخرج بجملة من النتائج المهمة .

أما المبحث الثاني فسيتناول المجال المهم لتطبيقات الرسالة وهو **المتشابه اللفظي** ذلك العلم المهم من علوم القرآن والذي يعد من أهم فروع الاعجاز البلاغي فيه والذي يعد البحث والدراسة فيه خدمة كبيرة لكتاب ا تعالى، فندرس علم المتشابه لغةً واصطلاحاً ونفرق بينه وبين المتشابه قسيم المحكم ونتحدث عن دور السياق والذي على ضوء فهمه ستكون لدينا نظرة أخرى في معرفة حكم وفوائد المتشابه ووننتطرق إلى أهمية دراسته وأهم ما صنف وكتب فيه قديماً وحديثاً، وأخص كتب الأوائل لما كان لهم من الفضل في الاعتناء بتعليل الآيات المتشابهة في ألفاظها وتميزوا بدراساتهم الجادة والمتميزة .

المبحث الأول / التقديم والتأخير

تعريفه

لا تجد وأنت تبحث في هذا الأسلوب بين كتب البلاغة والمعاجم اللغوية تعريفاً اصطلاحياً واضحاً له، وحين تأخذ اللغويين من النحويين وأهل البلاغة تاريخياً فإنك لا تجدهم يتناولون التقديم والتأخير إلا من خلال معالجاتهم لمفهوم الجملة وأما اللفظة المفردة فإنها لم تكن لتدرس إلا في إطار الجملة وضمن مجالاتها، وسأحاول أن أعرض في هذه التوطئة تعريفات للظاهرة ثم أذكر بعد ذلك الإشارات لها التي كانت ثمرتها التعريفات التي سنعرضها .

ويطيب لي وأنا أذكر أصحاب الفضل فيمن انبرى لإبراز هذه الظاهرة الرائعة وكشف أغراضها ودلالاتها فأقطع حقباً من التأريخ لأجد عالمين جليلين هما إماما النحو سيبويه ت١٨٠ هـ والجرجاني ٤٧١ هـ، كلٌ في عصره، ولما كان الجرجاني مكملاً لسيبويه معرفاً بهذا الفن الرائع فقد آثرت تقديم تعريفه على غيره، فقد أفرد في كتابه الذي يعد من أهم أصول البلاغة باباً خاصاً بالتقديم والتأخير، وقد كان اهتمامه بهذه الظواهر الأسلوبية إلى جانب الحذف والتكرار والوصل والفصل يعود إلى أنها وسيلة من وسائل الإعجاز القرآني .

يستهل الباب بهذه المقدمة البديعة " هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية . لا يزالُ يفتَر لك عن بديعة ويفضي بك إِلى لطيفة . ولا تزالُ ترى شعراً يروقُك مسمعه ويلْطُف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولُطف عندك أن قُدّم فيه شيء وحوّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان " [٢٤]

وكان ابن فارس (٣٩٥ هـ) قد سبق الإمام الجرجاني في تعريف الظاهرة، إذ قال : من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخّر، وتَأخيره وهو في المعنى مقَدم [٢٥] كقول ذي الرمة [٢٦] :

ما بالُ عينك **منها الماء ينْسكب** كأنه من كلى مفرِية سرِب [٢٧]

وموطن الشاهد هو تقدم الجار والمجرور(منها) على الفعل والفاعل وكان الأصل فيه التأخر.

---

٢٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ط١، (تحقيق محمد التنجي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م ص ٩٦ .

٢٥) الصاحبي في فقه اللغة العربية ، ابن فارس ط١،(تحقيق السيد أحمد صقر) ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ص ٤١٢

٢٦) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة: شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره.قال أبو عمرو بن العلاء : فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة ت ١١٧ هـ (الأعلام لخير الدين الزركلي ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت، ٢٠٠٣ م، ج١٢٤/٥) .

٢٧) ديوان ذي الرمة ، ط١ ،(تقديم وشرح أحمد حسن بسج) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٩٥ م ، ص ١٠ .

أمـا الزركشي(ت ٧٩٤ هـ) فحين عرفَ التقديم والتأخير فَصلّ القول بين من قد يجعلها من المجاز فقال :(هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق. وقد اختلف في عده من المجاز! فمنهم من عده منه لأنه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه . والصحيح أنه ليس منه فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع) [٢٨] . ولكلام الزركشي هذا ربما ما يبرره، من أن أقدم[٢٩] اللغويين الذين تعرضوا للدرس البلاغي أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) في كتابه (مجاز القرآن)وهو يتطرق إلى التقديم والتأخير ويجعلهما من المجاز، ففي قوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ المائدة: ٧٠ ، يقول أبو عبيدة :(مقدم و مؤخر، مجازه كذبوا فريقا، (وفريقاً يقْتُلُون) مجازه: يقتلون فريقاً) [٣٠] فكلمة المجاز التي كانت ترد بكثرة في كتابه وهو يعرض للآيات القرآنية لربما جعلت الزركشي ومن قبله يتوهم أن أبا عبيدة يجعل هذه الظاهرة من المجاز أي ما يقابل الحقيقة حيث لم يكن الاصطلاح معروفاً في زمنه ويستدل الدكتور أحمد سليمان ياقوت على ذلك بكثرة استعمال أبي عبيدة لتعابير (مجازه كذا) و (تفسيره كذا) و(معناه كذا) وكل بمعنى واحد[٣١] فيدل هذا على أن المقصود من مجاز القرآن هو معاني القرآن.

ومن التعريفات الحديثة ما يصف التقديم والتأخير بأنه تغير موضع الألفاظ في الجملة تغيراً يخالف الترتيب النحوي المألوف ، لغرض بلاغي كالقصر، وإظهار الاهتمام [٣٢].

وهذا التعريف الحديث يفتح باباً مهماً في ما حققته هذه الظاهرة من الخروج عن الترتيب الذي يفرضه الاتجاه المعياري في اللغة، وعن الدلالات الجديدة الرائعة التي ما كانت لتكشف لولا النهج الجديد المتمثل في العدول عن الأصل، وسنتطرق إن شاء ا لهذا المبحث لاحقاً بعد أن نعرض للتقديم والتأخير في الدرس النحوي.

---

٢٨) البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين الزركشي (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، دار المعرفة ، بيروت ،١٣٩١هـ. ٢٣٣/٣

٢٩) ينظر بحوث بلاغية ، أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي ، بغداد ، ١٩٩٦م، ص ١٤

٣٠) مجاز القرآن ،أبو عبيدة معمر بن مثنى (تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين) ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٧٣/١

٣١) ينظر ظاهرة الأعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم ،احمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٤ ، ص ٢٣٦

٣٢) ينظر معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني ،بيروت، (١٩٨٥) ص١٧٥،١٧٤

التقديم والتأخير من الدرس النحوي إلى الدرس البلاغي

لما كانت معالجتنا للتقديم والتأخير كدراسة بين النظرية النحوية والأداء البلاغي في السياق القرآني كان واجبا أن نبين موقع هذه الظاهرة وخصوصاً في الدرس النحوي دون الخوض في التفاصيل، لأن الدراسات السابقة فصلت الحديث في هذا المحور وأغنت المطلع عنه ، فأبدأ بسيبويه الذي كان حديثه عن التقديم خدمة كبيرة للدرس البلاغي لتحدثه عن أغراض التقديم فاتحاً الباب أمام البلاغيين وعلماء الإعجاز محفزاً إياهم لاستقراء مواضع التقديم والتأخير وتحديدها [٣٣] .

وقد عرف علماء اللغة التقديم والتأخير ولكنهم لم يقفوا على أسراره البلاغية[٣٤] كما فعل سيبويه حين أشار إلى بعض الأغراض البلاغية وأبرزها وأكثرها وضوحاً في كتابه [٣٥] (العناية والاهتمام) وهو يقف على مسألة التقديم والتأخير في باب الفاعل الذي يتعداه فعله الى المفعول به فيقول (... كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم)[٣٦] .

إن سيبويه بهذا الفهم يكون صاحب الفضل في الكشف عن بلاغة التقديم والتأخير، يقول الدكتور عبد القادر حسين: (هذه القضية الكبرى التي تناولها علماء النحو والبلاغة واللغة ، وما زلنا نقرأ عنها حتى يومنا هذا في النحو والنقد والبلاغة، هي في أساسها من صنع سيبويه فهو أول من أشار إليها، وطرق بابها، ولا شك أن هذا فضل ينسب إليه بالفخار)[٣٧] لأنها كانت البداية الكبيرة لربط النحو بالمعنى، فلا تجده يهتم بشكل الكلمة في التركيب اللغوي قدر اهتمامه بمعناها ووظيفتها وصلتها بغيرها من مفردات الجملة [٣٨].

يأتي الجرجاني (٤٧١هـ) الذي يقف على قمة نحاة القرن الخامس الهجري[٣٩]. ومن المحدثين من يعده مؤسس علم البلاغة [٤٠]، ليجعل من النظم نظرية محورية للدرس البلاغي[٤١]. فقد استحسن الجرجاني تفسير سيبويه لغرض التقديم من العناية، والاهتمام وإن أخذ عليه في عدم إتيانه

---

٣٣) ينظرالتقديم والتأخيرفي القران الكريم ، عزالدين محمد الكوردي، ط١ ، دار المعرفة بيروت، ٢٠٠٧ م ص٣٦

٣٤) ينظرأثر النحاة في البحث البلاغي عبد القادر حسين ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٨، ص ٨١

٣٥) إذ أن العناية والاهتمام لم يكونا الغرضين الوحيدين عند سيبويه أنظر الكتاب لسيبويه ١/١٩، ١،٢٨٥

٣٦)الكتاب، سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان(ت ١٧٧ هـ) (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي، بالقاهرة . ٣٤/١

٣٧) أثر النحاة في البحث البلاغي عبد القادر حسين، ص ٨٨

٣٨) ينظر تطور الدرس النحوي : الدكتور حسن عون معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠ ص ٤٤

٣٩) ينظر بحوث بلاغية ،الدكتور أحمد مطلوب ١٥

٤٠) ينظر الأصول، د.تمام حسان (دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣١١

٤١) ينظرالتقديم والتأخير عند اللغويين العرب القدامى حسن عبد الكريم الشحوذ،(دكتوراه)، جامعة تشرين ، سوريا ٢٠٠٢م، ١١٥ .

بمثال على ذلك وخالفه في أنهما (الغرضين) لا يكفيان لفهم وإدراك أسرار التركيب اللغوي[٤٢]. ومع كل هذا نجد أصول الكثير من مباحث الجرجاني موجودة في (الكتاب) ومصدراً
يلجأ إليه .

يرى الدكتور رجاء عيد أن معالجة الجرجاني لهذا الأسلوب وبقية الأساليب كغيره من البلاغيين أقرب ما يكون فيه إلى المبحث النحوي، حيث يدرس التراكيب من حيث الصحة والخطأ، في حين أن الدرس البلاغي يبحث في الحسن والأحسن[٤٣]. أما الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف فيقول :(أن معاني النحو عند عبد القاهر ليست العلاقات النحوية التي تصح بها الجملة ويستقيم الإعراب، لأن كون الكلام صواباً لا يوجب له مزية ولا فضلاً عنده، ويفسر(النظم) عند عبد القاهر بأنه ذلك الضرب من الاختيار بين العلاقات النحوية أوالمعاني النحوية والمفردات اللغوية التي يصيب فيها المتكلم توفيقاً يتلاءم مع الغرض الذي من أجله سيق الكلام) [٤٤]

ويكمن الفرق بين الجرجاني وبين سيبويه في أن الجرجاني في هذا الباب يحيل تفسيراته كلها على المعنى الحاصل من ترتيب العبارة ولا يلجأ إلى مرجعية " العرب " مثلما يفعل سيبويه من حيث استخدامه لأحكام تقريرية مثل "وهو عربي جيد " و " قد قالته العرب " ولا يذكر المعنى إلا في المواقع التي تناسبه . [٤٥]

ولم يكن النحاة بعد عبد القاهر متابعين له وسائرين على هديه بل اعتمدوا في منهجهم على المناقشة والترجيح وجمع الآراء ونقض الأدلة بالأدلة وخصوصاً المنطقية ويبدو هذا واضحاً في كتب الخلاف النحوي .

وقد أحسن الدكتور أحمد مطلوب وهو يصف هذه الحالة فيقول: (يختلف منهج الجرجاني عن منهج النحاة ...كما يختلف في فهمه وتفسيره لهذه الأساليب اختلافاً كبيراً ، فقد أعطى هذه الموضوعات حياة فقدتها على يد الذين قللوا من قيمة النحو وزهدوا فيه أو نظروا إليه نظرة ضيقة تنحصر في الإعراب والبناء) [٤٦] .

---

٤٢) ينظر دلائل الإعجاز، عبد القاهـر الجرجاني ٨٦-٨٧ .

٤٣) ينظر فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد ، ط٢ , منشأة المعارف , الاسكندرية ، ص:٧٥

٤٤) النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ،٢٠٠٠م ، ص ١٠٤ - ١٠٥

٤٥) ينظرالتقديم والتأخير بين النحو والبلاغة ، مي الأحمر،(ماجستير) ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، ٢٠٠١ م .ص ٩٤ - ٩٥

٤٦) عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م ، ص ٦٠ .

وإني أعتقد أن تكامل هذا المفهوم عند الجرجاني يعود إلى أنه لم يستغنِ بالتركيب عن التحليل، فقد كان موفقاً في استخدامه للعلمين في معالجته للظواهر، فهو "يقلب وجوه التقديم والتأخير باحثاً في كل وجه منها عن المعنى المراد، وذلك إنطلاقاً من رأيه القائل إن النحو هو العلم بالمعنى فيربط ربطاً عضوياً بين التركيب ومعناه" (٤٧) فنجده حين يعرف النظم يقول:

(أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها)(٤٨) فكان حريصاً على التوفيق في معالجته للظاهرة بين المستويين وموفقاً في تحليله إياها، وبغياب هذا الحرص فيما بعد عند المتأخرين لم يكن لنظرية النظم ودراسة هذه الظواهر التي نشأت في أحضان الدرس النحوي إلا لتسجل انتقالة كبيرة وتسلم رايتها إلى أهل البلاغة، وألقى عبد الفتاح لاشين باللوم على النحويين فهم لم يعيروا في دراساتهم النحوية دعوة عبد القاهر التفاتاً، فظل النحو يدرس كما يدرس من قبل ـ فقد أصاخ لهذه الدعوة البلاغيون، إذ جعلوها أساساً لدراسة أحد علوم البلاغة وهو (علم المعاني)(٤٩).

وقد كانت نظرية النظم التي أسس الجرجاني أركانها – بغض النظر عمن تأثر بهم وسبقوه بالإشارة إليها من القاضي عبد الجبار أو الجاحظ أو الخطابي أوالباقلاني - مدخلاً جديداً له لدراسة التراكيب حين يقدم الجملة على المفردة التي مع فصاحتها تعد قاصرة في نفسها، ولا تحقق ما توفره الجملة من وضوح الدلالة وجميل الفوائد فقال:

(إن الألفاظ المفردة لم توضع لتعرف معانيها في نفسها ، ولكن لأن ينظم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها من فوائد)(٥٠) . والجرجاني لم يكتف فقط ببيان أهمية التركيب بل يعلل أيضاً لقصور المفردة في عجزها عن تحقيق المطلوب منها بعيدة عن سياقها فقال: (وهل تجد أحداً يقولُ : هذه اللفظةُ فصيحةٌ إلا وهو يعتبر مكانَها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعنى جاراتها وفضلَ مؤانَستها لأخواتها (٥١)

٤٧) ينظر التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة ، مي الأحمر ٦٩ .

٤٨) دلائل الإعجاز، عبد القاهـر الجرجاني ٣١ .

٤٩) ينظردراسة في نظرية النظم عبد الفتاح لاشين، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة نهضة، مصر، ١٩٦٠م ، ص ١٢٣ .

٥٠) دلائل الإعجاز، عبد القاهـر الجرجاني ٢٨٧-٢٨٨ .

٥١) المصدر السابق، ٥٣/١ .

وكانت جملة هذه الجهود متضافرة لترصع بها الدراسات الحديثة للمعنى حيث يعترف الدكتور تمام حسان بشكل خاص بالفضل لأعظم رجلين من رجال الدراسات اللغوية في الثقافة العربية وهما سيبويه وعبد القاهر، ويبدو فضل أولهما في حقل التحليل كما يبدو فضل ثانيهما في حقل التركيب [٥٢] الذي كان الجرجاني رائداً فيه، فلا يدرك أسرار البلاغة في التراكيب ، ولا يعرف دقة النظم وروعة التعبير، إلا من فطر على الذوق، ووهب الإحساس[٥٣] .

فالعلاقة بين الألفاظ والمعاني تبنى على أساس النظم الذي ليس إلا ترتيباً للمعانى في النفس يتبعه نظم الألفاظ ، وكل جمال في نظم الألفاظ مرده إلى جمال نظم المعاني في النفس[٥٤].

لم أشأ أن أضع مطلباً عن التقديم والتأخير في الدرس البلاغي لعدة دواعٍ منها أن الحديث عن الجرجاني سد فراغاً كبيراً كونه يشكل حلقة وصل كبيرة بين النحويين والبلاغيين فقد تحدث عبد المتعال الصعيدي عن أطوار البلاغة فقال: إنها مرت بمراحل أربع [٥٥] :

١- تبدأ من عهد الجاحظ ت ٢٥٥هـ وتنتهي بعهد عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ .

٢- من عهد عبد القاهر إلى عهد السكاكي ت ٦٢٦ هـ .

٣- من عصر السكاكي الى عصر النهضة (القرن التاسع عشر) .

٤- من عصر النهضة الى عصرنا الحالي (في القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين).

فالملاحظ أن وجود الجرجاني النحوي بين الطورين الأول والثاني جعل من التراكيب علماً، وتابعه الزمخشري في تطبيق مقرراته على نص القرآن الكريم فأخرج تفسيره الكبير (الكشاف) إرساء لنظرية النظم وتطبيقاً لهـا، فيقول في مقدمته: (فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوي والأحكام والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم

---

٥٢) ينظراللغة العربية معناها ومبناها د.تمام حسان، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب ، ١٩٩٤م ٢٩ .

٥٣) ينظرالتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عبد الفتاح لاشين، دار المريخ ،السعودية ١٩٨٠م ، ١٦٨

٥٤) ينظردراسة في نظرية النظم ، عبد الفتاح لاشين ٩٥

٥٥) البلاغة العالية علم المعاني عبد المتعال الصعيدي البلاغة العالية علم المعاني (تقديم ومراجعة د.عبد القادر حسين)، ط٢ ، مكتبة الاداب، القاهرة ١٩٩١م ، من مقدمة الدكتور عبد القادر حسين له ص هـ .

البيان...)[٥٦] ، وأمـا الطور الثالث فنجد السكاكي الذي جاء ليلم درر الجرجاني المنثورة لينظم منه ذلك العقد الفريد المتمثل في كتابه : "مفتاح العلوم" الذي يعده الكثير من الباحثين خاتمة كتب البلاغة القديمة في صورتها الإبداعية أمـا بعد ذلك فهي كما قال الدكتور أحمد مطلوب :(بدأت رياح التقليد تهب من كل مكان وصارت البلاغة متوناً تحفظ
، وشروحاً تقرأ ، وحواشي تدقق، وتقريرات تُتبع) [٥٧]

علم النحو وعلم المعاني

تعزو الدراسات الحديثة التقصير إلى الدراسات القديمة لعجزها عن دراسة الجملة العربية بشكل لائق بسبب عدم توفيقهم في تحديد موضوع الدراسة النحوية ربما لتضييقهم مجال الدراسة تضييقا مخلاً كجعلهم المباحث النحوية مثلا مقصورة على الإعراب، والبناء المقصورين على دراسة أواخر الكلام فقط، حتى أصبح النحو يعرف بعلم الإعراب، فكان هذا كله على حساب المعنى الذي أصبح على الهامش فلم تحظ العناصر النحوية كالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والذكر .... ونظام الجملة العام في أجزائها وخواصها التركيبية بالاهتمام الذي قوبلت به أبواب الاعراب، ونلحظ ذلك بوضوح من خلال كتب النحو المبوبة على هذه الأبواب من مرفوعات ومنصوبات ومجرورات باختلاف معانيها .

وأدى ذلك إلى حصول شقاق بين النحويين والبلاغين يعزوه الدكتور رجاء عيد إلى متأخري النحاة حينما غفلوا عن دراستهم للظواهر النحوية متصلة بالتركيب اللغوي وقصروا مهمتهم على البحث في أواخر الكلمات ولم ينتبهوا الى البناء وقيمته النحوية الفنية [٥٨] ويستشهد في هذا المقال بتفريق ابن الأثير لعمل النحوي والبلاغي حين يقول إنهما :(... يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر في

٥٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بـن أحمـد جـار ا الزمخشـري (ت ٥٣٨هـ) (تحقيق عبد الرزاق المهدي)، دار احياء التراث العربي ، بيروت . ٤٣/١ ، أما عن مسألة كون هذه المقولة أول إشارة إلـى علمي المعاني والبيان والفصل بينهما كركني البلاغة فيرجح الدكتورمحمد حسين أبو موسى ان الزمخشري كان قد ذكر مصطلحي البيـان والمعاني قبل الكشاف في كتابه الصغيرأعجب العجب وذكره في كتاب المفصل وكرره كثيرا في ديوان شعره ومدح الكثيرين بتبحرهم فـي علمي المعاني والبيان.. ينظر، (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات اللغوية، محمد حسنين أبو موسى، دار الفكـر العربي ، ص١٩٩) .

٥٧) بحوث بلاغية د. أحمد مطلوب ١٦ .

٥٨) ينظرفلسفة البلاغة بين التقنية والتطور د .رجاء عيد ١٤٣

فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والإعراب ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام
المنظوم والمنثور ويعلم مواقع إعرابه ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة !) (٥٩).
وهذا رأي قد لا نوافقه فيه حيث لم تخلُ المحاولات الأولى في إبراز الدور الكبير للمعنى المتجسد في الظواهر الاسلوبية كالتقديم والتأخير على يد أبي عبيدة في كتابه (المجاز). ولكن لم تكن محاولاته في الكشف عن المعاني وربطها بالنحو لتكلل بالنجاح لشدة تأثر النحاة بآراء سيبويه المتمثل في (الكتاب) حتى إن البعض كان يعد أي تأليف في هذا المجال تجرؤاً ومنافسةً لسيبويه، فنجد الإمام أبا عثمان المازني (ت٢٤٧ هـ) يقول:(من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح) (٦٠) وكنت أجد وأنا أقرأ للأستاذ إبراهيم مصطفى حسرات كنت أشعر بها في صدري على مشروع كبير لإحياء النحو كان من المفترض لقواعده أن تؤسس منذ زمن بعيد فيقول عن أهمية كتاب المجاز:(وكان باباً من النحو جديراً أن يفتح وخطوة في درس العربية أن تتبع ... وأهمل الكتاب ونسي ... دل على سبيل تبصر أنصرف الناس عنها غافلين) (٦١)

وتحقق للجرجاني ما لم يتحقق لابي عبيدة من ربط للنحو بالمعاني وهو الهدف المنشود في الدراسات اللغوية في عصرنا الحالي فخرج بالبحث النحوي من قيود النحاة وتخصيصهم إياها بمسألة علامات الإعراب وأواخر الكلم، مبيناً أن للكلام نظماً تجب رعايته والمحافظة على قوانينه من أجل الفهم وألزم نفسه أن النظم لا يقوم إلا " أن تضع الكلمة الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله " (٦٢) ويقول إبراهيم مصطفى: إن حظ الجرجاني لم يكن أوفرمن أبي عبيدة وأن عبقريته التي تجلت لنا في عصرنا الآن أنشغل الناس عن فهمها لأمرين:
الأول : عام يتصل بحال العلم في القرن الخامس،عصر أبي بكرـ يقصد عبد القاهر الجرجاني ـ إذ كانت العقول قد همدت وقيدت بسلاسل من التقليد حرمت عليه تقبل أي ابتداع أو تجديد .

---

٥٩) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين محمد ابن الأثير،(ت٦٣٧ هـ) . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٩٩٥م . ٢٦/١

٦٠) طبقات الأدباء لابن الأنباري، ط ٣، (تحقيق ابراهيم السامرائي) مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن ، ١٩٨٥ م. ص ٥٦ .

٦١) ينظر إحياء النحو، ابراهيم مصطفى، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ص ١١ - ١٢

٦٢) ينظردلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ٣١

الثاني : خاص يعود إلى طبيعة المذهب، وأن أساسه الذوق الذي جعل العلماء لا يقفون إلا على ظاهراللفظة بسبب غلبة العجمة فيهم حينها فلم يدركوا ما ادركه عبد القادر ولا تذوقوا ما ذاق [٦٣]

أدى كل هذا إلى أن يلحق بالدرس النحوي موجة من الجفاف والقسوة امتدت عبر الزمان، وتفشت في مناهجنا التعليمية ونجد عتاباً صادقاً خالصاً بدافع الحرص على روعة العربية – من الدكتور تمام حسان في دعوة يوجهها إلى العاملين في هذا الحقل المبارك أن يعمدوا إلى المزج بين معطيات علمي النحو والمعاني للوصول بهما ممتزجين إلى تنظيم دراسة الفصحى على أساس جديد لم يخطر ببال سيبويه ولا ببال عبد القاهر[٦٤]، ويؤازره في هذا الدكتور فاضل السامرائي وهو يقول في معرض ضرورة الجمع بينهما :(إن دراسة النحو على أساس المعنى ، كونها ضرورة فوق كل ضرورة ، تعطي هذا الموضوع نداوة وطراوة، وتكسبه جدة وطرافة بخلاف ما هوعليه الآن من جفاف وقسوة)[٦٥] وقد بدأ بنفسه مطبقاً لمقولته أعلاه التي استهل بها كتابه الكبير (معاني النحو) التي تركت أبلغ الأثر عند طلابه وهم يتذوقون معاني النحو ويجدون اللذة العظيمة فيه، وإلى هذا ذهب الدكتور حماسة، فيقول في مقدمة كتابه النحو والدلالة : (لقد كانت الفكرة التي شغلتني في هـ ـذا الكتاب هو تعانق النحو والدلالة تعانقاً حميماً
بحيث يكون الفهم الصحيح للنحو هو الفهم الصحيح للأساس الدلالي الذي يقوم عليه النص) [٦٦] .

وأكد الدكتور مهدي المخزومي أن مقاييس النحاة في صحة الكلام هي ذاتها في فصاحتها عند علماء المعاني فيخلص إلى أنه لا فرق بين الدرس النحوي ودراسة المعاني ما دام موضوع الدراستين هو الجملة [٦٧] ويزداد هذا الكلام وضوحاً من خلال وصف الدكتور علي أبو المكارم العلاقة بين العلمين بالمسالة الشائكة لما استقر في الفكر اللغوي العربي من فصم بين مستويين من الدراسات : مستوى الدراسات التصويبية ثم مستوى الدراسات الجمالية [٦٨] ويعزو السبب إلى مراحل تاريخية حصل فيها الخلل في فهم مضمون هذه العلوم ولا ينسى أبو المكارم أن يصف

٦٣) إحياء النحو، ابراهيم مصطفى، ٢٠

٦٤) ينظراللغة العربية معناها ومبناها د.تمام حسان ٣٣٦

٦٥) معاني النحو د. فاضل السامرائي، ، ط٢ ، شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م . ج ٨/١

٦٦) النحو والدلالة محمد حماسة عبد اللطيف ١٠

٦٧) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه ، د مهدي المخزومي، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ م، ص ٢٢٨ ، ويقول في موضع سابق من كتابه (وبالرغم من أن علماء العربية كانوا قد فرقوا بين اختصاص النحاة، واختصاص أهل المعاني فإننا نرى الاختصاص واحداً والتفرقة بين صحة الكلام وفصاحته مبنية على اعتبارات عقلية محضة) ص ٣٥ .

٦٨) ينظرالظواهر اللغوية في التراث النحوي د. علي أبو المكارم، دار الغريب ، القاهرة ، ٢٠٠٧م . ص٣٤٨

العلاقة بينهما من جانب آخر بالحيوية أيضاً لوجود الصلة الوثيقة بين العلمين من ارتباطهما بالمجال نفسه وهو تحليل أنظمة الجملة ويوازن بين اتجاهين :

الأول : أن العلمين وأن التقيا في الموضوع إلا أنهما يختلفان في المستوى الذي يعني به كل منهما فحيث ينتهي علم النحو يبدأ المعاني بعد أن يتأكد من صحة التركيب اللغوي واستيفائه للقواعد الضابطة.

الثاني : هو ما عبر عنه الجرجاني في نظرية النظم من وضع الكلام الموضع الذي يقتضيه علم النحو ... وقد سبق الحديث في نظرية النظم ، فيؤكد من خلال معالجة الجرجاني لمجموعة من النصوص تطابق النحو والمعاني (لستُ بواجد شيئاً ... إلا وهو معنًى من معاني النحو) [69]

ويتضح لنا موقف أبو المكارم ـ المناقض لما ظنه البلاغيون العرب ـ أن التطابق بين التركيب والموقف اللغوي دراسة فنية خالصة لا صلة لها بالبحوث النحوية متأثرين في ذلك بوهم التفرقة بين المستوى الجمالي والمستوى التصحيحي[70] ، ويثبت موقفه المؤيد للاتجاه الثاني من إعادة النظر في النحو الذي هو دراسة للجملة العربية من خلال الموقف الذي يقال فيه وعلم المعاني ـ بدوره ـ ليس إلا الوقوف على مدى الأخذ بنتائج هذه الدراسة في النصوص المختلفة من حيث مواءمتها للمواقف المتعددة [71] .

وهذا هو نفسه موقف تمام حسان بالقول في تقارب العلمين في دراستهما للموضوع عينه [72] فمن جملة المواضيع التي يتناولها علم المعاني وعلى رأسها التقديم والتأخير موضوع رسالتنا يرفض تمام حسان أن تكون لها ذات صلة بالنقد الأدبي لكونها دراسة معانٍ وظيفية في صميمها فهي أكثر صلة بالنحو فنشأت عنده فكرة أن يدعي النحو العربي لنفسه القسم الثالث من أقسام البلاغة ويقصد (علم المعاني) بل وأنه يرى أن يكون علم المعاني قمة الدراسة النحوية أو فلسفتها إن صح التعبير[73]

ويظهر من كل ما سبق ذكره أن العلمين(النحو والمعاني) متكاملان، يكمل أحدهما الآخر، ولا نفاضل بينهما؛ لدورهما العظيم في سمو التراكيب والمفردات ولكن يأتي الضعف من تفريغهما من

---

٦٩) دلائل الاعجاز ، الجرجاني ٧٨/١

٧٠) ينظرالظواهر اللغوية في التراث النحوي ، علي أبو المكارم٣٥٢

٧١) ينظرالمصدر نفسه ٣٥١

٧٢) ينظرالأصول تمام حسان ٣٠٩

٧٣) ينظراللغة العربية معناها ومبناها د.تمام حسان ١٨

مقاصدهما ودراسة أحدهما على حدة، كوحدة مستقلة كأنها نشأت هكذا متناسين الدرس الفريد من أصل العربية الأكبر وهو كتاب ا الذي جمع بينهما بل وبين علوم العربية جميعاً على مائدة النص القرآني العظيم .

الجملة العربية

إن نقطة انطلاق الدرس النحوي يكون عند الجملة فهي الموضوع الذي يبحث فيه، فالنحو كما قلنا نظام يتعلق بدراسة التراكيب لا مجال فيه للمفردة أن تكون ركيزة لها وموضوعاً تنطلق منه وجعلت الدكتورة أميرة توفيق دراسة الجملة عندها في قسمين :

القسم الأول : الجملة من حيث تأليفُها ونظامها،ومن حيث طبيعتُها ، ومن حيث أجزاؤُها ، ومن حيث ما يطرأ على أجزائها في أثناء التأليف من تقديم وتأخير ، ومن إظهار وإضمار وذكر...

القسم الثاني : ما يعرض للجملة من معان عامة تؤديها أدوات التعبير التي تستخدم لهذا الغرض ، كالتوكيد وأدواته إلى غير ذلك من المعاني العامة عنها التي يعبر عنها بالأدوات [٧٤] .

تعريفها

إن مفهوم أو مصطلح الجملة لم يكن معروفاً ضمن مصطلحات النحو العربي ولم يدخل إليه إلا في فترة متأخرة نسبياً، وأقدم نص في أمهات كتب النحو ورد فيه ذكر الجملة كان عند صاحب المقتضب (ت ٢٧٥ هـ) حيث قال:(وإنما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل **جملةٌ** يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب. فالفاعل، والفعل بمنزلة الابتداء، والخبر إذا قلت: قام زيد فهو بمنزلة قولك: القائم زيد)[٧٥] فنستنتج تعريفاً للجملة بأنه الكلام الذي يحسن السكوت عليه ويجد المخاطب الفائدة فيه .

أمـا سيبويه فلم يستخدم مصطلح الجملة أبداً مع إشارته إلى مسألة الإسناد وعلاقة المسند بالمسند إليه اللذين سنأتي على ذكرهما لاحقـاً.

---

٧٤) الجملة الاسمية عند ابن هشام الانصاري ، د. أميرة علي توفيق ، مطبعة البرلمان / العتبة القاهرة ١٩٧١ ص ٦ – وينظر في النحو العربي نقد وتوجيه ، د مهدي المخزومي ١٧ ، دار الرائد العربي بيروت لبنان ط٢ /١٩٨٦ م .

٧٥) المقتضب، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة ، الناشر لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ،١٩٩٤ م ، ج١/ ١٤٦

وأجد تعريف الجملة عند ابن جني (ت٣٩٢هـ) ملماً بأقوال سابقيه جامعاً فيها الفائدة والاستغناء بذاتها عن غيرها فيقول: (وأما الجملة فهي كل كلام مفيد مستقل بنفسه)[٧٦].

ومن تعاريف المحدثين المهمة يقول الدكتور مهدي المخزومي بأنها :(الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤُها في ذهنه ، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع) [٧٧]

وأراني ـ هنا ـ أميل إلى ما خاص إليه الدكتور علي أبو المكارم من رؤيته لاتجاهات ثلاثة في تحديد مفهوم الجملة أولها يرى [٧٨] الجملة تركيباً مفيداً بغض النظر عن مسألة الإسناد(بركنيها الأساسيين المسند والمسند إليه) وثانيها يرى أن الجملة تركيب إسنادي بغض النظر عن مسألة الإفادة وثالث يجمع بينهما [٧٩] . وهو في هذا يحسم موقفه من المكتفين [٨٠] بالإسناد على حساب الفائدة ؛ بأنَّ ذلك سيكون داعياً إلى (التعارض مع واقع اللغة ، بحيث يضطر القائلون به إلى اللجوء إلى "الفرض" و "التأويل" والقول "بالحذف" و " التقدير " مما يتناقض مع ما يجب أن يكون عليه منهج البحث النحوي من التزام موضوعي من ظواهر) [٨١]

تأليفها

يرى النحاة أن الجملة العربية تتألف من ركنين أساسيين كما ذكرنا سابقاً بهما تحصل علاقة الإسناد وهما المسند والمسند إليه اللذان عرف لهما سيبويه : بأنهما ما لا يغنى واحد منهما عن

---

٧٦) اللمع في العربية أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، (تحقيق فائز فارس) ، دار الكتب الثقافية الكويت ،١٩٧٢، ج ٢٦/١

٧٧) في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ٣١

٧٨) منهم من المحدثين د.ابراهيم أنيس حيث عرف للجملة بأنها في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بذاته ، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر(من أسرار اللغة ، د. ابراهيم أنيس، ط٣ ، مكتبة الانجلو المصرية , مصر ،١٩٦٦ م، ص ٢٧٦-٢٧٧) فلا يكاد يقيم لعلاقة الإسناد وزناً لقيام الجملة .

٧٩) ينظر الجملة الاسمية د. علي أبو المكارم، ط ١ ، مؤسسة المختار للنشروالتوزيع ، القاهرة ،٢٠٠٧ م. ص ٩

٨٠) والقصد ابن هشام ومن يؤيده (الشيخ خالد الأزهري) في اقتصار الجملة على المسند والمسند إليه (والجملة عبارة عن فعل وفاعله ،كقام زيد ، والمبتدأ وخبره كزيد قائم ، وما كان بمنزلة أحدهما ، نحو ضرب اللص ،و: أقائم الزيدان ؟، وكان زيد قائماً وظننته قائماً) ينظر(مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري٧/٥-٨) . فبالرغم من حصول الفائدة في الامثلة السابقة إلا أنه يفصل بين الكلام والجملة ويشترط لصحة الكلام حصول الفائدة فتكون النتيجة أنه لا يشترط في الجملة إلا الاسناد لتكون جملة .

٨١) ينظرالجملة الفعلية للدكتور علي أبو المكارم، ط ١ ، مؤسسة المختار للنشروالتوزيع ، القاهرة ،٢٠٠٧ م، ص ٢٨

الآخر، ولا يجد المتكلم منه بداً)[٨٢] ويخلص السيوطي لوصف دقيق للمسند والمسند إليه بأنهما: المسند المحكوم به والمسند إليه المحكوم عليه[٨٣] وهو نسبة المسند (وهو في الجملة الاسمية الخبر) إلى المسند إليه (وهوالمبتدأ)[٨٤] ويسمى كلٌ منهما بالعمدة لأنهما ركنا الكلام ، أمـا ما سواهما من التوابع والمفاعيل التي نجدها في الجملة فهي تسمى بالمكملات أو الفضلة ولها وظائفها النحوية الخاصة وهي ليست ركناً في الإسناد وإن توقف صحة المعنى عليه [٨٥]

تقسيماتها

إنَّ تقسيم الجملة العربية بنحوٍ عام هو ثنائي ينقسم على جملتين: فعلية ،وأخرى اسمية وجعل النحويون الذين اتفقوا على هذا التقسيم وهم الأغلبية باقي أنواع الجملة من هذين التقسيمين ويرفض الدكتور علي أبو المكارم هذا التقسيم متهماً إياهم بأنهم أغفلوا الخصائص الموضوعية لما يجمعونه في نوع واحد ، لأن من الجمل ما لا يصدق عليه تعريف الاسمية ولا تعريف الفعلية حيث يعتبر إطلاق أي منهما ضرباً من الخلط الذي يسلم إلى التضارب بين المصطلح العلمي ومدلولاته المتعددة [٨٦] وقد تأثر في ذلك بما وجده عند ابن هشام الانصاري (ت٧٦١هـ) الذي استفاد من جهود سابقيه ولم حديثهم المتناثر في زوايا بحوثهم عن الجملة فرتّب وبوب الجملة في تقسيم مستقل الى ثلاثة أقسام (اسمية و فعلية وظرفية) فيقول:(الاسمية هي: التى صدرها اسم، كزيد قائم...، والفعلية هي: التى صدرها فعل، كقام زيد...، والظرفية هي: المصدرة بظرف أو مجرور نحو: أعندك زيد)[٨٧] ولم يجد ابن هشام تقسيم الزمخشري وغيره للجملة إلى أربعة أقسام (فعلية واسمية وشرطية وظرفية) تقسيماً صحيحاً فقد خالفه في الشرطية لأنه يمكن إرجاعها الى الفعلية [٨٨] ولكن يبقى التقسيم الثنائي للجملة هو التقسيم العام الذي يقره الواقع اللغوي ويقول الدكتور فاضل السامرائي في

---

٨٢) الكتاب لسيبويه باب الاستقامة من الكلام والاحالة ٥/١

٨٣) ينظرهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م . ج ٢ /٥٠٠

٨٤) ينظرالخلاصة النحوية د.تمام حسان ص١٠٥ ط٢٠٠٠/١ عالم الكتب القاهرة

٨٥) ينظر حاشية الخضري(محمد بن مصطفى، ت١٢٨٧) على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، دار الفكر للطباعة، ج٤٧٣/١ .

٨٦) ينظرالتراكيب الاسنادية(الجمل الظرفية – الوصفية – الشرطية) علي أبو المكارم، ط١، مؤسسة المختار القاهرة ٢٠٠٧م، ص٩

٨٧) مغني اللبيب ، ابن هشام الأنصاري، ج١٣/٥

٨٨) ينظرالمصدر السابق .

ذلك : (الجملة إمـا أن تتألف في صورتها من اسم واسم أو فعل مع اسم وكل تعبير آخر عدا ذلك لا يعدو إلا أن يكون صورة أخرى لهذين الأصلين) [٨٩]

الجملة الاسمية

جعل النحويون الأوائل العبرة من تسمية الجملة اسمية أو فعلية مسألة التصدر لما لهذا المتصدر من أهمية وكونه لا مجرد ركن في الجملة وإنما الركن الأساسي في التركيبة ، فالجملة الاسمية عرفها النحويون (بأنها التي يتصدرها اسم) كما ذكرنا ذلك عند ابن هشام في المغني ولكن لا بد من الإشارة إلى حقيقة مهمة هي أن المتصدر يشترط فيه كونه طرفاً إسنادياً من الجملة كقوله تعالى { الله يبدأُ الْخَلْقَ ثُم يعيده ثُم إِليه تُرجعون } (الروم١١) بينما في قوله تعالى { فَفَرِيقاً كَذبتُم وفَرِيقاً تَقْتُلُون } (البقرة٨٧) لا تعد الجملة اسمية لأن تصدر الاسم هنا ظاهري وليس طرفاً إسنادياً [٩٠] . وتكون الجملة اسمية اذا كانت مؤلفةً من المبتدأ والخبر، نحو "الحق منصور" أو مما أَصلُه مبتدأ وخبر نحو "إن الباطلَ مخذولٌ. لا ريب فيه. ما أَحد مسافراً. لا رجلٌ قائماً. إن أَحد خيراً من أَحد إلا بالعافية. {... ولَاتَ حين منَاصٍ } " [٩١] ولو اردنا أن نعرفَ المبتدأ والخبر فلا نكتفي بالمسند والمسند إليه لأن المسند اليه يدخل فيه الفاعل أيضاً فعرفه ابن الحاجب بأنه (الاسم المجرد عن العوامل " اللفظية مسندا إليه، أو الصفة الواقعة بعد حرف النفي وألف " الاستفهام رافعة لظاهر، مثل زيد قائم، وما قائم الزيدان " " وأقائم الزيدان؟ فإن طابقت مفردا جاز الامران)[٩٢] وعلق عليه الرضي قائلاً:(اعلم أن المبتدأ اسم مشترك بين ماهيتين، فلا يمكن جمعهما في حد، لأن الحد مبين للماهية بجميع أجزائها، فإذا اختلف الشيئان في الماهية لم يجتمعا في حد، فأفرد المصنف لكل منهما حدا، وقدم منهما ما هو الاكثر في كلامهم)[٩٣] أمـا الخبر فهو كل ما أسندته

---

٨٩) معاني النحو لفاضل السامرائي ١٥/١

٩٠) ينظرالجملة الاسمية للدكتور علي أبو المكارم ١٨

٩١) ينظرجامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني، ط٣٦، (مراجعة وتنقيح د.محمد اسعد النادري) ، المكتبة العصرية ، بيروت ،٢٠٠٠ م (١١١/١)، (ولَاتَ حين منَاصٍ) جزء من آية ٣ في سورة ص .

٩٢) ينظرشرح الرضي على الكافية، الرضي الاسترابادي (تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر) منشورات جامعة قان يونس، بنغازي ط٢ / ١٩٩٦م . ج١ / ٢٢٣

٩٣) المصدر السابق ١ / ٢٢٣

إلى المبتدأ وحدثت به عنه وذلك على ضربين مفرد وجملة [٩٤] وغالباً ما يكون الخبر نكرة ويعزز ذلك ابن جني فيقول: (فإن اجتمع في الكلام معرفة ونكرة جعلت المبتدأ هو المعرفة والخبر هو النكرة) [٩٥]

ويرى الدكتور مهدي المخزومي أن القدماء قد وقعوا في تعسف وارتباك فيحاول تصحيح ما وقعوا فيه فيخرج بتعريف يدخل في كل القسمين ـ الجملة الفعلية والاسمية ـ ما هو منه ويخرج من كليهما ما ليس منه ، فيقول عن الجملة الاسمية : (إنها التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت ، أو التي يتصف فيها المسند إتصافاً ثابتاً غير متجدد) [٩٦].

فيتضح لنا أن ما يأخذه على القدماء ويخص البصريين على الأغاب هو قياس الجملة الاسمية بتصدرها بالاسم فقط وقد بات واضحاً من تعريفه أنه يريد من إتصاف المسند بالثبات والتجدد هو أن يكون اسماً كذلك فيرفض إسمية جملة (البدر طلع) ما دام فيها المسند (الخبر) فعلاً، ووافقه في ذلك الدكتور إبراهيم أنيس الذي يعتبر الجمل التي كان المسند فيها فعلاً متأخراً عن المسند إليه جملاً فعلية قدم فيها المسند إليه بمقتضى أسلوب بلاغي هو القصر [٩٧].

ولكن مذهب التجدد والحدث في الجملة الفعلية الذي أتبع المخزومي فيه الجرجاني لم يكن عاماً فقد خصه الجرجاني بالفعل المضارع فقال :(فإذا قلتَ : زيد ها هو ذا ينطلقُ . فقد زعمتَ أن الانطلاقَ يقع منه جزءاً فجزءاً وجعلته يزاولُه ويزجيه) [٩٨] . بينما نجد المخزومي يعمم في تعريفه للجملة الفعلية الأفعال ـ ماضيها ومضارعها ـ بنحوٍ عام .

الجملة الفعلية

عد النحاة الجملة الفعلية بأنها الجملة (المصدرة بفعل) بيد أن هذا المفهوم لا يمكن قبوله في جميع تصانيف الجملْ، كأن يتصدر الجملة ولا تعد مع ذلك أنها فعلية وقد ذكرنا ذلك في مفهوم الجملة الاسمية، ويقول الدكتور أبو المكارم : (محورالجملة الفعلية هو الفعل وجوداً وعدماً فإذا

٩٤) اللمع في العربية لابن جني ١/ ٢٦

٩٥) المصدر السابق ١/ ٢٦

٩٦) في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي ٤١

٩٧) ينظرمن أسرار اللغة، أبراهيم أنيس ٣١١

٩٨) دلائل الإعجاز، عبد القاهـر الجرجاني ١٤١

وجد الفعل وجدت الجملة الفعلية وإذا انتفى الفعل انتفت الجملة الفعلية) [٩٩] ويكاد النحويون يجمعون على أن تعريف الفعل هو " كلمة تدل على معنى في نفسها وهي مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة "[١٠٠]

وقال الأنباري عن الجملة الفعلية: (ما كان الجزء الأول منها فعلا ، نحو (زيد ذهب أبوه)) [١٠١] ألم تكن الصورة لتكون أوضح لو كانت الجملة (ذهب أبو زيد) ولكن ينجلي الغموض حين نعلم أن هذا الحديث كان في باب (خبر المبتدأ) وأصبح واضحاً أنه يقصد بالجزء الاول المسند المتمحور حوله الكلام والتعاريف في الجملة الفعلية كونه المصدر للكلام كما أسلفنا الذكر .

ويرى النحاة القدماء أن تقدم الفاعل على الفعل يجعله مبتدأ، ويعلل ابن الوراق لهذه المسالة المهمة قائلاً (إن المفعول إذا تقدم على الفعل فليس ثم عامل آخر يوجب نصب المفعول ، فيجب ألا يخرج عما كان عليه في حال التأخير، وأما الفاعل فإنه إذا تقدم على الفعل أمكن أن يقدر له عامل غير الفعل، وهو الابتداء وعمله رفع، كعمل الفعل في الفاعل ، فلما كان الابتداء سابقا لذكر الفعل ، وجب أن يعمل فيه)[١٠٢] ولا يجيز ابن السراج تقدم الفاعل على الفعل مبرهناً ذلك بمثال تطبيقي جميل (قام زيد) لا يجوز أن تقدم الفاعل فتقول : زيد قام فترفع (زيداً) بقام ويكون (قام) فارغاً ولو جاز هذا لجاز أن تقول : (الزيدان قام والزيدون قام) تريد : (قام الزيدان وقام الزيدون) [١٠٣] ويقوي الدكتور فاضل السامرائي الرد بأدلة النحاة في دلالة التقديم والتأخير حيث يقول: فأنت تقول (حضر المسافرون) ثم تقول (المسافرون حضروا) فلو كان العمل واحداً عند التقديم والتأخير ما اختلف التعبيران [١٠٤].

ولا نخالف الدكتور مهدي المخزومي حين يعرف الجملة الفعلية، فيقول: (هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدد، ويكون المسند فيها فعلا لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها) [١٠٥] ولكن وفق كل الأدلة السابقة يكمن الإشكال في رفضه لفعلية جملة (البدر طلع)

---

٩٩) الجملة الفعلية ، علي أبو المكارم ٢٨١ .

١٠٠) ينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي ٢٥/١ .

١٠١) أسرار العربية لأبي البركات الأنباري، ط١، (تحقيق محمد حسين شمس الدين)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م، ص ٥٨

١٠٢) علل النحو لأبي الحسن الوراق، ط١، (تحقيق محمود جاسم محمد الدرويش) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٩٩٩م، ج ٢٧١/١

١٠٣) الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل ابن السراج، ط ٣، (تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي) ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٦م، ج ٢ / ٢٢٨ .

١٠٤) تحقيقات نحوية د. فاضل السامرائي، ط ١، دار الفكرللنشر والتوزيع ، عمان ،٢٠٠١ م ، ص٩٨

١٠٥) النحو العربي نقد وتوجيه د. مهدي المخزومي ٤١

ووصفها بـ(الاسمية في نظر القدماء والفعلية في نظرنا)[١٠٦] واعتقاده بفاعلية (البدر) وإن تقدم على فعله الذي لا يقبل بتقدير فاعل له يرجع إلى تأثره بالمذهب الكوفي واستدلالاتهم في هذه المسألة [١٠٧] ورفضهم لمنهج البصريين الفلسفي في التقدير فينشدون البساطة والابتعاد عن التأويل المخل بنظرهم .

ولا يبدو التأويل مخلاً إلا إذا أفرط فيه ، فما هو إلا "وسيلة لجأ إليها النحاة للتوفيق بين القواعد وبين النصوص المخالفة لها، والمنسوبة ـ في الوقت نفسه ـ إلى عصر الاستشهاد وتبين للنص بصورة تجعله آخر الأمر متفقاً مع القواعد المتبعة" [١٠٨] ثم إنهم – الكوفيين – جاء في منهجهم من التأويل ما يفي بإخضاعهم للأصول إلى الأمثلة – وإن كان لفظاً في شعر - المستعملة المسموعة لديهم فما يكادون يسمعون مثالاً يشذ عن أصل موضوع حتى يسرعوا إلى إعادة النظر في هذا الأصل ، وتغيره ، حتى يتلاقى مع المثال[١٠٩] !

وفضلاً على ما سبق من صحة آراء القدماء ـ أقصد البصريين ـ في عدم جواز تقدم الفاعل تبقى مساواة الدكتور مهدي المخزومي بين جملتي (طلع البدر) و (البدر طلع) وقصره الفرق على التقديم والتأخير في المسند والمسند إليه، وأنه لا يغير من طبيعة الجملة؛ لأنه إنما قدم للاهتمام به !! [١١٠]

ولكن ألا يكفي الغرض الرئيس من التقديم (العناية والاهتمام) فارقاً بين الجملتين ؟!! وهو الأساس الذي قام عليه الدرس البلاغي في باب التقديم والتأخير فاتحاً الباب أمام البلاغيين وعلماء الإعجاز لكشف أروع الدلالات في كتاب ا من خلال هذه الظاهرة الأسلوبية المهمة .

---

١٠٦) ينظرالمصدر السابق ٤٢

١٠٧) أجـازالكوفيون تقدم الفاعل تَمسكاً بنحو قول الزباء ت ٣٥٨ ق هـ (ما لِلْجِمال مشْيها وئيدا ...) ووجه الاستشهاد أن مشيها قد جاء مرفوعاً على أنه فاعل لوئيدا فتقدم الفاعل على الفعل (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري ٨٦/٢) وينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ٢٢٧/٦ ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي ٥١١/١ .

١٠٨) ينظرأصول التفكير النحوي علي أبو المكارم، ط ١، دار غريب للطباعة ، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٣١ - ٢٣٢

١٠٩) ينظرمدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، ط ٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، ١٩٥٨م ، ص ٣٩٦

١١٠) ينظرفي النحو العربي نقد وتوجيه د. مهدي المخزومي ٤٣

ا فاضلة بينهما

ذهب الدكتور مهدي المخزومي إلى عدم صحة ما ذهب إليه ابن هشام والبصريون من أن الاسم أصل للفعل وأن المصدر أصل المشتقات [١١١] مستنداً إلى أن الفعل في اللغات السامية ومنها العربية هو كل شيء ، فهو أساس التعبير ، وعد المصدر أصلاً للمشتقات أو للاشتقاق مخالفاً لأصله وجعل لتسليم البصريين بهذا المبدأ من تأثير اللغة الآرية على العربية أو في اللغات الهند أوربية هو أصل المشتقات جميعاً [١١٢] .

وفضلاً عما رأه القدامى من كون الجملة الاسمية أشرف من الجملة الفعلية[١١٣] ينبـري مـن المحدثين من يخرج باستنتاج يبرهن أفضلية الجملة الاسمية فيه ويجعل من ساحة الخلاف النحـوي مهداً لولادة هذا الاستنتاج من خلال الخلاف الذي نشأ بـين البصـريين والكـوفيين فـي رفـض البصريين تجويز الكوفيين لتقدم الفاعل[١١٤] أو نائبه على فعله مع بقاء الجملة فعليةً حسب منهجهم الأمر الذي يؤدي إلى تناقض مع ما تقرره اللغة والنحو معا من جواز دخول النواسـخ - التـي لا تدخل إلا على الجملة الاسمية - على الاسم المرفوع المتقدم فيتخذ الدكتور علي أبو المكارم من ذلك دليلا على اسمية الجملة ونفي فعليتها فخرج بقاعدة حتمية يقول فيها:(أن أصول التركيب اللغـوي المبتدأ والخبر وليس الفعل والفاعل) [١١٥].

وفي مسألة الثبوت للجملة الاسمية والحدوث والتغيير للجملة الفعلية نجد الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى {وإِذَا لَقُواْ الذين آمَنُواْ قَالُواْ آمنا وإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينهم قَالُواْ إِنا معكْم إِنما نَحن مستَهزِئُون }البقرة١٤ يقول:(فإن قلت : لِم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية ، وشياطينهم بالاسمية محققة بأن؟ قلت: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما ، لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم ، لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم ، وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه ، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك ، وهكذا

---

١١١) المصدر السابق ٤١

١١٢) المصدر السابق ٤٠-٤١

١١٣) ينظر خالد بن عبد ا الأزهري، (موصل الطلاب إلى قواعد الاعراب) ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٦ تحقيق د. عبد الكريم مجاهد ، ص ١٤٨ .

١١٤) ذكرنا هذه المسالة في الهامش رقم (٦) الصفحة السابقة .

١١٥) الجملة الفعلية للدكتور علي أبو المكارم ١٤١

كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد . وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة) [١١٦] وتابعه السكاكي في ذلك قائلاً(...تفاوت الجملتين الفعلية والاسمية تجددا وثبوتا)[١١٧] .

ولم يأخذ القزويني موقفا مخالفا فقال :(إن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت) [١١٨] .

ونجد السيوطي أكثر دقة في هذه المسألة عن سابقيه في قاعدة الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل فقال :(الاسم يدل على الثبوت والاستمرار والفعل يدل على التجدد والحدوث ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر فمن ذلك قوله تعالى {وكلبهم باسط ذراعيه} ولو قيل يبسط لم يؤد الغرض لأنه يؤذن بمزاولة الكاب البسط وأنه يتجدد له شيئاً بعد شيء فباسط أشعر بثبوت الصفة) **[١١٩]**.

ويضع الدكتور فاضل السامرائي النقاط على الحروف موضحاً كلام السيوطي ومؤيداً له فيه ومستدركاً على مقولة القزويني السابقة وواصفاً إياها بالتجوز الظاهر من خلال الأمثلة التي يوردها ويوضح أن المقصود هو أن الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على التجدد، فالجملة الاسمية لا تدل على الثبوت إلا إذا كان المسند اسماً، أما إذا كان فعلاً فلا تفيد ذلك إذ من المعلوم أن قولك :(هو يحفظ) جملة اسمية عندهم لأنه مبدوء باسم ولكن لا تفيد الثبوت وإنما هو من باب تقديم المسند إليه لغرض من أغراض التقديم كالاهتمام بالمسند إليه أو الحصر أو إزالة الشك ونحو ذلك بخلاف قولك (هو حافظ) [١٢٠].

وهذا يكون داعياً لأن تكون الجملة الاسمية جملة مؤكدة مفيدة بوضعها وما تمتلكه من قرائن الدوام والاستمرار للمعنى الذي تفيده ويذكر الدكتور عبدة قليقلة أنه لو كان خبرها جملة فعلية أو شبه جملة أفادت التجديد، وهذا يعني أن الجملة الاسمية في جميع حالاتها أفضل من الجملة الفعلية التي تقتصر بأصل وضعها على إفادة حدوث شيء ما في زمن معين [١٢١].

---

١١٦) الكشاف للزمخشري ١/ ٣٩

١١٧) مفتاح العلوم، سراج الدين أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ط ٢ ، دار الكتب العلمية , بيروت ، ١٩٨٧ م، ج ٩٤/١

١١٨) الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني(ت ٧٣٩هـ) ، ط ٤ , دار إحياء العلوم , بيروت , ١٩٩٨م . ج ٩٩/١

١١٩) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ط ١،(تحقيق سعيد المندوب) ، دار الفكر ، لبنان ، ١٩٩٦ م ، ج٥٧٨/١ .

١٢٠) ينظرمعاني الأبنية ، د. فاضل السامرائي، ط ٢، دار عمارللنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٧ م، ص ١٥-١٦

١٢١) ينظر البلاغة الاصطلاحية عبدة عبد العزيز قليقلة، ط ٣ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٢ م، ص ١٣٤

وهكذا تظهر الدلالة الجديدة للجملة الاسمية ولنأخذ على سبيل المثال جملة السامرائي (هو يحفظ) التي وإن لم تفد الثبوت لأن بدء الاسم فيه كان للاهتمام كما تقدم سابقاً ولكنه يحمل ميزة الجملة الفعلية في التجدد فهي إذن ـ الجملة الاسمية ـ متنوعة في دلالتها بين مسألة الثبات والتجدد وهذا ما لا تتميز به الجملة الفعلية وتكتفي بالتجدد فقط .

أثر الإعراب في التقديم والتأخير

من المداخل المهمة بل والأساسية لظاهرة التقديم والتأخير في الدراسات النحوية ضمن نطاق التراكيب اللغوية وعلاقة الكلمات فيما بينها لتأليف الجملة العربية نلج من باب الإعراب الذي يعد خير ظاهرة تضبط التقديم والتأخير الذي به يحفظ لكل لفظ موقعه في بناء الجملة مقدماً ورد أو مؤخراً، لأن الاتجاه المعياري للغة كما يقول الدكتور يحيى عبابنة :(يتوجه إلى وضع الأسس والقواعد التي ينبغي لابن اللغة أن يلاحظها ويطبقها إذا ما أراد استخدام اللغة استخداماً صحيحاً)[١٢٢] فهذا يفرض ترتيباً خاصاً للجملة العربية لا ينبغي على وفقه الحياد عنه إلا لضرورة نحوية او بلاغية ؛ مبرزاً المعاني المقصودة، وإلا عـد من باب الغموض الذي لا يزيد النص إلا تعقيداً وتفريغاً لقيمته البلاغية ومن أسباب الفقدان لفصاحته.

تعريفه

الإعراب في اللغة البيان يقال: أعرب عن حاجته إذا أبان عنها ، والإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها [١٢٣] ويجد السيوطي(الابانة عن المعاني) المعنى الاصطلاحي المناسب للإعراب من بين عشر معانٍ يعرضها [١٢٤] وقد ذهب الأنباري إلى ذلك قبله [١٢٥]. وجاء في شذور الذهب (أثَر ظَاهر َأو مقَدر يجلبه الْعاملُ في آخرِ الاسمِ المتَمكنِ والْفعل

١٢٢) علم اللغة المعاصر، د.يحيى عبابنة ود.آمنة الزعبي ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن ٢٠٠٥ ، ص ١٥

١٢٣) ينظرشرح المفصل لابن يعيش ٧١/١ وينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع جلال الدين السيوطي ٥٣/١

١٢٤) ينظرهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ٥٣/١

١٢٥) ينظر أسرار العربية ابن الانباري ٣١-٣٣

المضارع)[١٢٦] ويعرفه الاستاذ عباس حسن بأنه (تغير العلامة التي في آخر اللفظ ، بسبب تغير العوامل الداخلة عليه، وما يقتضيه كل عامل) [١٢٧] وأراني أميلُ للتعريف الأول لما يعربه عن حقيقته وكونه أقرب ما يكون من الوظيفة الدلالية للإعراب وهي كشف المعاني، ومما يدعم وجهة النظر هذه عندي آراء البصريين في الإعراب إنه إنما دخل الكلام في الأصل لمعنى وهو الفصل وإزالة اللبس والفرق بين المعاني المختلفة بعضها من بعض من الفاعلية والمفعولية إلى غير ذلك [١٢٨] ويعد تمام حسان كلام البصريين أعلاه قاعدة من القواعد الكلية لا تنتمي الى باب نحوي معين[١٢٩] .

أهميته وفائدته

للجملة العربية مجموعة من الأصول لا بد من مراعاتها لتحقيق الغاية الرئيسية منها ألا وهي إيصال الفكرة للسامع وإفهامه إياها، ومن هذه الأصول الإظهار، والوصل، وحفظ الرتبة ويعدل عن هذه الأصول بدلائل توجبها أو مقاصد تجوزها، ويقول تمام حسان :(كما لا يكون الحذف إلا بدليل ولا يكون الإضمار إلا بوجود المفسر، ولا يكون الفصل بغير الأجنبي ، فكذلك التقديم والتأخير لايكون إلا مع وضوح المعنى وحيث لا تكون الرتبة واجبة الحفظ) [١٣٠]، ومعنى لا يكون هو (إلا مع حصول الفهم)، يأتي أثر الإعراب المهم وأهميته ليحافظ على وضوح المعنى، ويقول الدكتور فاضل السامرائي: إن الاعراب من أهم ما يؤدي إلى الإفهام ويزيل اللبس، فإنك بالإعراب تعرف مواقع الكلام ومعانيه [١٣١] وإنما يصلح التقديم والتأخير إذا كان الكلام موضحاً عن المعنى؛ نحو: ضرب زيدا عمرو؛ لأنك تعلم بالإعراب الفاعل والمفعول [١٣٢]

---

١٢٦) شرح شذور الذهب ابن هشام الأنصاري، ط ١،(تحقيق عبد الغني الدقر)، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق ،١٩٨٤ م، ص ٣٣

١٢٧) النحو الوافي، عباس حسن، ط٣ ، دار المعارف بمصر، ج ٤٦/١

١٢٨) ينظرالانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، دار الطلائع ، القاهرة، ص ٣٧

١٢٩) ينظر الاصول، تمام حسان ١٢٥

١٣٠) المصدر السابق ١٢٢

١٣١) الجملة العربية والمعنى، فاضل السامرائي، ط ٢ ، دار الفكر ، عمان ، ، ٢٠٠٩ م، ص ٦٤

١٣٢) ينظرالمقتضب للمبرد ٣ / ٩٥ - ٩٦

في كل مسألة يدخلها اللبس يجب أن يقر الشيء في موضعه؛ ليزول اللبس. وإنما يجوز التقديم والتأخير فيما لا يشكل. تقول: ضرب زيد عمرا، وضرب زيدا عمرو؛ لأن الإعراب مبين. فإن قلت: ضرب هذا هذا، أو ضربت الحبلى الحبلى، لم يكن الفاعل إلا المتقدم[١٣٣].

ولو أقتصر في البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره لضاق المذهب ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب [١٣٤].

والاتساع أو التوسع في المعنى هو أن يؤتى بتعبير يحتمل أكثر من معنى وتكون كل هذه المعاني مرادة، ويرى فيها الدكتور فاضل السامرائي من دقائق التعبير وحسنه وروعته ما يعجز عن وصفه القلم [١٣٥] فالتقديم والتأخير من مواطن التوسع في المعنى الذي لا يتم إلا حين يأمنه الاعراب من الوقوع في اللبس، ويقول الزجاج :(إنهم إنما فعلوا ذلك ليتسعوا في كلامهم ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك او المفعول عند الحاجة الى تقديمه وتكون الحركات دالة على المعاني) [١٣٦].

وقد ساعدت القرائن في تجاوز الرتب المحفوظة معنوية كانت تلك القرائن نحو: أكل كمثرى عيسى ، خرق الستر المسمار - أو اللفظية كضرب عيسى الكريم موسى ، ضربت موسى سلوى – في العدول عن أصل الجملة بدون حصول لبس ويقول ابن جني :(ومع هذه القرائن يمكن أن تقدم وتؤخر كيف شئت) [١٣٧] حيث سمح العنصر الدلالي بالتقديم والتأخير لأنه يقوم بالدور الذي كانت العلامة الإعرابية تقوم به، وهو ـ العنصر الدلالي ـ إحدى الوسائل التي أصطنعتها اللغة للتمييز بين العناصر بعضها وبعض في الجملة[١٣٨]، وبغياب هذه القرائن وأخص المعنوية تأتي الفائدة الكبيرة من الإعراب الذي يعد من القرائن اللفظية حيث يأمن الكلام من اللبس ويوفر علينا تفصيل الكلام والإطالة فيه بداعي التوضيح وتوليد المعاني الجديدة وزيادة سعة المساحة التعبيرية[١٣٩] وبغياب الإعراب والقرائن المعنوية لا يبقى إلا لزوم الرتب ولا يكون المتقدم إلا الفاعل على المفعول والمبتدأ على الخبر...يقول الرضي:(فإذا انتفت العلامة الموضوعة للتمييز بينهما أي

١٣٣) ينظر المصدر السابق ٣ / ١١٨

١٣٤) شرح المفصل، موفق الدين يعيش ابن علي ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية – مصر، ج ٧١/١

١٣٥) ينظر الجملة العربية والمعنى فاضل السامرائي ١٤٢

١٣٦) الإيضاح في علل النحو ٦٩-٧٠ للزجاج ، وينظرشرح المفصل لابن يعيش ٧٢/١

١٣٧) الخصائص ابن جني،(تحقيق محمد علي النجار) ،المكتبة العلمية ، بيروت ، ، ١٩٥٢م، ج ١ / ٣٥

١٣٨) ينظر النحو والدلالة محمد حماسة عبد اللطيف ١٤١

١٣٩) ينظر الجملة العربية والمعنى د. فاضل السامرائي ١٩٩، ٢١٦

الاعراب، لمانع، والقرائن اللفظية والمعنوية التي قد توجد في بعض المواضع دالة على تعيين أحدهما من الاخر، كما يجيئ فليلازم كل واحد منهما مركزه ليعرفا بالمكان الأصلي)[١٤٠] وبدون الإعراب ما كان ليحصلَ أي تغير في النظام التركيبي ولما تولدت دلالات جديدة وما أمكن تلمس مواطن الروعة والجمال فيه .

ولا يبقى سوى أن أختم بهذه المقولة الدقيقة للجرجاني وهو يبين فائدة الاعراب (إن الألفاظَ مغلقةٌ على معانيها حتّى يكون الإعراب هو الذي يفتحها وأن الأغراض كامنةٌ فيها حتى يكون هو المستخرِج لها وأنه المعيار الذي لا يتبين نُقصان كلامٍ ورجحانه حتى يعرض عليه)[١٤١] .

الخاتمة

إنّ المادة التطبيقية في هذه الرسالة من دراسة مواضع التقديم والتأخير والمقابلة بينها في آيات القرآن المتشابهة لفظاً يبين لنا نقطة مهمة في حقل التخصص، فلو كان مجال تطبيق ظاهرة التقديم والتأخير في القرآن الكريم بشكل عام لن يجعل للمتشابه اللفظي نصيب وافر بين الشواهد الأخرى بل ستكون جزءاً منها منثورة في ثناياها.

بيد أن دراسة هذه الظاهرة في المتشابه اللفظي على حدة دون غيره من آيات الذكر الحكيم سيؤتي أكله من إحاطة بالمادة، ودقة في النتائج كون مجال التطبيق محصوراً في هذه الآيات من حيث إخضاعه للتحليل والتوجيه، حيث سيأتي المتشابه اللفظي على أصله وعلى قياسه المعهود مرة و معدلاً عن أصله مرة أخرى، بينما معالجة وتحليل الآيات في غير المتشابه اللفظي ستجعل الموجه والمفسر متسائلاً عن الأصل في ذهنه ومقارناً إياه بالصورة الموجودة أمامه، وأسوق على سبيل المثال مقتطفاً من دلائل الإعجاز للجرجاني فيقول وهو يحلل قولُه تعالى{ وجعلوا ـ شُركاء الجِن } الأنعام ١٠٠" ليس بخاف أن لتقديمِ الشركاء حسناً وروعةً ومأخذاً من القلوبِ أنتَ لا تجد شيئاً منه ِإن أنتًّ أخرتَ فقلتَ : وجعلوا الجن شركاء وأنك ترى حالك حالَ من نُقلَ عن الصورة المبهجة والمنظرِ الرائق ... والسبب في إن كان ذلك كذلك هو أن للتقديم فائدةً شريفةً . ومعنى جليلاً لا سبيلَ ِإليه مع التأخيرِ[١٤٢]. وترى الكثير من الكتاب والعلماء وبدافع تجسيد عظمة التعبير القرآني

١٤٠) شرح الرضي على الكافية ١٩٠/١

١٤١) دلائل الإعجاز، الجرجاني ٤٢

١٤٢) دلائل الإعجاز، الجرجاني ٢٢١

يفترضون التركيب في ترتيبه الأصلي فيتصورونه (وجعلوا الجن شركاء) فيدور ببالي ولماذا لا يكون الأصل : (وجعلوا الجن من شركاء ا)، أو(وجعلوا من الجن شركاء)، أوبشكل مخالف للترتيب أيضاً كأن يكون (وجعلوا شركاء من الجن) أو (وجعلوا مع ا شركاء من الجن) ... فتكثر الاحتمالات التي تنعدم مع المتشابه اللفظي؛ فلما كان التشبيه مستدعياً لطرفين مشبه ومشبه به ، واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر[١٤٣] توفر في دراسة المتشابه اللفظي ما يجعلنا إن شاء ا نقف عند دلالات ما كنا لنقف عليها مع غيرها من الآيات وا ولي التوفيق .

١٤٣) ينظر مفتاح العلوم، السكاكي ١٥٧

المبحث الثاني

المتشابه اللفظي

معنى المتشابه اللفظي

المتشابه اللفظي لغة :

يقول ابن منظور(ت٧١١ هـ) :(تشابه الشيئان واشتبها : أشبه كل واحدٍ منهما صاحبه . والمشتبهات من الأمور:المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات ..وأمور مشتبهة ومشبَّهة : مشكلة يشبه بعضها بعضاً) (١٤٤) وفي قوله تعالى {... وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ... } البقرة ٢٥، أي يشبه بعضه بعضا لونا لا طعماً وحقيقة (١٤٥) فكذلك المتشابه اللفظي تكاد التراكيب أن تتماثل لفظاً ولكن تختلف دلالةً باختلاف الظواهر اللغوية فيها .

١-١- المتشابه اللفظي إصطلاحاً :

هناك تعاريف عدة للمتشابه اللفظي، وأقدمها تعريف الحسن البصري الذي وقف عند قوله تعالى { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ ...} الزمر٢٣ فقال:(تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آية تشبهها)(١٤٦)

ذكره الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه في النوع الخامس من أنواع علوم القرآن إذ قال:(وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك)(١٤٧) ويريد بالقصة الواحدة أنَّ اللفظ أو التركيب قد يرد بصورة متشابهة مع اختلاف يسير بين ألفاظها بالتقديم والتأخيرأو بالزيادة والنقصان أو استبدال لفظ مكان آخر وتعريف لفظٍ في موضع وتنكيره في آخر ... ولا يأتي أي من هذهِ التغيرات اعتباطاً بل فيها حكمة ربانية وتعجيز للإنسان بعدم قدرته على الإتيان بمثلها . ولنا وقفة مع محققي كتب المتشابه اللفظي

---

١٤٤) لسان العرب لابن منظور، ط ١، دار صادر، بيروت، ج١٣/ ٥٠٣ – ٥٠٤ .

١٤٥) ينظر المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)،(تحقيق محمد سيد كيلاني)، دار المعرفة، لبنان، ص ٢٥٤ .

١٤٦) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ط ١، (تحقيق أحمد محمد شاكر) ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٠ م، ج٢٧٩/٢١ .

١٤٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١١٢/١ ، وينظرالاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٦٥/٢ حيث ذكره في النوع الثالث والستين (في الآيات المتشابهات) وينظر فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي ت د. حسن ضياء الدين عتر، ص٣٧٦

ورؤيتهم للمتشابه. فيقول صبيح تميم إنه (المتشابه في الرسم، والمتكرر بألفاظ متماثلة أومتقاربة، وهو لون من ألوان الإعجاز الأسلوبي، والفن
الرفيع في الأداء والتعبير والنظم، حال التكرار والإعادة لغرض ما)[١٤٨]

أمَّا محقق كتاب (كشف المعاني) فيقول إنها:(نوع مستقل بذاته يقصد به الإعجاز اللغوي بالتصرف في الأسلوب بنقله من مكان إلى مكان في القصة الواحدة، أو الموضوع الواحد لغرض بلاغي لا يدركه إلا أصحاب اللغة الذين خوطبوا بالقرآن وهم أرباب الفصاحة، وجهابذة البلاغة، وأساطين البيان. مع الاحتفاظ بالمعنى[١٤٩].

وفي مقارنة بين كتابي برهان الزركشي وإتقان السيوطي وبعد تتبعه لكتب المتشابه يخلص الدكتور حازم سعيد إلى نتيجة أنَّ الزركشي هو أول من وضع تعريفاً للمتشابه[١٥٠] ولعل هذا ما يبرر اعتماد كتب المتشابه ـ بعد الزركشي ـ لتعريفه المشهور.

ومن التعاريف التي تتسم بطابع شمولي للمتشابه اللفظي وتحدد تميزه عن غيره من آيات الذكر الحكيم ما نلحظه فيه من تأثير الظواهر الأسلوبية التي تعد من خواص الاستعمال القرآني نجد تعريف أبو زينة حيث يقول (هو الكلام المعاد في أكثر من موضع بأساليب بيانية مختلفة)[١٥١]

ومع وجود كل هذه التعاريف فإنها تشمل الفكرة عامة ؛ لأنَّ المتشابه اللفظي مع كثرة الدراسات والكتابات فيه لم تحصر مفرداته وتحصَ بشكل تام حتى الآن حتى يوضع لها تعريف موحد وثابت .

معرفة المتشابه اللفظي من المتشابه المعنوي المقابل للمحكم

إنَّ التمييز بين المتشابه اللفظي وبين المتشابه المعنوي المقابل للمحكم بات أمراً ضرورياً مع كثرة الدراسات في هذا العلم المهم. فمسألة الالتباس بينهما لا تقتصر على العامة بل لم يسلم منه المتخصصون أيضاً، وفصل الزركشي بينهما. فذكر في النوع السادس والثلاثين

---

١٤٨) مقدمة المحقق، متشابه القرآن للكسائي ت .د صبيح تميم، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس ، ١٩٩٤م، ص ٧

١٤٩) مقدمة المحقق، كشف المعاني في المتشابه من المثاني بدر الدين ابن جماعة ت. د . عبد الجواد خاف، دار الوفاء للنشر, مصر،١٩٩٠م، ص ٤٥- ٤٦ .

١٥٠) ينظر علوم القرآن بين البرهان والإتقان (دراسة مقارنة) للدكتور حازم سعيد حيدر ١٥٢ ، مكتبة دار الزمان السعودية ١٤٢٠هـ

١٥١) الحذف والذكر في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم منصور محمود أبو زينة، رسالة ماجستير ، الجامعة الاردنية ، عمان ,٢٠٠٢م، ص ١٤-١٥

(معرفة المحكم من المتشابه)[١٥٢] وبحثه السيوطي في الإتقان (في المحكم والمتشابه) تحت النوع الثالث والأربعين [١٥٣]

ليس الخوض في التفريق بينهما مجالاً للبحث في هذه الرسالة، ولكن نخلص إلى حقيقة مهمة وهي أنَّ المتشابهين اللفظي والمعنوي نقيض المحكم وإن كانا من علوم القرآن ولكنهما مستقلان يفترقان في أنَّ المتشابه المعنوي خفيت دلالاته كعلم الغيب والساعة وفواتح السور ... في حين كشفت أغلب دلالات اللفظي من خلال جهود العلماء الذين تخصصوا في توجيه هذه الآيات بما أنعم الله عليهم من ملكة البيان وعلوم اللغة ففتح لهم على درجة إخلاصهم وتوجههم إليه تبارك وتعالى ، ومن أشهرالكتب في

المحكم والمتشابه المعنوي :

١- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)
٢- حقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)
٣- حل الآيات المتشابهات للشيخ الجليل الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني[١٥٤] (ت ٤٠٦هـ)
٤- متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) وقد تشابه الأخير على بعض العلماء قديماً وحديثاً فظنوا أنَّه في المتشابه اللفظي .
٥- متشابهات القرآن لمحمد بن عبد المؤمن الدمشقي المصري المعروف بابن اللبان (ت٧٩٤هـ).
٦- تفسير الآيات المتشابهات للشيخ ملا علي القارئ (ت ١٠١٤هـ).

وأختم بكلمات رائعة لبديع الزمان سعيد النورسي يبين القصد من المتشابه بتصوير جميل يكشف عن مدى مراعاة الخالق لمخلوقه متحبباً إليه في قوله :(إن الجمهور إنما يتصورون حقيقة التصرف الإلهي في الكائنات بصورة تصرف السلطان الذي استوى على سرير سلطنته. ولهذا اختار الكناية في (الرحمن على العرش استوى) واذا كانت حسيات الجمهور في هذا المركز فالذي يقتضيه منهجُ البلاغة ويستلزمه طريقُ الإرشاد رعاية إفهامهم واحترامُ

---

١٥٢) ينظر البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ٢ / ٦٨

١٥٣) ينظر الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٢ /٥ ، وذكره في معترك الأقران في إعجاز القرآن في الوجه التاسع من وجوه إعجازه : إنقسامه إلى محكم ومتشابه، ط ١، (ضبط وتصحيح أحمد الشمس الدين) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص ١٠٣

١٥٤) شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، محمود توفيق محمد سعد ، ط ١ ، الأزهر ، ١٤٢٢هـ ٣/ ١٨١-١٨٢

حسياتهم، ومماشاة عقولهم ومراعاة أفكارهم. كمن يتكلم مع صبي فهو يتصبى في كلامه ليفهمه ويستأنس به. فالأساليب القرآنية في أمثال هذه المنازل المرعي فيها الجمهور تسمى بـ"التنزلات الإلهية الى عقول البشر"، فهذا التنزل لتأنيس اذهانهم. فلهذا وضع صورَ المتشابهات منظاراً على نظر الجمهور. ألا ترى كيف أكثر البلغاء من الاستعارات لتصور المعاني الدقيقة، أو لتصوير المعاني المتفرقة!

فما هذه المتشابهات إلا من أقسام الاستعارات الغامضة، إذ إنها صور للحقائق الغامضة.

... فيا أيها المرتاب! أفلا يكون من عين البلاغة تقريب مثل هذه الحقائق العميقة البعيدة عن أفكار الجمهور الى أفهام العوام بطريق سهل؟ اذ البلاغة مطابقة مقتضى الحال فتأمل..) [١٥٥]

المتشابه اللفظي والتكرار

التكرار من القضايا الكبيرة في القرآن الكريم ، تكلم فيها الكثير من العلماء الذين تفرقوا بين نافين وجوده ومجيزين له بعلل التذكير والتقرير والتأكيد ... وأخرى كثيرة بدافع الغيرة على كتاب الله والدفاع عنه من خبث نَوايا بعض المستشرقين وتلامذتهم الذين جعلوه باباً يعيبون فيه تكرار مواضع معينة من القرآن كقصة سيدنا موسى عليه السلام ، فردَّ عليهم صاحب الظلال قائلاً: (قد يحسب أناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى ، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق ، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار) [١٥٦] وذكر النورسي (أن القرآن الكريم يظهر نوعاً من إعجازه البديع أيضا في تكراره البليغ لجملة واحدة أو لفظة ، وذلك عند إرشاده طبقات متباينة من المخاطبين إلى عدة معانٍ ، وعِبَر كثيرة في تلك الآية أو القصة فاقتضى التكرار ، حيث إنه كتاب دعاء ودعوة ، كما أنه كتاب ذكر وتوحيد ، وكل هذا يقتضي التكرار . فكل ما كرر في القرآن الكريم إذاً من آية أو قصة إنما يشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة)[١٥٧] ويقول رحمه الله : كما أنَّ القرآنَ بمجموعه قوتٌ وقوّة للقلوب لايُمَلُّ

---

١٥٥) إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز لبديع الزمان سعيد النورسي ، دار الانبار للنشر ، العراق ، ١٩٨٨م، ص ١٨٩

١٥٦) في ظلال القرآن سيد قطب : ١ /٦٤ .

١٥٧) المعجزات القرآنية . بديع الزمان سعيد النورسي . دار الأنبار للنشر، العراق، ١٩٩٠م ، ، ص ١٨٤-١٨٥ .

على التكرار بل يُستحلى على الإكثار منه، كذلك في القرآن ماهو روح لذلك القوت كلما تكرر تلألأ وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه[١٥٨].

ومن الآيات المتشابهة تماماً كقوله تعالى { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً } الشرح ٥-٦ عدها الباقلاني(ت٤٠٣ هـ) من التكرار في القرآن[١٥٩]، ولكن ينفي الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) ذلك فيقول:(إنَّه ليس بتكرار؛ لأن المعنى: إن مع العسر، الذي أنت فيه من مقاساة الكفار يسرًا في العاجل، وإن مع العسر، الذي أنت فيه من الكفار يسرًا في الآجل. فالعسر واحد واليسر اثنان)[١٦٠]

ومن جميل ما قاله الشعراوي لمن يقولون بالتكرار في القرآن الكريم :(فالآيات في الموضوع الواحد ليست تكراراً، إنما هو تأسيس بلقطات مختلفة، كل لقطة تؤدي في مكانها موقعاً من العِظَة والعبرة، بحيث إذا جمعتَ كل هذه المكررات الظاهرة تعطيك الصورة الكاملة للشيء) [١٦١] وأضم صوتي بشدة إلى كل من نادى بعدم وجود التكرار في القرآن فما جاء مقصوداً لا يمكن بأي وجه من الوجوه أن يأتي متكرراً ويقول الدكتور فاضل السامرائي : (إنَّ التعبير القرآني تعبير فني مقصود. كل لفظ بل كل حرف فيه وضِعَ وضعاً فنياً مقصوداً، ولم تُراعَ في هذا الموضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل رُوعي في هذا الموضع التعبير القرآني كله) [١٦٢].

السياق ينفي التكرار

مما يدحض القول بالتكرار في القرآن قضية السياق الذي يعد قاعدة مهمة من القواعد التي تعين على توجيه المتشابه اللفظي، وتثبت أنَّ تشابه الآيات لفظاً ليس تكراراً لا موجب له، ومن خلاله تنكشف الدلالات المختلفة للآيات ويأتي هذا مع التأني وإطالة التأمل في النص وحواليه. يقول ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) (وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا

---

١٥٨) إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز لبديع الزمان سعيد النورسي ترجمة.إحسان قاسم الصالحي، ص٣٤

١٥٩) ينظر إعجاز القرآن للباقلاني، ط١ ،(تحقيق السيد أحمد الصقر)، دار المعارف ، القاهرة، ص ٥٥/١

١٦٠) أسرار التكرار في القرآن حمزة الكرماني، (دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق أحمد عبد التواب عوض) ، دار الفضيلة، ص ٢٥١

١٦١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ، د.م: أخبار اليوم، قطاع الثقافة، ص ٢٦٧٥ .

١٦٢) التعبير القرآني ، د.فاضل صالح السامرائي، ط ٧ ، دارعمار للنشر ، عمان ، ٢٠١٠ م، ص ٩ .

فائدة في تكريره فإن رأيت شيئا منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه، لتنكشف لك الفائدة منه) [١٦٣]

ويقول الدكتور محمد القاضي: (إنَّ الدراسات أوضحت أن التكرار غير موجود في القرآن، فقد تتشابه المعاني وتختلف التراكيب التي تحملها، لاختلاف جانب من سياقها، وقد تتشابه التراكيب وتختلف سياقاتها تماماً)[١٦٤] فيكون السياق بالمحصلة هو الفاصل والناقض لقضية تكرار آي القرآن لوروده بشكل متشابه، بل هو الحَكم في دراسة البيان القرآني كما يقول الدكتور صلاح الخالدي [١٦٥].

وفي تأثير دلالة السياق في العناصر النحوية كالتقديم والتأخير يقول الدكتور ممحمد حماسة عبد اللطيف :(ولا ينكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها)[١٦٦] وهذا كلام يقال في إطار الجمل الاعتيادية فكيف بالتراكيب القرآنية العظيمة **؟!** حيث يخلص الدكتور فاضل السامرائي من خلال عرضه لقدر كافٍ من الأمثلة القرآنية دلالتها الواضحة على دقة التعبير القرآني وأنه لم يقدم لفظة على لفظة إلا لغرض يقتضيه السياق[١٦٧]

الهدف من الكتابة في المتشابه اللفظي

١- **مسألة الإعانة على حفظ القرآن** : فقد ذكر الكسائي هذا السبب (ليكون كتابنا هذا عوناً للقارئ على قراءته، وتقوية على حفظه)[١٦٨] فكتاب الكسائي لم يكن في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً، وسنوضح لاحقاً أن المصنفات في المتشابه اللفظي انقسمت بادئ الأمر إلى مصنفات معجمية جمعت هذه الآيات فقط دون توجيه وأخرى توجه معاني ودلالات

١٦٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير ١٤٩/٢

١٦٤) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم (رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق) د. محمد محمود القاضي، ط١، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٢٧٨

١٦٥) ينظر اعجاز القرآن البياني ودلائل مصادره الرباني،صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط١، دار عمار للنشر، عمان ٢٠٠٠م ،ص ١٨٦

١٦٦) النحو والدلالة ، محمد حماسة عبد اللطيف ١١٣

١٦٧) ينظر التعبير القرآني ، فاضل السامرائي، ص ٧٦

١٦٨) متشابه القرآن لأبي الحسن لكسائي ، ت د. صبيح التميمي ٥٠

هذه الآيات، وما يؤكد سبق القراء إلى هذا التصنيف وغرضهم منه مقالة ابن المنادي (ت ٣٣٦هـ) في مقدمة كتابه (متشابه القرآن) " ولم يبق إلا النوع الذي استحدثه فريق من القراء، ولقبوه (المتشابه) وإنما حملهم على وضعه إياه للقرّاء رداً من سوء حفظهم.." [١٦٩] وقد اقتصر ابن المنادي في سياق أسماء بعض مصنفي المتشابه على ذكر القراء[١٧٠] وكما بدا واضحاً فإنَّ أوائل هذه المصنفات كانت من إعداد القراء وللحفاظ خصوصاً فيقول الدكتور لبيب جبران: (إنَّ أغلب من صنف فيه بدون توجيه هم القراء وذلك بغرض التعرف عليه لعدم الوقوع في الخلط بينهما، فهي خاصة للحفاظ ولم تقصد هذه المصنفات بيان السر في هذا المتشابه ولم يتعرضوا إلى تحليله بلاغياً [١٧١]

ويجعل الكرماني وهو من شيوخ القراء أصول هذا العمل الكبير من جهود القراء، وهو منهم، ويوضح أيضاً في معرض كلامه غرضهم إلى مسألة الحفظ ومراعاة تجنب الوقوع في اللبس، فحتى وهو يوجه هذه الآيات لا ينسى أن يرد الفضل إلى أهله، فيقول وهو يتناول سورة الأحزاب بتوجيه المتشابه اللفظي فيها:(ذهب بعض القراء إلى أنه ليس في هذه السورة ما يذكر في المتشابه، وبعضهم أورد فيه كلمات، وليس في ذلك كثير تشابه، بل قد يلتبس على الحافظ القليل البضاعة، وعلى الصبي القليل التجارب)[١٧٢]

ويبدو غرض هذه المصنفات وهدفها واضحاً من خلال تسمياتها نحو (هداية المرتاب وغاية الحُفّاظ والطُّلاب في تبيين متشابه الكتاب) لعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، (عون الرحمن في حفظ القرآن) لأبي ذر القلموني، (دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ في آيات القران الكريم) ليحيى عبد الفتاح الزواوي، (دليل الحيران لحفظ القرآن) إعداد مزاحم طالب العاني .

٢- **الرد على الطاعنين والملحدين** : يقول الخطيب الاسكافي (ت٤٢٠ هـ) (ففتقت من اكمام المعاني ما أوقع فرقاناً وصار المبهم المتشابه وتكرار المتكرر تبياناً ولطعن الجاحدين رداً

---

١٦٩) متشابه القرآن، ابو الحسن أحمد بن جعفر ابن منادي، (تحقيق الشيخ عبد ا الغنيمان) ، مطبوعات الجامعة الاسلامية , المدينة المنورة ، ١٤٠٨ هـ، ص ٥٩

١٧٠) ينظر المصدر السابق، ص ٦١

١٧١) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الاسكافي والغرناطي . لبيب محمد جبران صالح، ط ١، دار الفاروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٠م ، ص ٣٧

١٧٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن محمود بن حمزة الكرماني، ط١, (تحقيق عبد القادر أحمد عطا) ، دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٨٦م ، ص ١٥٥

ولمسلك الملحدين سداً) (١٧٣) ويعود في نهاية كتابه فيقول:(هذا آخر ما تكلمنا عليه من الآيات التي يقصد الملحدون التطرق منها إلى عيبها)(١٧٤) ولم يكن ابن الزبير (ت ٧٠٨هـ) أقل غيرة منه على الاسلام بل وأشد حرصاً على الوفاء بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأشتهر بتصديه لأهل البدع ومقاومتهم (١٧٥) فألف كتابه المشهور (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) لدحض شبهة التكرار والقطع بذوي الالحاد والتعطيل القائلين بأن تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيهما مما خالفت فيه نظيرتها ليس لسبب تقتضيه وداع من المعنى يطلبه ويستدعيه (١٧٦) ومن هنا جاءت التسمية.

وقد أثارني سؤال وأنا أقرأ ما مفاده أنّ الاسكافي أول من كتب في توجيه المتشابه وهو المتوفى (٤٢٠ هـ) ، فهل كانت الحاجة منتفية إلى مثل هذا العلم حتى يتأخر إلى هذا الزمن **!؟** فوجدت رداً مقنعاً وهو أنَّ المتقدمين من المفسرين لم يعنوا بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن وبيان علة اختلاف الألفاظ لعدم الحاجة إلى مثل هذا النوع من المباحث في التفسير في زمنهم ، لأنه لم ينضج إلا عندما صنفت الكتب في الرد على الطاعنين في القرآن وتآلف نظمه (١٧٧)

.

إنَّ المتأمل لنشأة علم المتشابه اللفظي الذي عد واحداً من تلك العلوم الشريفة الكريمة من علوم القرآن، سيجد براعمه الأولى قد نبتت محدودةً في أحضان أئمة القراء لتيسير حفظ القرآن وصوناً له من الغلط الذي كان يقع فيه الحفاظ سهواً فينتقلون من آية إلى أخرى ، ومن سورة إلى سورة أخرى، ثم سيجد كيف أنَّ هذا العلم نما وربا على أيدي كبار العلماء ليشهد الانتقالة العظيمة، إذ لم يكتفِ بمجرد الجمع المحصور في الأهداف التعليمية بل انتقل إلى

---

١٧٣) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ، اطروحة دكتوراه , جامعة ام القرى , السعودية , ٢٠٠١م، تحقيق، محمد مصطفى آيدن ٢١٨

١٧٤) المصدر السابق ١٣٧٥

١٧٥) ينظر ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل،في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل , ط ١ , (تحقيق سعيد الفلاح) , دار الغرب الاسلامي ,لبنان ، ١٩٨٣م، ص ٦٦

١٧٦) دراسة المتشابه اللفظي من آيات التنزيل في كتاب ملاك التأويل لابن زبير الغرناطي، محمد فاضل السامرائي، ط ٣ , دار عمار للنشر ،عمان ، ٢٠١١م، ص ١٤٥ .

١٧٧) ينظر هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب علم الدين السخاوي ،(تحقيق عبد القادر الخطيب الحسني)، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٤م مقدمة المحقق ٣٥-٣٦

التفسير والتوجيه والخوض في توضيح أسباب مجيء الآيات المتشابهة لفظاً على تلك الهيئة وبيان إختلافاتها وما كانت هذه الهمم لتنهض إلا تحقيقاً لإرادة رب العالمين في أن يتدبَّرَ عبادهُ آيات كتابه وأن يتنافس المتنافسون حرصاً في حفظه لفظاً وفهمه معنىً من خلال تجليات دلالاته وروائع معانيه وعظمة بيانه الذي يشب يوماً بعد يوم .

أهمية دراسة المتشابه اللفظي والبحث فيه

١- إنَّ المقارنة والمقابلة بين الإيات المتشابهات تمثل عوناً كبيراً لحافظ كتاب الله على ضبط حفظه ضبطاً مبنياً على أصول وأسس علمية يطمئن معها إلى تلاوته لكل آية من تلك الآيات في مواضعها دون لبس أو تبديل .

٢- قد تجد معاني غامضة في بعض الآيات فتأتي آية أخرى متشابهة لترفع اللبس والإشكال مبينة الحكمة والدلالة فيها .

٣- ردٌ على الطاعنين فيها بأنَّ ينبري الباحث ـ حسب تخصصه وعلمه ما استطاع ـ بواجبه في البحث في هذه الآيات الكريمات بما يفتحه الله تبارك وتعالى عليه على درجة إخلاصه فيكون سبباً في حفظ كتاب الله عزوجل وخدمته وهي أشرف مهمة وأعظم تحصيل يحوزه المسلم في حياته لتكون ذخراً لآخرته .

٤- معرفة أصول بناء الجملة العربية من خلال المقابلات الربانية بين التراكيب القرآنية في أصولها وبينها وقد عدلت عن ترتيبها الأصلي فتكون هناك نظرة أشمل تتسع للنص بأكمله من خلال دفعها للباحث بدراسة سياق الآيات فتظهر محاسن الدلالات وروعة صياغتها المشرقة .

٥- تفتح أبواباً عظيمة لدراسة مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ويبدو المستويان الأخيران في هذه الرسالة أكثر وضوحاً من غيرهما كون الجهد فيهما منصبة على الجملة وتحليل نظمها، فهو منطلق مهم لدراسة تراكيب القرآن الكريم ودراسة ألفاظه، ولا يخفى الظهور الكبير أيضاً للمستويين الصوتي والصرفي في ما اختلف من الآيات المتشابهة لفظاً من حيث الفك والإدغام.

٦- الدعوةُ إلى الله من أوجب الواجبات، وتدبرُ آيات القرآن وفهم معانيه ومعرفة أسرار تكرار آياته وإرتباطها بالأغراض والدلالات ونفي عبثيتها يكون زاداً للداعي في سفره

إلـى الله ووسيلة مهمـة من وسـائله، لـذا وجـب هذا التـدبر ـ والعمل بـه ـ لأن مـا لا يـتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب حسب المستوى والتخصص .

٧- إنَّ التقديمَ والتأخيرَ في الآياتِ المتشابهة لفظاً التي تأتي مرة على الأصل وأخرى وقد عدلت عنه لتعرفنا بوجوه التعبير وأصول القواعد التي بنيت عليها اللغة لهي دعوة إلى أن تخضع كل القواعد اللغوية لسلطان كلام الله، لا الاستكانة إلى آراء جمع من أهل اللغة الداعين إلى ضرورة توافق آيات القرآن مع القاعدة النحوية وأن تخضع لسلطانها. وفي هذا يقول الاستاذ سعيد الأفغاني: " ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرىء القيس، أو لزهير، أو لجرير، أو الحطيئة، أو الطرماح، أو لأعرابي أسدي، أو سلمي، او تميمي، او من سائر أبناء العرب لفظاً في شعر، أو نثر، جعله في اللغة، وقطع به، ولم يعترض فيه، ثم إذا وجد الله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً، لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه، ويحرفه عن موضعه، ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه" [١٧٨] .

٨- مَثّلَ المتشابه اللفظي في آيات الكتاب تحدياً عظيماً للعرب عن عجزهم الإتيان بمثله مع أنه من لغتهم وهم ما هم عليه من الفصاحة والطلاقة وملكة البيان، {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} البقرة٢٣ فعدَّ وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم ومسلكاً دقيقاً لبيان أسراره ودلالاته ، وقد عده السيوطي كذلك (الوجه السادس من وجوه إعجازه ومشتبهات آياته)[١٧٩] ولا بدَ لآيات كتاب الله والمتشابهات من ضمنها أن يكون لهذا الإعجاز فيها وجوهاً فيرجعها ابن عاشور التونسي إلى جهات ثلاث :

الجهة **الأولى**: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة ، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم .

الجهة **الثانية** : ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب ، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة .

١٧٨) في أصول النحو، سعيد الأفغاني، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ٣٢ ، ٤٥

١٧٩) ينظر معترك الأقران في إعجاز القرآن جلال الدين السيوطي ٦٦

الجهة **الثالثة** : ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة ، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القرآن من علمائنا مثل أبي بكر الباقلاني والقاضي عياض، فيخلص إلى أنَّ إعجاز القرآن للعرب الحاضرين دليل تفصيلي ، وإعجازه لغيرهم دليل إجمالي (١٨٠) وبدا واضحاً من الجهتين الأولى والثانية خصوصية إعجاز الآيات المتشابهة لفظاً كونها نظماً مفيدةً لمعان دقيقة لا يفيده أصل اللغة ولم تتعهدها أساليب العربية من قبل .

تقسيمات المتشابه اللفظي

بدا واضحاً من خواص علم المتشابه اللفظي أنَّ محاولة حصر تعريفه محاولة اجتهادية، فكذلك أنواعه وأقسامه، فقد صنف فيه ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) وقسمه إلى ثلاثة أقسام :الإبدال، والزيادة والنقص، والتقديم والتأخير(١٨١) ولم يعتن بدر الدين بن جماعة بتبويب صور المتشابه اللفظي وحصر أمثلتها؛ فكتابه يعتبر تفسيراً للقرآن والمتشابه اللفظي منطلق له، فتتوافق توجيهات ابن جماعة مع تقسيمات الزركشي كما يرى المحقق(١٨٢).

وتقسيم الزركشي للمتشابه اللفظي ثمانية أقسام (١٨٣) جاء ثمرة اطلاعه على مصنفات الأئمة الذين سبقوه في كتب المتشابه فجعله على النحو التالي:

يعالج في الفصل الأول: المتشابه باعتبار **الأفراد** وهو على أقسام:

الأول: أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه وهو يشبه رد العجز على الصدر ووقع في القرآن منه كثير ففي البقرة {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ} وفي الأعراف {وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً} ...

الثاني: ما يشتبه بالزيادة والنقصان : في البقرة { فأتوا بسورة من مثله} وفى غيرها بإسقاط من لأنها للتبعيض .

---

١٨٠) التحرير والتنوير، الطاهرابن عاشور التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧ م، ١ / ١٠٤

١٨١) ينظر كتاب ابي فرج الجوزي المدهش، ط٢، (ضبطه وصححه وعلق عليه الدكتور مروان قباني) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ١٨-٢٢ ، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، ط ١، (تحقيق حسن ضياء الدين عتر) ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٢٠-٤٧٠ .

١٨٢) ينظر مقدمة المحقق لكشف المعاني في المتشابه من المثاني بدر الدين ابن جماعة ت د.عبد الجواد خلف ٤٧ ، ٥٨

١٨٣) ينظر البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ١/١١٢-١٣٢

الثالث: التقديم والتأخير وهو قريب من الأول ومنه في البقرة: {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ} مؤخر وما سواه: {يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}.

الرابع: بالتعريف والتنكير كقوله في البقرة: {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} وفي آل عمران: {بِغَيْرِ حَقٍّ}.

الخامس : بالجمع والإفراد كقوله في سورة البقرة: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً} وفى آل عمران: {مَعْدُودَاتٍ}.

السادس: إبدال حرف بحرف غيره كقوله تعالى في البقرة: {اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا} بالواو وفي الأعراف: {فَكُلا} بالفاء.

السابع إبدال كلمة بأخرى: في البقرة: {مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}، وفي لقمان: {وَجَدْنَا}.

الثامن: الإدغام وتركه:في النساء والأنفال: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ}، وفي الحشر بالإدغام.

والفصول من الفصل الثاني إلى الفصل الخامس عشر يقصد الزركشي وهو يقول على حرفين أو على ثلاثة أحرف ...عدد المرات التي وردت فيها التراكيب متطابقة تماماً أو متشابهة مع وجود اختلافات يسيرة غير التي ذكرت في الفصل الأول ويصل لغاية ثلاثة وعشرين حرفاً[١٨٤].

المصنفات والكتب في المتشابه اللفظي

كما فرقنا سابقاً بين المؤلفات التي جاءت في المتشابه اللفظي والمتشابه المعنوي نقيض المحكم فلا بد من التفريق بين ما كتب في تصنيف المتشابه اللفظي جمعاً للآيات فقط بدون توجيه لها أو بيان علة وبين ما كتب في توجيهها وموضحاً الاختلاف بينهما .

١-الكتب والمصنفات المنفردة بجمع الآيات المتشابهة لفظاً بدون توجيه

ويمكن أن تُعدَّ هذه المصنفات في بدايتها معاجم[١٨٥] لجمع الآيات المتشابهة لفظاً فكانت دراسات المتقدمين موجهة للحُفّاظ بادئ الأمر لتكون عوناً لهم في حفظهم لكتاب الله، وحتى لا يحصل لديهم لبس بين هذه الآيات، ولم تكن هذه المصنفات موضحة للعلل والأسباب ومبينة الاختلاف بين الآيات ولا معتنية بتوجيهها، ويشير الكرماني إلى هذه المصنفات قائلاً: (فإنَّ الأئمة رحمهم الله تعالى قد شرعوا في تصنيفه وأقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها ولم

---

١٨٤) ينظر البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ١٣٢/١ - ١٥٣

١٨٥) إن لم تكن تسمى هكذا في بداية نشأتها فإن ممن صنفوا فيها من المحدثين اصطلحوا على تسمية المعجم مثل المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظاً في القرآن الكريم للدكتور محمد زكي محمد خضر، ط١ , عمان ,٢٠٠١م .

يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه)[١٨٦]، وهذه المصنفات هي كالآتي :

١- (متشابه القرآن) لعلي بن حمزة الكسائي ت ١٨٧ هـ وهو أول[١٨٧] من صنف في المتشابه اللفظي .

٢- (متشابه القرآن العظيم) لأبي الحسين المنادي (ت ٣٣٦هـ).

٣- مجموعة كتب ذكرها ابن النديم تحت عنوان (الكتب المؤلفة في متشابه القرآن) دون أن أقع على شيء من أسماء مصنفاتهم فيها، والكتب هي (كتاب محمود بن الحسن، كتاب خلف بن هشام، كتاب القطيعي، كتاب نافع، كتاب حمزة، كتاب علي بن القاسم الرشيدي، كتاب جعفر بن حرب المعتزلي، كتاب مقاتل بن سليمان ـ ربما يكون كتاب الوجوه والنظائرفي القرآن الكريم، والله أعلم ـ، كتاب أبي على الجبائي، كتاب أبي الهذيل العلاف)[١٨٨]

٤- (هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب)[١٨٩] لعلي بن محمد السخاوي (ت٦٣٤ هـ).

كتب المحدثين :

١- الآيات المتشابهات (حكم وأسرار- فوائد وأحكام) د. عبد الله الطيار[١٩٠].

٢- دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم ، د. محمد عبد الله الصغير .

٣- دليل الآيات متشابهة الألفاظ، أ.د سراج صالح الملائكة [١٩١].

٤- دليل الحيران في متشابهات القرآن للشيخ عبد المنعم كامل شعير.

٥- تنبيه الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ ، محمد المسند .

١٨٦) البرهان في متشابه القرآن ، الكرماني، ص ٢٠

١٨٧) قال السيوطي (أفرده بالتصنيف خلق أولهم **فيما أحسب** الكسائي) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٦٥/٢ ، وينظر كشف الظنون حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله القسطنطيني) ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م ، ج١٥٨٤/٢، ولكن بحسب ماذكره ابن النديم في النقطة الثالثة أعلاه لا يكون الكسائي أو من صنف في المتشابه اللفظي .

١٨٨) ينظر الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة , بيروت , ١٩٧٨م ، ص 55 وينظر متشابه القرآن العظيم لابن منادي وهو يذكر بعض هؤلاء القراء وتأليفهم في المتشابه اللفظي بدون ذكر اسم المصنف ٦١-٦٢

١٨٩) منظومة جمع فيه السخاوي الآيات المتشابهات في٤٣١ بيتاً تضم مختصر بعض الآيات لتسهيل الحفظ للطلاب

١٩٠) ط ١ دار التدمرية، السعودية ٢٠٠٩.

١٩١) ط ٤/ مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ٢٠٠٦ .

٦- أضواء على متشابه القرآن الشيخ خليل ياسين .

٧- متماثلات القرآن لعبد المجيد النجار .

٨- المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظاً الدكتورمحمد زكي محمد خضر.

٩- دليل الحيران لحفظ القرآن إعداد مزاحم طالب العاني [١٩٢].

١٠- إغاثة اللهفان في ضبط متشابهات القرآن لعبد الله عبد الحميد الوراقي .

١١- دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ في آيات القران الكريم. يحيى الزواوي[١٩٣].

١٢- عون الرحمن في حفظ القرآن لأبي ذر القلموني [١٩٤].

١٣- التوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القران عبد الغفور عبد الكريم البنجابي[١٩٥].

٢- الكتب والمصنفات المنفردة بجمع الآيات المتشابهة لفظاً مع التوجيه .

١- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي (ت٤٢٠ هـ) .

يُعَدُّ من أهم كتب هذا الفن ولربما يعود السبب إلى انه كان أول من فتح أبواب هذا العلم. قال في سبب عزمه على التأليف في هذا العلم: (تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين ،وفتشت على أسرارها معاني المتأولين المحققين المتبحرين،فما وجدت أحداً من أهلها بلغ غاية كنهها، كيف؟ ولم يقرع بابها ولم يفتر لهم عن نابها ،ولم يسفر عن وجهها)[١٩٦] ولم ينسَ ابن الزبير فضل الإسكافي فقال عنه: (ورد علي كتاب لبعض المعتنين من جلة المشارقة ـ يقصد الإسكافي ـ نفعه الله، سماه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل، قرع به مغلق هذا الباب، وأتى بصفو من التوجيهات لباب...)[١٩٧] قام الإسكافي بحصر الآيات المتشابهة لفظاً حسب الترتيب القرآني للسور وللآيات في السور وبحث عن الاختلافات فيها معللاً وموجهاً إياها وأنتهج استقصاء الآيات المتشابهة بعد أن يكون قد جعل الآية الأولى أصلاً مقيساً عليه ملحقاً بها البقية من المتشابهات ابتداءً من السورة نفسها إلى ما جاءت في بقية السور، وجاء كتابه مبنياً على طريقة السؤال والجواب (للسائل أن يسأل ... الجواب أن يقال ...) ولا يخفى مما

١٩٢) دار الإيمان، مصر(لم تذكر الطبعة ولا سنة الطبع في الكتاب).

١٩٣) ط٣ ، مكتبة السنة ببور سعيد، مصر ٢٠٠٧.

١٩٤) ط١، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ، ١٩٩٢

١٩٥) ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٩٩٤

١٩٦) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي دراسة وتحقيق وتعليق محمد مصطفى آيدين ٢١٨

١٩٧) ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل،في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل تحقيق سعيد الفلاح ١٤٦

في هذه الطريقة من تعلق للإجابة في ذهن القارئ لا يحصل فيه لبس وحسب هذا المؤلَّف فضلاً إنَّ اعتماده على المنهج التطبيقي في تحليل وبيان أسرار الآيات جعل له قدم السبق والقدوة التي يقتدى بها لمن بعده كالجرجاني ثم الزمخشري وهم رموز هذا المنهج الكبير[١٩٨]

٢- البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) .

وكسابقه الإسكافي وضَّحَ الكرماني منهجه في تخصص كتابه في حصر وتوجيه الآيات المتشابهة لفظاً ولكنه زاد التوضيح في بيان الاختلاف في الظواهر الأسلوبية التي اختصت هذه الرسالة بأحدها وهو التقديم والتأخير، فيقول الكرماني: (فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان. وأبين ما السبب في تكرارها والفائدة في إعادتها وما الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها وتمتاز بها عن أشكالها من غير أن أشتغل بتفسيرها وتأويلها)[١٩٩]

بدأ بالفاتحة وانتهى بسورة الناس، اعتمد في كتابه على كتاب الخطيب الإسكافي فيروي عنه في أكثر من موضع[٢٠٠] مصرحاً بذلك غالباً، ويستدرك عليه ما فاته مع الاختصار والإيجاز غير المخلين، وكان الكرماني أكثر دقة في جمعه للآيات المتشابهات ، تأثر به خلفٌ من بعد. وأكثر من لحظ فيه ذلك في أثناء توجيه الآيات هو الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) الذي يكاد كتابه (بصائر ذوي التميز في لطائف كتاب الله العزيز) يكون هو نفسه برهان الكرماني بل صورة طبق الأصل عنه حين يذكر المتشابه ويقول الدكتور محمد القاضي:(إنَّ الفيروزابادي أخذ كتاب الكرماني كاملاً وفرقه على مواضع المتشابه في كتابه بصائر ذوي التميز)[٢٠١]

---

١٩٨) ينظر المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ،صالح عبد الله محمد الشثري، اطروحة الدكتوراه , جامعة أم القرى , المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٠ م، ص ٢٧

١٩٩) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ١٩-٢٠ .

٢٠٠) ورد اسم الخطيب ١٨ مرة في أسرار التكرارفي القرآن الذي هو نفسه كتاب البرهان وحققه أيضاً عبد القادر عطا تحت عنوان (أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) دار الفضيلة .

٢٠١) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم (رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق) د. محمد القاضي ٢٦

٣- ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن زبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)

وقف هذا المؤلَّفُ جبلاً شامخاً كما يبدو من عنوانه بوجه من تعلق بالآيات المتشابهة للطعن في كتاب الله (وشأن هؤلاء التعلق بأدنى احتمال من غير تسليم لما وراء ذلك) واستشعرت وأنا أقرأ له غيرته على الدين، وسعيه لتحقيق هدفه الرئيسي من هذا الكتاب المتمثل في أمره عزوجل { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } ص٢٩، وسطر على أساسه أروع توجيه برأي مستدركاً ما أغفله سلفه الكرام وهو يذكرهم بمنتهى الاحترام وذلك خلق علمائنا الأجلاء فقال رحمه الله :(وإنَّ من مغفلات مصنفي أئمتنا، رضي الله عنهم، في خدمة علومه، وتدبر منظومه الجليل ومفهومه، توجيه ما تكرر من آياته لفظاً أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير)[٢٠٢].

ويعد الزركشي كتاب الملاك الأبسط بين من تقدمه (وهو أبسطها في مجلدين)[٢٠٣] ويفضله السيوطي على سابقيه، فيقول: (وألف في توجيهه الكرماني كتابه البرهان في متشابه القرآن وأحسن منه درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله الرازي وأحسن من هذا ملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير)[٢٠٤] وانتهج ابن الزبير نهج الإسكافي فيقول:(فأعتمد عين ما ذكره من آيات ومستدركاً ما تذكرته مما أغفله)[٢٠٥] فمجموع الآيات التي تناولها الخطيب الإسكافي كان(٢٧٣) آية بينما بلغ ما تناوله ابن الزبير(٣٧٧) آية فيكون عدد ما أغفله صاحب درة التنزيل (١٠٤) آية[٢٠٦] ومن مميزات ابن الزبير أنه لا يعيد الحديث في الآية المتشابه الثانية بعد أن قابل بينها وبين الأصل الأولى بعكس الكرماني وابن جماعة والأنصاري، وتظهر شخصية الغرناطي واضحة في ثنايا الكتاب مستقلاً برأيه في توجيه الكثير من المتشابهات ومتميزاً بإنفراداته، واختلف عن الكرماني في أنَّه فصل وأسهب في التوجيه ولم يتوجه إلى الاختصار، كما سلك مسلك الإسكافي في طريقة السؤال والجواب

٢٠٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل،في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل تحقيق سعيد الفلاح ١٤٤-١٤٥

٢٠٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١١٠/١

٢٠٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٦٥/٢

٢٠٥) ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل،في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل تحقيق سعيد الفلاح ١٤٦

٢٠٦) ينظر ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل مقدمة المحقق سعيد الفلاح ١١٣ .

مقتدياً به ذاكراً فضله (وحق لنا بـه ـ لإحسـانه ـ أن نقتدي ونستن، فحرك من فكـري السـاكن، وأضربت عن فسحته بالاستدراك)[٢٠٧]

٤- فتح الرحمن بكشف ما يتلبس في القرآن لأبي يحيى زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ).

نترك أبا يحيى يكشف لنـا عن مصنفه فيقول:(وبعد، فهذا مختصـر مـن ذكـر آيـات القـرآن المتشابهات،المختلفة بزيادة،أو تقديم،أو إبدال حرف بآخر،أو غير ذلك،مع بيـان سـبب تكـراره، وفـي ذكـر أنمـوذج مـن أسـئلة القـرآن العزيـز وأجوبتهـا، صـريحاً وإشـارة ،جمعتـه مـن كـلام المحققين ،ما فتح الله بـه من فيض فضـله المتين" وسميته فتح الرحمن بكشـف مـا يتلبس فـي القـرآن)[٢٠٨] يقـول الـدكتور الشـثري: (إنَّ الانصـاري نقل توجيهـات الكرمـاني نصـاً ووأخـذ مـنهج ابـن جماعـة واختصـر الكثيـر ممـا عنـده مـن المسـائل بعـد أن وافقـه فيهـا ورتـب لبـاقي المسائل بحيث يعالج أكثر من ظاهرة في موضع من المتشابه[٢٠٩].

٥- كشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣هـ)

كان من المفروض بابن جماعة أن يأتي قبل (أبـي زكريـا) علـى حسب التسلسل التـاريخي للوفيات، ولكن كما ذكرنا سابقاً من كلام محقق كشف المعاني أن هذا الكتاب نـوع من التفسير متخصـص فـي جزئيـة المتشـابه اللفظـي أو فلنقل مهتم بـذلك، لأنـه يعـرض أحيانـاً لتوجيـه آيـة مفردة ليست من الآيات المتشابهة فيقصد توضيح المعنى منها كما في قوله تعالى: {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ }الشعراء٢٠، وقوله تعالى: {.. لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }إبراهيم٥ [٢١٠].

ذكره السيوطي قائلاً :(وللقاضي بدر الدين بـن جماعـة فـي ذلـك ـ يقصـد المتشـابه اللفظـي ـ كتـاب لطيـف سـماه كشـف المعـاني عن متشـابه المثـاني)[٢١١] ووضـح ابـن جماعـة منهجـه فـي مقدمة كتابه قائلاً:(فلما مَنَّ الله تعالى بالقرآن العزيز وحفظه وتحصيله، والوقوف على ما قدر مـن تفسـيره وتأويلـه، واتفـق إلقـاء دروس التفسـير فـي المـدارس، ومـا يظهـر فـي بحوثهـا مـن النفـائس، وربمـا لهـج بعض فضـلاء الحاضـرين بمسـائل حسـنة وغريبـة، وسـأل عن مناسـبات

٢٠٧) ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل،في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل تحقيق سعيد الفلاح ١٤٦

٢٠٨) فتح الرحمن بكشف ما يتلبس في القرآن لابي زكريا الأنصاري، ط ١, (تحقيق محمد علي الصابوني) ، دار القرآن الكريم ، بيروت , ١٩٨٣م مقدمة المؤلف ص ٨ .

٢٠٩) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ،صالح عبد الله محمد الشثري (رسالة علمية) ١١١

٢١٠) المصدر السابق ٩١، وهذا الكلام يؤخذ على الشثري لأنَّ الأنصاري رحمه الله كانت له إنفرادات عن سلفه كما سنرى في هذه الرسالة.

٢١١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٦٥/٢

ألفاظها لمعانيها الجميلة، مما لم يذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة، ولا ألمت به في أسفارها المسطورة من اختلاف ألفاظ معان مكررة، وتنويع عبارات فنونه المحررة، ومن تقديم وتأخير وزيادات ونقصان وبديع وبيان وبسط واختصار، وتعويض حروف بحروف أغيار، فتحل تلك الأسولة بما يفتح الله تعالى به إما منقول أو غير منقول، وقد استخرت الله تعالى في ذكر أجوبة ما على الخاطر منه باختصار لا غنى لفهمه عنه، وسميته كشف المعاني في المتشابه من المثاني)[٢١٢] سار على نهج من سبقه وبالأخص الكرماني في الإيجاز والاختصار في التوجيه وإن كان ابن جماعة يبسط المسألة أكثر منه وفي تأثر ابن جماعة بالكرماني الواضح يقول الدكتور صالح الشثري : (ولولا بعض الاختلافات بين الكتابين لقلنا هما نسخة واحدة لكتاب واحد، فوجه الشبه بينهما واضح في طريق توجيه الآيات، وكذلك في المنهج المتبع، وكذلك الأسلوب الذي يتم به إيضاح العلة، لكن العجيب أن ابن جماعة لم يشر إلى الكرماني، أو إلى البرهان بأي إشارة، مع أن الأدلة كثيرة على أنه أطلع على الكتاب، فكتاب البرهان كان معروفاً في بلاد الشام (مسقط رأس ابن جماعة)، والمدة الزمنية بينهما طويلة جداً فهي كافية لانتشار الكتاب)[٢١٣] وهذا لا يمنع أن شخصية ابن جماعة تميزت بالوضوح والفعالية في عرض التوجيه وإن كان متابعاً لمن قبله بعبارة أخرى وأسلوب مختلف[٢١٤]

٣- المرحلة المتوسطة

يمثل القاضي عبد الجبار مرحلة متوسطة بين من صنف وجمع فقط وبين من كتب ووجه، وسمى محقق درة التنزيل هذه المرحلة **بالتوجيه المدرج** في ثنايا كتب التفسير وعلوم القرآن والإعراب وغير ذلك،حيث يذكره المؤلف عند مناسبته، ولا يفرده بالبحث[٢١٥] فقال القاضي وهو يفسر سورة الكافرون :(وربما قيل في قوله تعالى { قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون } كيف يحسن ذلك في الحكمة مع التكرار الذي فيه ؟ وجوابنا أن لا تكرار في ذلك؛ لأن قوله تعالى:{ لا أعبد ما تعبدون } المراد به في المستقبل وقوله تعالى:{ولا أنتم عابدون ما أعبد} المراد به في الحال {ولا أنا عابد ما عبدتم} المراد به في المستقبل والحال

٢١٢) كشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة ٧٩ـ٨٠

٢١٣) متشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، صالح الشثري ٩٣

٢١٤) ينظر المرجع السابق ١٠٠

٢١٥) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي مقدمة المحقق مصطفى آيدن ٧٠/١ .

أي لا أعبد ما تقدمت عبادتكم له، ومن يعد ذلك تكراراً فمن قلة معرفته وتدبره؛ لأن ينظر إلى اللفظ ويعدل عن تأمل المعنى)[٢١٦]

وآثرت أن أجعل القاضي عبد الجبار(ت ٤١٥هـ) في هذا التسلسل حسب تسلسل الوفيات بين ابن المنادي (ت ٣٣٦ هـ) وبين الخطيب الاسكافي (ت٤٢٠ هـ) وأصبح عندي هذا التصور لأن المادة المعروضة عن هذا الموضوع تبرز المرحلة الانتقالية من التصنيف المجرد إلى التصنيف والتوجيه وجاءت هذه الخطوة الجبارة مع شكوك وإنكار المنكرين والمشككين والملحدين وطعونات الطاعنين ولينبري من فرسان الإسلام وخدم القرآن من يكون سبباً في حفظ كتاب الله الذي لم يعد يكفي مجرد التصنيف فيه بل أصبح مما لا بد فيه التوجيه وتوضيح الأسباب والعلل لورد الآية الكريمة مقدمة مرة في تركيبها ومؤخرة مرة أو معرفة في لفظ ما ومنكرة في أخرى ولماذا حذف حرف واستبدل مكانه بآخر في آية ثانية ...

ولا بد من الإشارة إلى أنَّ مرحلة مجرد التصنيف في جمع المتشابهات اللفظية لم تنتهِ مع ابن منادي بل استمرت كما عرضنا في الكتب السابقة[٢١٧] إلى عصرنا الحالي لتكون مؤلفات بإحصائيات أكثر دقة بتقدم التكنولوجيا ومرور الأيام وفيها وسائل أحسن لحفظ القرآن الكريم تتلاءم مع عصرنا هذا ، كما أنَّ عرض وتوجيه الآيات المتشابهة في ثنايا التفسير استمر بعد القاضي عبد الجبار فهناك " قطف الأزهار في كشف الأسرار " للسيوطي الذي جاء توضيح أسرار المتشابه اللفظي جزءاً فيه فنجده يقول: (أذكر فيه جمع ما وصل إلى علمي من كلام العلماء في نظم القرآني: من أسرار التقديم والتأخير،والتأكيد ،والحذف والإيجاز ،والإطناب ،والنكات البيانية :من التشبيه، والإستعارة،والكناية،والتعريض، والأنواع البديعية: من الإلتفات، والتورية ، والاستخدام، والجناس، والمشاكلة، والطباق، والمقابلة، إلى غير ذلك من أنواعه ،وسر ما أختلفت فيه الآيات المتشابهات من تقديم أوتأخير، أو زيادة، أو نقص ،أو إبدال كلمة بأخرى ...)[٢١٨] فبدا واضحاً عدم تخصص الكتاب بتوجيه المتشابه اللفظي بل وزاد المحقق أنَّ السيوطي لم يكتفِ بكل هذه العلوم بل ونبه في كتابه على القراءات المختلفة أيضاً مشهورة وشاذة وأخذ على السيوطي في غلبة طابع النقل عن الآخرين

٢١٦) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ٤٨٤ دار النهضة الحديثة لبنان

٢١٧) المصنفات التي ذكرناها في ص ٢٥-٣٦

٢١٨) قطف الأزهار في كشف الأسرار جلال الدين السيوطي، ط ١, (تحقيق الدكتور أحمد بن محمد الحمادي) ، وزراة الأوقاف والشؤون الاسلامية , قطر , ١٩٩٤م ، ص ٩٥- ٩٦ .

،حتى يكاد يكون كله عبارة عن مجرد نقولات، ومن النادر أن تعثر على كلام له نفسه، بخلاف كتاب معترك الأقتران[٢١٩]، وما دفعني إلى نقل هذه الحقيقة أنَّ بعض الباحثين[٢٢٠] يجعل هذا الكتاب في مصاف أمهات الكتب المختصة بتوجيه المتشابه اللفظي كدرة التنزيل(الإسكافي)، والبرهان(الكرماني)، وملاك التأويل (الغرناطي) ، ويمضي محقق (كشف المعاني) أكثر من ذلك ليخرج الكتاب من مصنفات علوم القرآن مبرراً عدم تبويبها لأقسام المتشابه اللفظي (أمَّا كتاب ابن جماعة الذي بين يديك فهو ليس من كتب علوم القرآن كـ((البرهان)) و ((الإتقان)) حتى يعتني بتبويب هذه الصور، أو يحصر أمثلتها، ولكنه كتاب تفسير متخصص في هذه الجزئية من جزئيات علم التفسير العام الكثير المتنوعة) [٢٢١] فيتجلى لنا بوضوح تميز وتخصص الدرة والبرهان والملاك في توجيه المتشابه اللفظي كما بدا لنا ذلك واضحاً في النقطة السابق .

كتب المحدثين

١- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم د. محمد القاضي .
٢- دراسة المتشابه اللفظي من آيات التنزيل في كتاب ملاك التأويل، محمد فاضل السامرائي.
٣- دراسات في كتب المتشابه اللفظي ، عطية صدقي الأطرش[٢٢٢]
٤- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية – صالح الشثري[٢٢٣]
٥- الحذف والذكر في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ، منصور أبو زينة [٢٢٤]
٦- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الاسكافي والغرناطي. لبيب محمد جبران صالح .
٧- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم – مشهور موسى المشاهرة[٢٢٥]
٨- من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم[٢٢٦]

٢١٩) المصدر السابق مقدمة المحقق ٨٢-٨٣ .

٢٢٠) أقصد محقق درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي مصطفى آيدن ، ينظر مقدمة المحقق ٨١ .

٢٢١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين ابن جماعة ت د. عبد الجواد خلف مقدمة المحقق ٥٨-٥٩

٢٢٢) رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية ١٩٩٧ م .

٢٢٣) أطروحة الدكتوراه من جامعة أم القرى (المملكة العربية السعودية) كلية اللغة العربية ، تخصص البلاغة ٢٠٠٠ م .

٢٢٤) رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية قسم التفسير ٢٠٠٢م .

٢٢٥) أطروحة دكتوراه من الجامعة الأردنية ، دراسة نحوية بلاغية ، كلية الدراسات العليا ، اللغة العربية وآدابها ٢٠٠٤ م .

٢٢٦) محمد بن علي الصامل ، ط١، السعودية دار اشبيليا ٢٠٠١م

٩- المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات عبد المجيد ياسين[٢٢٧]

١٠- استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات د. سعد عبد العظيم محمد .

١١- متشابهات آي القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية مقارنة، د. راشد أحمد جراري

كما لا ينبغي أن ننسى الدكتور فاضل السامرائي الذي استوعب أغلب الآيات المتشابهة لفظاً موجهاً إياها في مؤلفاته وعقد بينها مقابلات رائعة وأخص بالذكر كتابي:

١- لمسات بيانية . ٢- التعبير القرآني .

لقد فتح الإسكافي باب التوجيه في علم المتشابه اللفظي حين خصص كتابه فيه وعلى أثر ذلك أثيرت تساؤلات كثيرة منها بريئة تسعى لتدبر كتاب الله ومنها مغرضة تهدف للنيل منه ومن الاسلام من خلال تشابه ألفاظ القرآن، فنهض لها خير خلف لخير سلف لنصرة القرآن الكريم أمثال الكرماني وابن زبير الغرناطي يستدرك أحدهم على الآخر ما فاته ويزيد في حصر دقائق المتشابه اللفظي فجاءت بالمحصلة أعمالهم تحفاً رائعة تكمل بعضها بعضاً فما أغفل هذا عن ذكره ذكره ذاك، وكل حسب منظاره الفكري وخلفيته الثقافية فكانت هذه الكتب بحق أهم وأكبر المراجع لأغلب الدراسات اللغوية والبلاغية المهتمة بالإعجاز البياني للقرآن الكريم .

ومن كتب التفسير التي جاء المتشابه اللفظي في ثناياها :

١- الكشاف لجار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)

٣- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي (ت ٦٠٤هـ)

٤- الجامع لأحكام القرآن لشمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي (ت ٦٩١هـ)

٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف السمين الحلبي (٧٣٤هـ)

٧- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(ت٧٥٤هـ)

٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ)

٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود(ت ٩٨٢هـ)

١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم لشهاب الدين الألوسي (ت١٢٧٠هـ)

---

٢٢٧) ط١، بيروت دار ابن حزم ٢٠٠٥ م .

١١- التحرير والتنوير لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)

١٢- تفسير الشعراوي (ت ١٤١٩ هـ)

وكان ابن الزبير (ت ٧٠٨هـ) أغزرالأوائل جميعاً في استقصاء وتوجيه المتشابه اللفظي، وأخصُ بالذات مسائل التقديم والتأخير كوني قضيت وقتاً طويلاً في استقصائها وإحصائها، والعجيب أن من جاء بعده كابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) والأنصاري (ت ٩٢٦هـ) لم يبلغوا مبلغه مع تأخرهم عنه، ومع ما غلب عليهم من النقل عن الأوائل كالكرماني واتباع طرائقهم، فجاء ابن الزبير على رأس الهرم البياني في استقصائه وروعة معالجته وتوجيهه لمواطن التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي كما سيبدو واضحاً إن شاء الله في ثنايا البحث .

الفصل الثاني

(التقديم والتأخير في الإسناد والتراكيب)

وفيه مبحثان

المبحث الأول : التقديم والتأخير في الإسناد

المبحث الثاني : التقديم والتأخير في التراكيب

المبحث الأول

التقديم والتأخير في الإسناد

سبق أن تحدثنا عن مفهوم الإسناد في تعريف الجملة والاتجاهات التي توضح مفهومها وتكمن أهمية الإسناد في كونه الرابط بين أجزاء الكلام، فيقول الرضي (ت ٦٨٦هـ) : (أحد أجزاء الكلام هو الحكم، أي الإسناد الذي هو رابطة، ولا بد له من طرفين: مسند، ومسند إليه)[٢٢٨] وعرّفه الشريف الجرجاني[٢٢٩] بأنه (نسبة أحد الجزأين إلى الآخر، أعم من أن يفيد المخاطب فائدة يصح السكوت عليها أولاً. وفي عرف النحاة: عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة، أي على وجه يحسن السكوت عليه، وفي اللغة إظافة الشيء إلى الشيء)[٢٣٠] ويعرف الدكتور مهدي المخزومي هذه العلاقة بأنها (عملية ذهنية تعمل على ربط المسند بالمسند إليه)[٢٣١]، ويضرب مثال (هب النسيم) فتتمثل العلاقة بربط الهبوب بالنسيم ونسبته إليه .

وطرفا الإسناد هما ركنان أحدهما يتضمن معنى المنسوب والآخر يتضمن معنى المنسوب إليه، ويجعل الميداني هذين الركنين عنصرين في الجملة الكلامية ويجعل الثالث العلاقة الرابطة بينهما الممثلة بنسبة ذهنية، وقد يدل عليها بلفظ، أو بحركة[٢٣٢].

فالركن الأول المتمثل في (المسند إليه) هو إما فاعل الفعل أونائبه أو المبتدأ الذي له خبر أو ما كان أصله مبتدأ كـ (اسم كان) أو (اسم إن) وما يعمل عملها كاسم لا النافية للجنس أو المفعول الأول للأفعال التي تنصب مفعولين أو المفعول الثاني لأرى وأخواتها (الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل) أو مرفوع المبتدأ المكتفي به عن الخبر مثل(والدك) في أمسافر والدك ؟

والركن الثاني (المسند) هو الفعل التام أو شبه الفعل ويقصد به اسم الفاعل الذي يعمل عمل الفعل[٢٣٣] أو اسم الفعل أوالمبتدأ المكتفي بمرفوعه عن الخبر مثل (مخاص) في:أمخاص أنت لي ؟

---

٢٢٨) شرح الرضي على الكافية الاستراباذي ٣٣/١

٢٢٩) المقصود هنا الشريف الجرجاني، علي بن محمد ت٨١٦ ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، ط ٢ , (تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم)، دار الفكر , ١٩٧٩م . ج١٩٦/٢-١٩٧ .

٢٣٠) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ط ١ ، تحقيق ابراهيم الابياري , دار الكتاب العربي , بيروت ، ١٤٠٥ م، ص ٤٣/١

٢٣١) في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ٣١

٢٣٢) ينظرالبلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط١، الناشر : دار القلم+ الدار الشامية دمشق، ١٩٩٦ م ، ج ١/ ١٥٥

٢٣٣) ينظردليل السالك إلى ألفية ابن مالك لعبد ا بن صالح الفوزان، ، ط١، دارالمسلم للنشر والتوزيع ١٩٩٨م ، ج ١٧٣/١

أوخبر المبتدأ أو خبر كان أوخبر إن أوالمصدر النائب عن فعله أو المفعول الثاني للأفعال التي تنصب مفعولين أو المفعول الثالث لأرى وأخواتها (الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل) .

أما الركن الثالث فالمقصود به العلاقة أو الرابطة الذهنية، فبالنسبة للفظ نجد ضمير الفصل نحو قوله تعالى: { ... وا هو الغني الحميد } فاطر ١٥ يأتي ليدل على الإسناد في الجمل الاسمية فاصلاً بين المبتدأ والخبر المعرفة؛ ليؤذن من أول أمره بأنه خبر لا نعت[٢٣٤] وأما الحركة فقد ثبت بالاستقراء أن (الضمة) دائماً علم الإسناد، تلحق المسند إليه، أو صفة المسند أليه التابعة له[٢٣٥] .

ويعد الدكتور تمام حسان هذا الربط أو العلاقة من العلاقات السياقية أو القرائن المعنوية التي تربط بين عنصر من عناصر الجملة وبين بقية العناصر[٢٣٦] فعلاقة الإسناد هي نسبة عنصر الحدث الذي في معنى الفعل أو الوصف اى فاعله أو واسطة وقوعه أو محل وقوعه [٢٣٧] وهو يرجع سبب اهتمامه الشديد بعلاقة الإسناد؛ إلى اعتبارها قرينة معنوية لتميز المسند إليه من المسند في الجملة[٢٣٨] حيث تعرض بعض الحالات التي يلتبس المبتدأ فيها بالخبرعند تساوي طرفي الإسناد تعريفاً وتنكيراً، فيجب حينها تقديم المبتدأ على الخبر تجنباً لهذا الالتباس والالتزام بالترتيب المعهود ، نحو "محمد صديقي" ، "صديقي محمد" فإن المبتدأ في كلا المثالين هو المتقدم والخبر هو المتأخر[٢٣٩] بيد أن البلاغيين قطعوا الأمر في هذه القضية فالخبر عندهم هو المسند وهو الوصف للمسند إليه المبتدأ الموصوف نحو {ا نور السماوات والأرض} فالنور وصف تبارك وتعالى الموصوف جل جلاله به .

ويبدأ الجانب التطبيقي في الرسالة من المبحث القادم من خلال تناول طرفي الإسناد من تقدم المسند على المسند إليه فيما استقصيته من الآيات المتشابهة لفظاً أما (ما جاء على أصله فلا يسأل عن علته) [٢٤٠]، ولكن نعالجه كما بينا سابقاً دلالياً كمقابلة بين الأصل وبين العدول عنه للحصول

---

٢٣٤) ينظرالمفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، ط١ (تحقيق علي بو ملحم), مكتبة الهلال , بيروت ، ١٩٩٣م، ص ١٧٢، الخبر يكون نكرة عادة أما إذا جاء معرفة فيأتي دور ضمير الفصل المهم هنا .

٢٣٥) ينظرفي النحو العربي نقد وتوجيه مهدي المخزومي ٣٣

٢٣٦) ينظر الخلاصة النحوية تمام حسان ١٠٥

٢٣٧) ينظر البيان في روائع القرآن د.تمام حسان ، ط١, عالم الكتب, القاهرة , ١٩٩٣م ، ص٧

٢٣٨) ينظراللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ص ١٩٣

٢٣٩) ينظر أبو المكارم، علي: الجملة الاسمية ص/٥٤

٢٤٠) قاله محمد محيي الدين في شرح ابن عقيل، ط٢٠ , (تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد) ، دار التراث , دار مصر للطباعة

على وجوه دلالية جديدة، فالعدول كما يقول الدكتور محمد عبد المطلب: (يمثل نوعاً من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الابداعية، ومن هنا وجه البلاغيون اهتماماً خاصاً لهذا المبحث، ورصدوا كثيراً من التعبيرات التي توفرت فيها هذه الظاهرة، وما يمكن أن تفيد منه الدلالة، أو بمعنى أصح يمكن أن تتغير به الدلالة تغيراً يوجب لها المزية والفضيلة)[٢٤١]

١ - تقديم الخبر على المبتدأ

قبل الخوض في المقابلة بين الآيات المتشابهة لفظاً لا بد أولاً أن نقدم باختصار الحالات التي **يجب** فيها تقدم الخبر على المبتدأ وهي كما يأتي **[٢٤٢]** :

١- إذا كان الخبر له الصدارة في الكلام أي واجب التقديم في صدر الجملة (بنفسه أو بما تجب صداراته) وتحدد تلك الألفاظ من خلال أسماء الاستفهام (متى ،أين ،كيف، أيان، أنى) و(أي وكم) الدوال على الزمان والمكان والحال .

٢- إذا كان الخبر محصوراً في المبتدأ بـ(إنما) باتفاق النحويين وبـ(ما) و(إلا) عند جمهور النحويين نحو: ما مجاهد إلا خالد .

٣- إذا اتصل بالمبتدأ ضمير يعود على شيء في الخبر كقوله تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ **أَقْفَالُهَا** } محمد٢٤.

٤- ويضاف إلى الحالات السابقة ، تقدم الخبر إذا كان المبتدأ نكرة غيرمخصصة كقوله تعالى:{ في قُلُوبِهِم مرض } البقرة١٠ أو إفادة التعجب السماعي نحو دره فارساً[٢٤٣]

أمـا حالات الجواز[٢٤٤] فتكون لغير ما ذكر، ولما لم تكن هناك ضرورة نحوية

، القاهرة، ١٩٨٠م ، ج ١/ ٣٧ .

٢٤١) البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ط١ الشركة العالمية للنشر، لونجمان، مصر / ١٩٩٤ ص٣٢٩ .

٢٤٢) ينظرالكتاب لسيبويه ١٢٨/٢ ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبن هشام الانصاري ، ط ٥، دار الجيل – بيروت ١٩٧٩ م ٢١٥/١، شرح ابن عقيل ٢٤٠/١-٢٤١ .

٢٤٣) اللام الداخلة على لفظ الجلالة تفيد التعجب، ينظر (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٣٢/٣) وهو تعجب سماعي لا ضابط له ولا يتم إلا بتقدم شبه الجملة بحيث لو قلت درك لما تمت الفائدة وخفي المراد وهو التعجب .

٢٤٤) ومنها حين يرد المبتدأ نكرة مخصصة بالوصف أو بالإضافة والخبر شبه جملة ظرفية أو جار ومجرور، تعتبر أكثر الحالات التي حصل فيها التقديم مقارنة بالحالات الأخرى في القرآن الكريم التي وصلت إلى ما يزيد على أربعمائة حالة ، ينظر ضوابط التقديم والتأخير في الجملة العربية لمحمد علي الزيوت ٩٢ ، رسالة علمية (ماجستير) .

تستوجب ذلك فالغاية بلاغية تتلخص في أهمية المسند الذي تقدم وهذا ما سنقوم بدراسة توجيهه في المواضع التالية التي يتقدم فيها الخبر على المبتدأ .

الموضع الأول

تقدم (الحمد) على ( ) في :

قوله تعالى في سورة الفاتحة:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ وورد بالتركيب ذاته في ٢٢ موضعاً آخر [٢٤٥]

وعلى خلاف ذلك في :

قوله تعالى في سورة الجاثية ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الجاثية: ٣٦

تقدم (الحمد) على ( ) وجاء على الأصل والقياس المعهود لترتيب نظام الجملة من تقدم المبتدأ على الخبر، وجاء على خلاف ذلك في موضع واحد فقط في قوله تعالى { و الحمد }، ويكاد علماء البلاغة يتفقون على غرض الاختصاص والحصر عند تقدم الظرف المقصود به شبه الجملة هنا، فيذكر يحيى العلوي (ت٧٤٥هـ) عن الظرف إنه لا وجه لتقدمها على عاملها غير الاختصاص[٢٤٦] ومن الجدير بالذكر أن ابن زبيرالغرناطي قد انفرد بتوجيه هذه الآية دون غيره .

ولتكون الملاحظة أكثر يسراً لرصد اختلاف الآيات المتشابهة لفظاً من حيث التقديم والتأخير وجدت أنه من الأحسن تقديمه في جدول كما يأتي وكذلك الأمر بالنسبة لبقية الآيات :

ٱلۡحَمۡدُ	لِلَّهِ	رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ		الفاتحة ٢
فَلِلَّهِ	ٱلۡحَمۡدُ	رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ	رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ	الجاثية ٣٦

٢٤٥) الأنعام ١ ، ٤٥ ، الأعراف ٤٣، يونس ١٠، ابراهيم ٣٩، النحل ٧٥، الإسراء ١١١، الكهف١، المؤمنون٢٨، النمل ١٥، ٥٩، ٩٣، العنكبوت ٦٣، لقمان ٢٥، سبأ ١ ،فاطر ١ ،٣٤، الصافات ١٨٢، الزمر ٢٩، ٧٤، ٧٥، غافر ٦٥ .

٢٤٦) ينظر الطرازالمتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز, يحيى العلوي ، دار الكتب الخديوية مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤م، ص ٢/٧٠-٧١

وحكم تقدم الخبر( ) هو الجواز لعدم حصول خلل أو لبس فلا يوجد ما يمنع التقديم، حيث يمكن تمييز المبتدأ وهو الاسم المعرفة ـ الذي جوز التقديم ـ من الخبر شبه الجملة الذي لا يأتي المبتدأ على هيئته بأي حال من الأحوال، وأغلب الحالات التي جاءت في كتاب ا هو التقديم الواجب للخبر شبه الجملة على المبتدأ النكرة نحو قوله تعالى { في قلوبهم مرض...} البقرة ١٠ وآيات أخرى كثيرة .

وقبل ذكر توجيه الغرناطي لا بد من عرض السياق الذي جاءت فيه الآية الكريمة من سورة الجاثية على خلاف ما جاء في سورة الفاتحة،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الجاثية: ٣٣ - ٣٦

يعلل ابن الزبير تقدم الخبر في الجاثية أنه ورد على تقدير الجواب، وبعد إرغام المكذوب وقهره ووقوع الأمر مطابقاً لأخبار الرسل، عليهم السلام، وظهور ما كذب الجاحد به، فعند وضوح الأمر كأنه قد قيل: لمن الحمد ومن أهله ؟ فجاء الجواب على ذلك فقيل : فلله الحمد[٢٤٧]، ... ويعلل ابن الزبير تكرير لفظ رب في قوله (**رب** السماوات **ورب** الأرض **رب** العالمين) مما يشهد لغرض تقريع الجاحدين الذين عبدوا مع ا إلهاً غيره ، ثم يعلل مجيء الحمد على الأصل فيقول: (ولما كان الوارد في أم القرآن خطاباً للمؤمنين وتعليماً للمستجيبين مجرداً عما قصد في آية الجاثية من توبيخ المكذبين ورد على ما تقدم من الإكتفاء وكل على ما يجب ويناسب)[٢٤٨].

ويقول الدكتور فاضل السامرائي:(عبارة (فلله الحمد) فيها اختصاص، أو إزالة شك عمن أدعى أن الحمد لغير ا أو أدعى أن هناك ذاتاً مشتركة معه في الحمد فقدمت الجار والمجرور لإزالة هذا الشك أو لقصدالاختصاص، في حين أن المقام ليس مقام إزالة شك، ولا أن هناك من ادعى أن الحمد

---

٢٤٧) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ١٥٢، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٨٤/٣

٢٤٨) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ١٥٤

لغير ا) [٢٤٩].

ويعلل الدكتور فاضل السامرائي الحصر الناجم من التقديم في (الجاثية) بأن جل التعبيرات في السورة قد جاءت على طريق الحصر {...أُولَئِكَ لَهم عذَاب مهين }الجاثية٩، {من ورائِهم جهنم ... ولَهم عذَاب عظيم }الجاثية١٠... ـ ويعد (٢٤) موضعاً ـ فاقتضى المقام تقديم الذات المستحقة للحمد من كل ناحية من سورة الجاثية[٢٥٠].

إن المتأمل لسورة الجاثية من أول ما تبدأ به وإلى (فلله الحمد) سيرى دقة السياق الذي آل إلى التقديم، فقد آثرت المقابلة بجدول بين جحود الكافرين وبين أنعم ا التي لا يملك اللسان سبيلاً أمامها سوى أن يحمد ا لا سواه فيقدم العظيم ويقول الحمد .

جحود الكافرين	ر.الآية	أنعم ا	ر.الآية
...اتخَذُوا من دونِ الله أَولِياء...	١٠	وما أَنزلَ الله من السماء من رزق فَأَحيا بِه الْأَرض بعد موتها...	5
وقَالُوا ما هي إِلَّا حياتُنَا الدنْيا نَموتُ ونَحيا وما يهلكُنَا إِلَّا الدهر ...	٢٤	الله الذي سخر لَكُم الْبحر لِتَجرِي الْفُلْك فيه بِأَمرِه ولِتَبتَغُوا من فَضله	١٢
... ما نَدرِي ما الساعةُ إِن نظُن إِلَّا ظَنّاً وما نَحن بِمستَيقنين	٣٢	سخر لَكُم ما في السماوات وما في الْأَرضِ جميعاً منْه...	١٣
		خَلَقَ الله السماوات والْأَرض بِالْحق	٢٢
		الله يحييكُم ثُم يميتُكُم ثُم يجمعكُم	٢٦

نرى دقة عجيبة وتوازناً فريداً لا نراهما في غير القرآن العظيم، لم يتقدم لفظ الجلالة على كلمة(الحمد) إلا في آية الجاثية ٣٦ وذلك لأن الموضع والمعنى يستدعيان ذلك، إذ إن المؤمنين في يوم لقيامة عندما يرون الكفار لا يخرجون منها ولا يستعتبون، يخصون الحمد ويحصرونه له دون غيره لأنهم آمنوا ولم تشملهم عقوبة الكفار{ لا يخرجون منها ولا يستعتبون} لذلك قدموا الخبر(لفظ الجلالة ا) وهو للحصرلا للتخصيص، ثم دخلت فاء الفصيحة التي تفصح عن أداة الشرط وفعل الشرط المحذوفين على لفظ الجلالة، حيث إن الآيتين قبل الحذف { فَالْيوم لَا يخْرجون منْها ولَا هم يستَعتَبون }الجاثية٣٥، فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب(العالمين)، وانظر

٢٤٩) لمسات بيانية من نصوص التنزيل، فاضل السامرائي، ط ٣ , دار عمار للنشر والتوزيع, عمان , ٢٠٠٣م ، ص ١٩

٢٥٠) ينظرالمصدر السابق ٢٢

إلى هذا التوازن بين جمل هاتين الآيتين: حذفت أداة الشرط وفعل الشرط من جهة أخرى كرر لفظ (الرب) مرتين ليحدث التعادل إيجازاً وإطناباً، وا   أعلم .

الموضع الثاني

تقدم (هدى ا   ) على (الهدى) في قوله تعالى :

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ البقرة: ١٢٠ وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ الأنعام: ٧١ وجاء على خلاف ذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ آل عمران: ٧٣

قُلْ	إِنَّ	هُدَى ٱللَّهِ	هُوَ	ٱلْهُدَىٰ ۗ	البقرة ١٢٠، الأنعام ٧١
قُلْ	إِنَّ	ٱلْهُدَىٰ	هُدَى ٱللَّهِ		ال عمران ٧٣

أمـا عن فائدة (إن) و(أن) فقد قال ابن يعيش:(فالتأكيد لمضمون الجملة، فإن قول القائل إن زيداً قائم ناب مناب تكرير الجملة مرتين إلا أن قولك (إن زيداً قائم) أوجز من قولك: (زيد قائم زيد قائم) مع حصول الغرض من التأكيد[٢٥١] ويحاول الدكتور فاضل السامرائي أن يستدرك على ابن يعيش معادلته بين التوكيد بالحرف المشبه بالفعل والتوكيد اللفظي المتمثل بتكرار اللفظ فيبرر له إن كان بدون قصد ويأخذ عليه إن كان قاصداً[٢٥٢] ويمضي ابن يعيش أكثر من ذلك فيقول: (فإن

٢٥١) ينظرشرح المفصل لابن يعيش ٥٩/٨

٢٥٢) ينظرمعاني النحو فاضل السامرائي ٢٦٢/١

أدخلت اللام[٢٥٣] وقلت (إن زيداً لقائم) ازداد معنى التأكيد، وكأنه بمنزلة تكرار اللفظ ثلاث مرات)[٢٥٤] ولعل الآية الكريمة في ال عمران ٧٣ وإن لم تدخل اللام المزحلقة على ضمير الفصل (هو) لزيادة توكيدها فإن التقديم قد ناب منابها، إن كون المبتدأ والخبر معرفتين في الآيتين في آيتي البقرة ١٢٠والأنعام ٧١ (**إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**) وفي آية ال عمران ٧٣(**قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**) فأوجب أن يكون المتقدم في التركيبين هو المبتدأ والمتأخر هو الخبر .

يقول الكرماني عن قوله تعالى { قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ } ال عمران ٧٣، في هذه السورة، وفي البقرة : { قل إن هدى ا هو الهدى }١٢٠، لأن الهدى في هذه السورة هو الدين، وقد تقدم في قوله:{ لمن تبع دينكم } ٧٣ وهدى ا : الإسلام، فكأنه قال بعد قولهم : (ولا تؤمنوا إلا لم تبع دينكم) قل: { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } ١٩كما سبق في أول السورة والذي في البقرة معناه : القبلة؛ لأن الآية نزلت في تحويل القبلة، وتقديره : قل إن قبلة ا هي الكعبة[٢٥٥] ووافقه في ذلك ابن جماعة والأنصاري[٢٥٦] ويذكر مقاتل البلخي(١٥٠هـ) أن (الهدى)جاء على سبعة عشر وجهاً ويذكر في الوجه الثاني (هدى ا) ويذكر الآيتين أعلاه والمعنى واحد عنده وهو دين الإسلام[٢٥٧]

مفاد الآيتين المتشابهتين المتقدم فيهما(هدى ا) على(الهدى) في سورتي البقرة والأنعام هو تبيان من ا وخطاب أن دين ا هو الهدى، أما من تتحدث عنهم الآية فهم في البقرة اليهود والنصارى الذين لن يرضوا عن النبي ﷺ حتى يفارق دينه ويتبع دينهم ، أما في الأنعام فهم المؤمنين ممن يريد منهم أن يرتد عن دينه بأن يدعو من دون ا ما لا ينفعهم ولا يضرهم .

أما في سورة ال عمران فقد تقدم(الهدى) على (هدى ا) فهي أيضاً سد للذرائع لمن يصد عن دين ا فالأمر متعلق باليهود أيضاً ولكن الأمر هنا تعدى مجرد السخط على النبي بسبب تغير القبلة كما بدا في سورة البقرة بل تجاوز ذلك إلى محاولة اليهود أن يتحايلوا على الرسول وأصحابه بأن يؤمنوا في الغداة ويكفروا في العشي، وجل همهم هو أن يلبسوا على المؤمنين دينهم ليرجعوا

---

٢٥٣) وتسمى اللام بالمزحلقة وتسمى الفارقة وتدخل على خبرإن أو على اسمها المؤخر فتتأخرعنه كراهة إفتتاح الكلام بتوكيدين (ينظرمغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ٣٠٤/١)

٢٥٤) شرح المفصل لابن يعيش ٥٩/٨

٢٥٥) ينظرالبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ٤٧ - ٤٨.

٢٥٦) ينظر كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة ١٠٤ ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري ٣٧

٢٥٧) ينظر الوجوه والنظائر في القرآن العظيم مقاتل بن سليمان البلخي، ط١, (تحقيق حاتم صالح الضامن) ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث , دبي ، ٢٠٠٦م، ص ٢٠

عنه[٢٥٨] فجاء الرد من العلي العظيم، واختلف الكلام بتقدم الهدى المعرف بال الجنس الذي يعني جميع أنواع الهدى ووضعه بين المعارف أخص وأولى بالتقدم على المعرف بالإضافة (هدى ا) ولسوء صنيع اليهود فقد جاء الإنكار عليهم من الشدة ما يقتضي أن يكون تقديمه هو الأصل .

ومما يميز آية ال عمران (**قُلْ إِن الْهدى هدى اللّه**)٧٣ ، أنها جملة اعتراضية[٢٥٩] حيث جاء الكلام { ولاَ تُؤْمنُواْ إِلا لِمن تَبِع دينَكُم ـ قُلْ إِن الْهدى هدى اللّه ـ أَن يؤْتَى أَحد مثْلَ ما أُوتيتُم ...} بمعنى كراهة أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم، أي: ممن خالف دين الإسلام، لأن ا لا يهدي من هو كاذب كفار فلا تؤمنوا إلا لمن جاء بمثل دينكم خشية أن يؤتى أحد من النبوة مثل ما أوتيتم، وخشية أن يحاجوكم بتصديقكم إياهم عند ربهم[٢٦٠]

ويعلل ابن عاشور التونسي لكثرة مجيء الجمل المعترضة في القرآن لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك؛ فإن كل جملة تشتمل على حكمة وإرشاد أو تقويم معوج ويضرب مثالا لذلك قوله تعالى في سورة الأنعام ويبين أن الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة بأسرها. فإصلاح كفارها بدعوتهم إلى الإيمان ونبذ العبادة الضالة واتباع الإيمان والإسلام، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طريق النجاح وتزكية نفوسهم ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدة الدعوة، فكانت آيات القرآن مستقلا بعضها عن بعض، لأن كل آية منه ترجع إلى غرض الإصلاح والاستدلال عليه، وتكميله وتخليصه من تسرب الضلالات إليه فلم يلزم أن تكون آياته متسلسلة، ولكن حال القرآن كحال الخطيب يتطرق إلى معالجة الأحوال الحاضرة على اختلافها وينتقل من حال إلى حال بالمناسبة [٢٦١].

ويرى الباحث أن الآية ١٢٠ البقرة جاءت لتحدي اليهود، والنصارى ومحاججتهم ولذلك جاءت الآية بأقوى أسلوب، حيث أضاف (هدى) إلى لفظ الجلالة (ا)، ثم استعمل ضمير الفصل الذي هو للحصر، وكذلك آية الأنعام٧١ جاءت جواباً لمن يدعون من دون ا ما لا ينفعهم ولا يضرهم، ويرتكبون ذُنوباً كبيرة بذلك، أما الآية ٧٣ ال عمران ففيها كلام اليهود لبعضهم ألا يؤمنوا إلا لمن تبع دينهم، وجاء اسم(إن) الهدى معرفاً بـ أل الجنسية التي تفيد الاستغراق وهي من صفات الجنس،

---

٢٥٨) ينظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، دار إحياء العلوم , بيروت . ٥١

٢٥٩) ينظر مشكل إعراب القران لمكي القيسي، (تحقيق،د. حاتم صالح الضامن) , منشورات وزارة الاعلام , دار الحرية للطباعة , بغداد١٩٧٥م، ص ٥٩/١ .

٢٦٠) المصدر السابق ٥٩/١

٢٦١) ينظر مقدمة التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ٨١/١

والتي لاتدل على أن الهدى يأتي من معين، بل يأتي من ا أو من الرسول أو من الأولياء والمصلحين فناسب ذلك أن يتقدم (الهدى) على(هدى ا) وا أعلم .

الموضع الثالث

تقدم (غفور) على (حليم) في

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٥

﴿ ... وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٥

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ المائدة: ١٠١

وعلى خلاف ذلك:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الإسراء: ٤٤

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ فاطر ٤١

وَٱللَّهُ	غَفُورٌ	حَلِيمٌ	البقرة٢٢٥،٢٥٣ آل عمران١٥٥،المائدة ١٠١
إِنَّهُۥ كَانَ	حَلِيمًا	غَفُورًا	الاسراء ٤٤ ، فاطر٤١

ومن خلال الجدول التالي نريد أن نوضح الفرق بين الآيات بشكل أفضل

حليم غفور	غفور حليم
الصفتان منصوبتان في الآيتين	الصفتان مرفوعتان في الآيات الأربع
الآيتان مكيتان	الآيات الأربع كلها مدنية
الخطاب لغير المؤمنين : ١- وهم من المشركين الذين افتروا على ا واتخاذه الملائكة إناثاً وهو الذي يسبح الكل بحمده .(الاسراء ٤٤) ٢- مع ما يبدر من الخلق بالشرك با فهو جل شأنه يمسك السماء أن تقع على الأرض . (فاطر ٤١)	الخطاب في هذه الآيات للمؤمنين الذين: ١- يلغون في أيمانهم ويحلفون بغير ا (البقرة ٢٢٥) ٢- يعزمون على أمر ويخفونه في صدورهم (البقرة ٢٣٥) ٣- من هرب في (أحد) إلى المدينة بعد النزول من الجبل (ال عمران ١٥٥) ٤- الذين يخوضون في أمور لا فائدة ترجى من الحديث عنها (المائدة ١٠١)

ويبدو لي أن تقدم (غفور) على (حليم) في الآيات ذات الشأن جاءت في مجال مظنة الذنوب التي تحتاج العفو عنها والستر عليها، امـا تقدم (حليم) على (غفور) في الآيات المذكورة فقد جاءت في حالات تحتاج إلى الحلم والرأفة بالمخلوقات، ولا ذنوب حتى تتقدم (غفور) على (حليم) .

وربما يفهم من تقدم (حليم) على (غفور) أن ا عز وجل يحلم على عباده ويمنحهم فرصة التوبة والعبادة والعودة إليه لكي يغفر لهم، وهو سبحانه بهذا يهيء لهم سبيل المغفرة التي يمن بها عليهم بعد حلمه وعلمه .

الموضع الرابع

تقدم (العزة) على ( ) في قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ النساء: ١٣٩

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ يونس: ٦٥

وجاء على خلاف ذلك في قوله تعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠ ﴾ فاطر: ١٠

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨ ﴾ المنافقون: ٨

إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ	لِلَّهِ	جَمِيعًا	النساء ١٣٩، يونس ٦٥
فَلِلَّهِ	ٱلۡعِزَّةُ	جَمِيعًا	فاطر ١٠
وَلِلَّهِ	ٱلۡعِزَّةُ	وَلِرَسُولِهِۦ ...	المنافقون٨

لم يرد ذكر لتوجيه هذه الآيات عند الإسكافي والكرماني والغرناطي! أما ابن جماعة فقد قابل بين الآيات أعلاه ـ سوى النساء ـ معلقاً عليها بدون الإشارة إلى مسألة التقديم والتأخير الحاصل، فقال :(قوله تعالى في {إن الْعزةَ ِللّه جميعاً}[٢٦٢] وكذلك في فاطر . وقال في المنافقين { ولله الْعزةُ ولرسوله وللْمؤْمنين } جوابه : أن العزة تعالى جميعاً، وعزة الرسولﷺ والمؤمنين منه، وهو معطيها لهم، فعزتهم من عزته، فهو المختص بها وحده تعالى)[٢٦٣] ويأتي الأنصاري ليجعل للعزة مراتب وأقسام من الخاص با ومن ثم الرسول والمؤمنين فيقول:(في سورة المنافقين{ ولله الْعزةُ ولرسوله وللْمؤْمنين } لأن المراد هنا ، العزة الخاصة با وهي: عزة الإلهية ، والخلق، والإماتة، والأحياء، والبقاء الدائم، وشبهها. وهناك العزة المشتركة، وهي في حق ا تعالى: القدرة، والغلبة . وفي حق رسوله ﷺ : علو كلمته ، وإظهار دينه . وفي حق المؤمنين : نصرهم على الأعداء)[٢٦٤]

في مقابلة بين الآية (و العزة ولرسوله) من سورة المنافقين التي تبحث بآياتها الإحدى عشرة أحوال المنافقين وبين الآية في سورة النساء التي جاء فيها قوله تعالى (إن العزة جميعاً) يجد الكلام أيضاً عن المنافقين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ

٢٦٢) يريد الآية في سورة يونس ٦٥

٢٦٣) كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة ٢٠٢ ـ ٢٠٣

٢٦٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري ٢٥١

وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء: ١٣٧ - ١٤٥

نجد التركيب في آيتي سورة النساء وسورة يونس مؤكداً بـ(إن) ولم يأت في سورتي فاطر والمنافقين كذلك . وجاء محلها التقديم وقد يتبادر إلى الذهن عدم تناسب التوكيد بالحرف المشبه بالفعل مع حصول التقدم فما بال الآية {...وإن تَكۡفُرواْ **فَإِنَ لِلّه** ما في السماوات وما في الأرض... }النساء١٣١، النساء١٧٠، النور٦٤، ودخلت (إن) أيضاً على ( ) في يونس55 ، ٦٦ وآيات أخرى دخلت فيها (إن) على الجار والمجرور[٢٦٥] .

وفي الوقت الذي لا يرى فيه القرطبي وجلة من المفسرين تعارضاً بين الآيتين المتعارضتين في التركيب ومفادهما أن القوة الكاملة والغلبة الشاملة والقدرة التامة وحده؛ فهو ناصرك ومعينك ومانعك وبين التقديم الحاصل في سورة المنافقين فإن كل عزة با فهي كلها [٢٦٦] يجد ابن

---

٢٦٥) نحو طه٧٤، يوسف ٧٨، القلم٣٤ ، النبأ٣١ ، الليل١٣ ...

٢٦٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (تحقيق هشام سمير البخاري) ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ٢٠٠٣م، ج ٨ / ٣٥٩ وينظر البحر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ط ١، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض , دار الكتب العلمية, بيروت ، ٢٠٠١م، ج ١٧٤/٥، تفسير الفخر للرازي (مفاتيح الغيب) , ط ١ , دار الكتب العلمية , بيروت ، ٢٠٠٠م ج١٦/٣٠،

عاشور مجيء التركيب في سورة النساء على الأصل وعدم تعزيز التوكيدين بثالث متأتٍّ من القصر أن تلك الآية نَزلت في وقت قوة الاسلام فلم يحتج فيها إلى تقوية التأكيد[٢٦٧].

ويعزز محمد متولي الشعراوي للتوكيد بـ (إن) في آيتي سورة النساء ويونس دون القصر الذي يعطي العزة سبحانه وينفيها عن غيره؛ لأنه لا يوجد لهذه الآية مناهض، وهو كلام ابتدائي يخبر به ا سبحانه خبراً كونياً بأن العزة جميعاً، وما دام الحق سبحانه هو الذي يقول ذلك وهو خالق الخلق فلن تأتي قضية كونية تناقضها...، وقد حدث أن ادعى بعضهم العزة لنفسه وقالوا:{ لَئِن رجعنَآ إِلَى المدينة لَيُخْرِجن الأعز مِنْها الأذل } المنافقون٨ . وكان مغزى قولهم هو ادعاء العزة لأنفسهم ، وادعاء الذلة للمؤمنين .

إذن فالعزة قد ادعيت ، وما دامت قد ادعيت فلماذا لم تأت بأسلوب القصر؟ نقول : لا ، لقد شاء الحق سبحانه أن يقول { ولله العزة ولرسوله وللْمُؤْمنين } المنافقون٨ فالعزة لا تتعداه ، ولكنه سبحانه شاء أن تكون عزة رسولهﷺ وعزة المؤمنين من باطن عزة ا تعالى . وقول الحق سبحانه هنا : { إِن العزة لله جميعاً } أي : في كل ألوانها هي سبحانه وتعالى ، إن كانت عزة حكمه فهو الحكيم ، وإن كانت عزة القبض على الأمور فهو العزيز ، وإن كانت عزة الحلْم فهو الحليم ، وإن كانت عزة الغضب والانتقام فهو المنتقم الجبار ، وكل ألوان العزة تعالى : { هو السميع العليم } يونس٦٥[٢٦٨]

الموضع الخامس

وهي في الحقيقة مقابلة بين مجموعة من الآيات وردت في (تيسير من ا ورفع للتضييق على الناس ونفي تأثيمهم) وجاءت بلفظ **{ لا جناح عليكم }** و**{ ليس عليكم جناح }** ولم أجد في كتب المتشابه اللفظي توجيهاً لها .

اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي، ط ١, دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٩٨م، ج ٧٦/٧ ، الوسيط ، سـيد طنطـاوي ط ٣/ ١٩٨٧م ، ص ٢١٣٤-٢١٣٥ ، تفسير السراج المنير، محمد الشربيني، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج ٢٤/٢

٢٦٧) التحرير والتنويرلابن عاشور الأندلسي ٢٧١/٢٢

٢٦٨) تفسير الشعراوي ٤٠٠١/١

لا	جناح	عليكم	البقرة١٥٨،٢٢٩،٢٣٠،٢٣٣،٢٣٤،٢٣٥،٢٣٦،٢٤٠-النساء٢٣،٢٤،١٠٢،١٢٨-الأحزاب ٥١،٥٥-الممتحنة ١٠
ليس	عليكم	جناح	البقرة ١٩٨،٢٨٢- النساء ١٠١- المائدة ٩٣- النور ٢٩،٦٠،٦١-الأحزاب ٥

أولاً : لا جناح عليه :

وكما بدا واضحاً في الجدول أعلاه فقد تكررت (١٦) مرة في القرآن الكريم، وتقدم اسم (لا) النافية للجنس "جناح" دائماً وهو مبني على الفتح في محل نصب والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر لا النافية للجنس(٢٦٩)، ولا تكون (لا) النافيةُ للجنسِ عاملةً إلا إذا تقدم المسند إليه ـ الذي ينبغي أن يكون نكرة(٢٧٠) ـ على المسند فتعمل عمل (إن) وانما عملتْ عملَها، لانها لتأكيد النفي والمبالغة فيه، والآيات التي ورد فيها التركيب هي كالآتي :

١- في سورة البقرة

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ... ﴾ البقرة: ١٥٨

﴿ ... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ... ﴾ البقرة: ٢٢٩

﴿ ... فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ... ﴾ البقرة: ٢٣٠

﴿ ... فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾ البقرة: ٢٣٣

﴿ ... فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) ﴾ البقرة: ٢٣٤

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ... ﴾ البقرة: ٢٣٥

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ... ﴾ البقرة: ٢٣٦

﴿ ... فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾البقرة٢٤٠

---

٢٦٩) إعراب القرآن وبيان معانيه ، د.محمد حسن عثمان، ط٧، دار ابن كثير، دمشق ، ١٩٩٩ /١ ٣٧١،٥٥٤، ٥٥٧،... والمتعلق محذوف تقديره كائن أو مستقر أو موجود وهذا مذهب أكثر البصريين .

٢٧٠) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني، ط ١ (تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الاستاذ محمد نديم فاضل) ، دار الكتب العلمية ، بيروت , ١٩٩٢م، ص ٤٨/١ ، شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري، ط ١١, (تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد) , القاهرة ، ١٣٨٣هـ، ص ١٦٦، أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري ج٣/٢

في سورة النساء:

﴿ ...فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ... ﴾ النساء: ٢٣ ،

﴿ ... فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤ ﴾ النساء: ٢٤

﴿ ... وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ ... ﴾ النساء: ١٠٢

﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ ... ﴾ النساء ١٢٨

٢- وفي سورة الأحزاب

﴿ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ ... ﴾ الأحزاب: ٥١

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥ ﴾ الأحزاب: ٥٥

- وفي سورة الممتحنة

﴿ .. وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ ... ﴾ الممتحنة: ١٠

ثانياً : ليس عليكم جناح : وردت في القرآن (٨) مرات فقط، ولم تأت إلا وقد فصل بينها وبين المصدر(جناح) بفاصل (عليكم) أو عليه .. ويجوز تقدم خبر ليس على اسمها[٢٧١]، والشاهد على ذلك : سلي إن جهلت الناس عنا وعنكم فليس سواء عالم وجهولُ[٢٧٢]

والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر ليس مقدم[٢٧٣].

في سورة البقرة : ...

٢٧١) ينظر شرح ابن عقيل ٢٧٣/١، شرح قطر الندى لابن هشام ١٢٩/١ .

٢٧٢) للسمؤال بن عاديا اليهودي ينظر شرح شواهد قطر الندى ٨٢ ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ط ١, دار الكتب العلمية , بيروت ٢٠٠٣ م، ص ٩٢

٢٧٣) ينظر إعراب القرآن وبيان معانيه أ.د محمد حسن عثمان ٤٧٥/١، ٧٣٢ ، ٧٢٠/٢ ...

﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ... ﴾ البقرة: ١٩٨

﴿ ... فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢ ﴾ البقرة: ٢٨٢

في سورة النساء :

﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١ ﴾ النساء: ١٠١

في سورة المائدة :

﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣ ﴾ المائدة: ٩٣

وفي سورة النور:

﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾ النور: ٢٩

﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ ﴾ النور: ٦٠

﴿ ... لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١ ﴾ النور: ٦١

في سورة الأحزاب :

﴿ ... وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾ الأحزاب: ٥

ولم أجد فيما أحسب أي مقابلة وتوجيه بين الآيتين إلا عند الدكتور فاضل السامرائي في توجيه للفرق بين { لا جناح عليكم } و{ ليس عليكم جناح } حيث قال:

(أولاً : (لا جناح عليكم) جملة إسمية، و (لا) هنا : هي لا النافية للجنس_ وتسمى أيضاً لا التبرئة[٢٧٤] ـ على تضمن من الاستغراقية والمؤكدة دخلت على المبتدأ والخبر، والنحاة يقولون إن (لا) في النفي هي بمثابة (إن) في الإثبات . ومن المسلمات الأولية في المعاني أن الجملة الاسمية أقوى وأثبت وأدلّ على الثبوت من الجملة الفعلية ، وعليه يكون (لا جناح عليكم) مؤكّدة كونها جملة اسمية وكونها منفية بـ (لا) هذا من الناحية النحوية. أما الجملة (ليس عليكم جناح) فهي جملة فعلية ولا يمنع كون (ليس) ناسخاً لأن المهم أصل الجملة قبل دخول الناسخ عليها. هذا من حيث الحكم النحوي أن الجملة الاسمية أقوى وأثبت وأدلّ على الثبوت من الجملة الفعلية.

أما من حيث الاستعمال القرآني فإذا استعرضنا الآيات التي وردت فيها (ليس عليكم جناح) و(لا جناح عليكم) في القرآن نجد أن (لا جناح عليكم) تستعمل فيما يتعلق بالعبادات وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة ـ كما بدا واضحاً في آيات سورة البقرة ـ أما (ليس عليكم جناح) تستعمل فيما دون ذلك من أمور المعيشة اليومية كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية) **[٢٧٥]**.

ثم يردف تعليقه لورود التركيبين (لا جناح عليكم وليس عليكم جناح) بتعقيب في آيتين متعاقبتين من سورة النساء(١٠١-١٠٢) الأمر في الأولى يتعلق بالضرب في الأرض وهو السير في الأرض للتجارة أوغيرها، أما في الثانية فالأمر يتعلق بالصلاة في موطن الجهاد فالآية فيها عبادة وفي موطن عبادة أما في الأولى فالموطن مختلف؛ لأن موطن الجهاد أهم من موطن الراحة والاستجمام، والجهاد في مقتصد الدين أكثر من الضرب في الأرض. فجملة (لا جناح عليكم) أقوى لأنها جملة اسمية ومؤكدة فيستعملها في المواطن المهمة كالعبادات وتنظيم الأسرة والأمور المهمة. وهناك فرق كبير بين (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) والآية

الثانية من سورة المائدة مثلاً ولا شك أن الأكل جميعاً أو أشتاتاً ليس بمنزلة الجهاد)[٢٧٦].

٢٧٤) سميت كذلك لأنها لأنها برأت الاسم عن الاتصاف بالخبر : شرح الرضي على الكافية للاسترابادي ١٠٨/٦٧،٢/١

٢٧٥) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل د فاضل صالح السامرائي، ٦٨٨

٢٧٦) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل د فاضل صالح السامرائي ٦٩١ .

أوافق الدكتور فاضل السامرائي في توجيهه للآيات وتعليله لمسألة الاستعمال القرآني، ولكن أرى أن النفي بـ (ليس) لا يقل قوة عن النفي بـ(لا) لأسباب **الأول**: كون (ليس) متكوناً من ثلاثة حروف وكما هو معلوم فإن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، **الثاني**: إن (ليس عليكم جناح) جملة اسمية أيضاً ولم يطرأ إلا تغير الاعراب من المبتدأ، والخبر إلى اسم ليس وخبر ليس، **والثالث**: ان لفظ (لا) أخف من لفظ (ليس) .

أما كون جملة (لا جناح عليكم) أقوى لأنها جملة اسمية مؤكدة تستعمل في المواطن المهمة كالعبادات وتنظيم الأسرة ... فقد استوقفني لوهلة أنه وا أعلم لا يمكن نفي الجناح في المواضع المهمة نفياً مؤكداً؛ لأن أقل ذنبٍ نُحاسب عليه !! وكذلك الأمر بالنسبة إلى جملة (ليس عليكم جناح) فإن اعتباراها جملةً فعلية تستعمل في الأمور البسيطة وإنها تنفي نفياً خفيفاً ؟! فأعتقد أنها تنفي نفياً قوياً لأنها استعملت في المواطن البسيطة التي لا خوف فيها من الزلل ، وا أعلم.

٢- تقدم الفاعل على الفعل أو (تقدم المسند إليه على المسند الفعلي)

الفاعل هو اسم صريح ـ ظاهر أو مضمر : بارز أو مستتر ـ أو ما في تأويله، أسند إليه فعل تام ـ متصرف أو جامد ـ أو ما في تأويله، مقدم، أي الفعل أو ما في تاويله ـ على المسند إليه ، وهو ـ أي الفعل أو ما في تأويله ـ أصلي المحل أو الصيغة[٢٧٧] .

ويقول الدكتور علي أبو المكارم: (إن هذا التعريف يمكن أن يعد الحلقة الأخيرة في سلسلة طويلة للتعريفات النحوية للفاعل ابتداء من سيبويه وإنتهاء بالألفية وشراحها) [٢٧٨] .

أكد الجمهور كما ذكرنا في مواضع سابقة على أن الأصل وجوب تأخر الفاعل عن فعله لأنه جزء أو كالجزء منه إضافة إلى أن الفعل عامل فيه وكل هذا يؤدي إلى حقيقة مهمة وهي أنه لا يصح أن يتقدم الفاعل على فعله، وإذا تقدم الاسم على الفعل فإنه لا يعرب إلا مبتدأً ويقدر الفاعل في الفعل كضمير مستتر، وأجاز الكوفيون تقدم الفاعل على الفعل مستشهدين بقول الزباء: ما للجمال مشيها وئيداً أجندلا يحملن أم حديداً .

والشاهد هنا مجيء(مشيها) مرفوعاً على أنه فاعل لوئيداً، وقد سبق أن بحثنا هذه القضية [٢٧٩] .

---

٢٧٧) ينظر شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري، ط ١,(تحقيق محمد باسل عيون السود) ، دار الكتب العلمية , بيروت ، ٢٠٠٠م ، ج١/٢٩٧-٢٩٨

٢٧٨) الجملة الفعلية للدكتور علي أبو المكارم ٥٨-٥٩

٢٧٩) ينظر هذا البحث الفصل الأول ، المبحث الأول ، ص ٢٦

و فيما يأتي نبدأ تحليل تقدم المسند اليه و وتوجيه فاعلاً كان أو نائب فاعل على المسند الفعلي :

الموضع الأول

تقدم (أنشقت) على (السماء) في قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ الرحمن: ٣٧ ،

وقوله تعالى﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ الحاقة: ١٦

وعـلـى خـلاف ذلـك :

في قوله تعالى ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ ﴾ الانشقاق: ١

ٱنشَقَّتِ	ٱلسَّمَآءُ	الرحمن٣٧ ، الحاقة ١٦
إِذَا ٱلسَّمَآءُ	ٱنشَقَّتْ	الانشقاق١

أعربت الجملة (انشقت السماء) فعلاً وفاعلاً في آيتي الرحمن والحاقة بينما يكمن الخلاف في الآية من سورة الانشقاق حيث ذهب جماعة من الكوفيين إلى رفع الاسم بعد (إذا) على أنه مبتدأ إما بالترافع أو بالابتداء، وأبطل البصريون هذا المذهب لأن (إذا) فيها معنى الشرط والشرط يقتضي الفعل فلا يجوز أن يحمل على غيره[٢٨٠] ويرى سيبويه أن (إذا) لا يليها إلا الفعل الواجب ظاهراً كان او مقدراً [٢٨١] نحو قوله تعالى (إذا السماء أنشقت) فالفعل محذوف وجوباً والسماء فاعل مرفوع ذلك الفعل المحذوف الذي يفسر المذكور وتقديره إذا انشقت السماء انشقت وهذا مذهب جمهور النحويين[٢٨٢] ومع ميلي لآراء البصريين إلا أنني أخالفهم هنا برأي متواضع وهو أن (إذا) دخلت في مواضع متعددة في القرآن على اسم، والقرآن حجة، فإعراب الكوفيين للسماء (مبتدأ) هو الصواب لأن السماء يتَحدثُ عنها هنا ولا تقوم بالفعل أو تتصف به كما هو شأن الفاعل .

وقد وردت (إذا) في القرآن الكريم (٣٦٢) مرة لم تأت مرة واحدة في موضع غير محتمل البتّة

---

٢٨٠) الإنصاف في مسائل الخلاف لابي البركات الأنباري ١٥٩/٢، وينظرللإنباري اسرار العربية ٧٨

٢٨١) الكتاب لسيبويه ٢٣٢/٤ وينظر الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي ٣٦٨

٢٨٢) ينظرشرح ابن عقيل ٨٦/٢ ، شرح الرضي على الكافية ٤٦٠/١ ، مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ٧٥٧،١٢٧/١ ، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب خالد الأزهري ٩٦

فهي تأتي إما بأمر مجزوم وقوعه أو كثير الحصول كما جاء في آيات وصف أهوال يوم القيامة لأنه مقطوع بحصوله كما في سورة التكوير (إِذَا الشمس كُورتْ)[٢٨٣] ويعبر سيد قطب رحمه ا عن صعوبة وصف هيئة الإنشقاق ولا يملك إلا أن يقول (. . . وكل ما يستقر في الحس هو مشهد التغير العنيف في هيئة الكون المنظور، وانتهاء نظامه هذا المعهود ، وانفراط عقده ، الذي يمسك به في هذا النظام الدقيق)[٢٨٤]

يقول ابن عاشور في آية سورة الإنشقاق معللاً للتقديم الحاصل : (وقدم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله: إذا السماء انْشَقتْ دون أن يقال: إذا انشقت السماء لإفادة تقوي الحكم وهو التعليق الشرطي، أي أن هذا الشرط محقق الوقوع، زيادة على ما يقتضيه إذا في الشرطية من قصد الجزم بحصول الشرط بخلاف (إن)[٢٨٥]

ويرى الباحث أن الآية ٣٧ الرحمن { فإذا انشقت السماء} استُعملَتْ الجملة الفعلية فيها لتدل على التجدد والحدوث، وهذا الاستعمال جاء على الأصل وكذلك الآية١٦ الحاقة .

أما الآية { إذا السماء انشقت } الانشقاق١، فقدمت (السماء) على الفعل لأن السماء مدار البحث وا أعلم .

الموضع الثاني

تقدم (يسعى) على (نورهم) في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ الحديد: ١٢

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى :

---

٢٨٣) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل د فاضل صالح السامرائي ٦٥٩

٢٨٤) في ظلال القرآن سيد قطب، ط ١٠ ، دار الشروق - القاهرة ، ، ١٤٠٢هـ ، ٤٧٦/٧

٢٨٥) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ٣٠ / ٢١٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ التحريم: ٨

يَسۡعَىٰ	نُورُهُم	بَيۡنَ	أَيۡدِيهِمۡ	وَبِأَيۡمَٰنِهِم	حديد ١٢
نُورُهُمۡ	يَسۡعَىٰ	بَيۡنَ	أَيۡدِيهِمۡ	وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ	التحريم ٨

والآية الكريمة من انفرادات ابن الزبير التي لم تحظ بتوجيه من سبقه لا الإسكافي ولا الكرماني فيسبقهما بالعلامة (غ) تنبيهاً على أن هذه المسألة لم يسبق بالحديث عنها، ويقول: ووجه ذلك وا أعلم: أن قوله في سورة التحريم: { والذين آمنوا معه } يفهم من حيث المعية قرب المنزلة وعلو الحال فتقدم ثبوته، فناسب ذلك ورود الجملة الاسمية هنا لما تقتضيه من الثبات وتقدمه واستحكامه. وأما قوله في سورة الحديد { يسعى نورهم بين أيديهم } فبشارة للمؤمنين، ولم يأت هنا كونهم مع نبيهم، فلم يتحصل مما يفهم تمكن المنزلة وثبوتها ما تحصل في آية التحريم وإنما هذه بشارة، فناسبها التجدد والحدوث، فناسب ذلك الفعل بما يعطيه من المعنى فقيل:{ يسعى نورهم بين أيديهم} ليفهم التكرر وحدوث الشيء بعد الشيء، فورد كل على ما يجب ويناسب[٢٨٦] .

ومما يعزز التجدد والحدوث في آية (الحديد) إضافة إلى ما سبق أنه أتى في سياق الترغيب في الإيمان با ورسوله، والإنفاق في سبيل ا قال تعالى { آمنُوا بِالله ورسوله وَأَنفقُوا مما جعلَكُم مستَخْلَفين فيه فَالذين آمنُوا منكُم وأَنفَقُوا لَهم أَجر كَبِير} (٧)، { وما لَكُم لَا تُؤْمنُون بِالله والرسولُ يدعوكُم لِتُؤْمنُوا بِربكُم وقَد أَخَذَ ميثَاقَكُم إِن كُنتُم مؤْمنين} (٨)،{ وما لَكُم أَلا تُنفقُوا في سبِيلِ الله ولِله ميراثُ السماوات والْأَرض لَا يستَوِي منكُم من أَنفَقَ من قَبلِ الْفَتْحِ وقَاتَلَ أُولَئِك أَعظَم درجةً من الذين أَنفَقُوا من بعد وقَاتَلُوا وكُلًّا وعد الله الْحسنَى والله بِما تَعملُون خَبِير}(١٠) ثم يأتي قوله تعالى { يوم تَرى الْمؤْمنين والْمؤْمنَات يسعى نُورهم بين أَيديهِم وبِأَيمانهِم .. } حديد١٢ فيقول الدكتور عزالدين الكوردي (وقضية الايمان وما ينبع عنه ينبغي أن يكون في تجدد مستمر وازدياد يوماً بعد يوم)[٢٨٧].

٢٨٦) ملاك التأويل للغرناطي ١٠٧١ – ١٠٧٢

٢٨٧) التقديم والتأخير في القرآن الكريم، عزالدين محمد أمين سليمان الكردي، ص ٤١-٤٢

إن الركن الرئيسي في التشابه بين الآيتين هو(سعي النور) وهو محور التوجيه، يعلق عليها الدكتور فاضل السامرائي: قال يسعى نورهم ولم يقل (يمشي) للدلالة على إسراعهم أو الإسراع بهم للدخول إلى الجنة وإلا لو كان النور يسعى وهم يمشون لسبقهم النور وتركهم في الظلمة[٢٨٨] .

ومجيء قوله تعالى: { نورهم يسعى } على خلاف الأصل أثبت وصفاً للمؤمنين من قوله تعالى { يسعى نورهم } وأوكد من جوانب عدة :

١- إن الآية { نورهم يسعى } فضلاً عن كونها جملة اسمية تدل على الثبوت كما ذكر الغرناطي، فإن كون المسند فيها فعلاً { يسعى } يؤدي إلى تنوع دلالتها بين مسألة الثبات والتجدد وهذا ما لا تتميز به الجملة الفعلية { يسعى نورهم} المكتفية بالتجدد فقط.

٢- كون النبي ﷺ معهم وهو تكريم عظيم لا يدانيه إلا رؤية وجه الكريم جل شأنه في الجنة، ولصاحب الظلال مقولة رائعة يصف الحالة فيقول: (وإنه لإغراء مطمع ، وتكريم عظيم، أن يضم ا المؤمنين إلى النبي ﷺ فيجعلهم معه صفاً يتلقى الكرامة في يوم الخزي)[٢٨٩]

٣- مجيء الآية في سياق التوبة التي يقول عنها الشعراوي: (أوجدها الحق وشرعها بهدف إصلاح الكون) [٢٩٠] وجاء في نظم الدرر عن التوبة النصوح : (ولما كان كل فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث قال(توبة نصوحاً)أي بالغة في كونها ناصحة عن الإسناد المجازي أي منصوحاً فيها بالإخلاص في الأزمان الثلاثة : الماضي بالندم، والحال بالإقلاع، و المستقبل بالعزم على عدم العود إلى الذنب)[٢٩١] وأجد تحديد نوع التوبة النصوح المحاذية للأزمان الثلاثة في سياق الآية يتناسب مع اسمية التركيب للآية المتشابهة (نورهم يسعى) وا أعلم .

---

٢٨٨) على طريق التفسير البياني لفاضل السامرائي، النشر العلمي ، جامعة الشارقة ٢٠٠٢م ، ص٢٥٦

٢٨٩) في ظلال القرآن سيد قطب ٧ / ٢٥٥

٢٩٠) تفسير الشعراوي ١٠٧٣

٢٩١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٩٥م، ج ٥٣/٨

الموضع الثالث

تقدم (سيرت) على (الجبال) في قوله تعالى :

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ النبأ: ٢٠

وعلى خلاف ذاك :

في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾ التكوير: ٣

وَسُيِّرَتِ و	ٱلْجِبَالُ	فَكَانَتْ سَرَابًا	النبأ ٢٠
وَإِذَا	ٱلْجِبَالُ	سُيِّرَتْ	التكوير ٣

وليس الإسناد كما ذكرنا سابقاً مقتصراً على العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر وبين الفعل والفاعل فقط بل وبين الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل .

ولنا أن نتساءل عن أثر نائب الفاعل وصلته بالفاعل فنجد أنه ينوب عنه- في رفْعه وفي كونه عمدة ووجوبِ التأخير عن فعله واستحقاقه للاتصال به وتأنيث الفعل لتأنيثه- واحد من أربعة[٢٩٢]:

الأول : المفعول به [٢٩٣].

الثاني : المجرور نحو (ولَما سقطَ في أَيديهم) .

الثالث : مصدر مخْتَص نحو (فَإِذَا نُفِخَ في الصورِ نَفْخَةٌ) .

الرابع : ظرف متَصرفٌ مخْتَص نحو " صيم رمضان " و " جلس أمام الأميرِ .

ويقول الدكتور فاضل السامرائي : فإن كان هناك مفعول به، ومصدر، وظرف، وجار ومجرور، فالذي عليه جمهور النحاة أنه يتعين إقامة المفعول به مقام الفاعل[٢٩٤].

وبغياب المفعول به تتوالى البقية في النيابة عن الفاعل حسب الأهمية بناء على الأولى في الدخول في عناية المتكلم واهتمامه بذكره وتخصيص الفعل به [٢٩٥] .

---

٢٩٢) أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك لابن هشام الانصاري ١٣٧/٢-١٤٨

٢٩٣) والآية الكريمة خير مثال على ذاك {سيرت الْجِبالُ} مستدلين بقوله تعالى {ويوم نُسير الْجِبالَ} حيث تعرب الجبال فيها مفعولاً به .

٢٩٤) معاني النحو د. فاضل السامرائي ٧٠/٢

٢٩٥) ينظر شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الأستراباذي ٢٢١/١

من الأسباب المعنوية التي تؤدي إلى العدول عن ذكر الفاعل هو العلم به كقوله تعالى { كُتب عليكم الصيام...} البقرة ١٨٣ بل وتعظيماً له جل جلاله كما نجد في الآية الكريمة التي نحن بصدد توجيهها، وفي بيان أهمية المفعول به الذي ينوب مناب الفاعل في الفعل الذي يبنى للمجهول ويشير ابن جني إلى إخراجه من مجرد كونه فضلة فيقول: (ثم أنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له، وبنوه على أنه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مظهراً أو مضمراً فقالوا : ضرِب عمرو فأطرح ذكر الفاعل البتة. نعم، وأسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل البتة وهو قولهم أولعت بالشيء ولا يقولون أولعني به كذا...) [٢٩٦] فيجعل من
تغيب الفاعل دليلاً على الاهتمام البالغ بالمفعول به النائب عن الفاعل .

وينبغي الإشارة خلال معالجتنا لهذه المقابلة إلى مسألة مهمة كانت مثار الخلاف وهو الفرق بين الفعل المبني للمجهول (فُعل) وبين (أنفعل) ولا سيما أننا خضنا قبل هذا في توجيه قوله تعالى (إذا السماء انشقَتْ) فيقول الدكتور مهدي المخزومي:(إذا أردنا ان نوازن بين مثالين بين قولنا انكسر الزجاج وقولنا كُسر الزجاج ظهر لنا ان المسند إليه في كل منهما فاعل . فلم نكد نحس بالفرق بينهما فكلاهما مما لا إرادة له ولا اختيار . وكلاهما مما قام بالفعل قياما اضطرارياً ، وكلاهما من وجهة نظر المنطق قد وقع عليه الفعل ولكنهم مع ذلك يسمون المسند إليه في الجملة الأولى فاعلاً، ويسمونه في الجملة الثانية نائباً عن الفاعل وهي تسمية فرضها المنهج العقلي عليهم فرضاً . أما المنهج اللغوي فيسوي بينهما لأن كلّاً منهما مسند إليه)[٢٩٧] .

وذهب الى ذلك المذهب أيضاً الدكتور ابراهيم السامرائي فقال: وعندي أن النائب عن الفاعل والفاعل مادة واحدة وكلاهما مسند إليه ...وانت لن تستطيع أن تجد فرقاً بين كُسر وانكسر[٢٩٨]

ويدفع الدكتور فاضل السامرائي حجج المنكرين في كون الفاعل ونائب الفاعل شيئاً واحداً كونهما مسنداً إليه مرفوعاً بأن المبتدأ أيضاً مسند إليه، فهل يصح أن يدخل معهما أو يدمج في موضوع الفاعل !؟[٢٩٩] كما أن الفاعل لا يكون إلا اسماً في حين أن نائب الفاعل قد يكون جاراً ومجروراً أو ظرفاً كما ذكرنا سابقاً، ويمضي السامرائي في سرد أدلة النقض ليجعل آخرها حجتهم التي مثل لها

---

٢٩٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني، ط ٢, (تحقيق علي النجدي ناصف، الدكتور عبد الفتاح اسماعيل الشلبي) ج١ / ٦٥

٢٩٧) في النحو العربي نقد وتوجيه مهدي المخزومي ٤٧ وانظر ٧٢

٢٩٨) النحو العربي نقد وبناء ابراهيم السامرائي، دار الصادق , بيروت، ص ٩١

٢٩٩) ينظر تحقيقات نحوية د. فاضل السامرائي ٩

الدكتور مهدي المخزومي في عدم وجود الفرق بين أنكسر وكُسر مستدلاً ومؤيداً رأيه باللهجات العامية[٣٠٠]، فينكرعليه فاضل السامرائي الاحتجاج باللهجات العامية على الفصحى التي ـ العامية ـ لا تمثل كل أساليب الفصحى عوضاً عن اختفاء الاعراب منها واختلاف أبنيتها وأساليبها عن الفصحى كما أن الاستدلال كان ناقصاً كون المخزومي لم يستدل من اللهجة العامية سوى بالعراقية والمصرية!![٣٠١] ومن خلال مجموعة من الأمثلة يكشف فاضل السامرائي عن الفرق الكبير بين صيغتي فُعل وانفعل منها أن دلالة الأخيرة تفيد الاندفاع الذاتي للقيام بالحدث في حين أن (فُعل) يفيد أن فاعلاً خفياً فعل ذاك وذلك نحو أنبعث وبعث وأنفجر وفُجر وأندفع ودفع ... كما أن بناء (فُعل) و(انفعل) لا يصح استبدال أحدهما بالآخر ولو كانا بمعنى واحد لصح وضع أحدهما مكان الآخر باطراد، فلا يصح مثلاً في قولنا (أنصرف البرد وأقبل الحر) أن نقول(صرف البرد) ... ثم أن بناء (فُعل) قد يكتفي بالجار والمجرور أو الظرف أو المصدر وذلك نحو قولهم (جلس في الحديقة) و(سوفر يوم الخميس) ... ولا يكتفي بناء (أنفعل) بذلك فلا يصح أن نقول (انفجر في الحديقة) و(انكسر انكساراً كبيراً) بل لا بد من وجود اسم مرفوع يكون فاعلاً للفعل ليتم الكلام به ...[٣٠٢] ويخلص في نهاية الأمر إلى القول بترجيح صواب تقسيم النحاة وأن الفاعل ونائبه مختلفان، وأن بناء (أنفعل) غير بناء (فُعل) .

إن المتأمل لهذه التراكيب العظيمة التي يكون فيها المسند أفعالاً مبنية للمجهول يجد أنها تسجل أحداثاً عظيمة في يوم القيامة من هولها لا يبقى الغرض معلقاً في الفاعل الذي ينوب عنه المفعول به الذي يدور حوله الحدث العظيم المترقبة معرفته حيث تقول عائشة عبد الرحمن المشهورة ببنت الشاطئ (إن استعمال الأفعال المبنية للمجهول يطرد في وصف اليوم الآخر بحيث يمكن أن يعد ظاهرةً أسلوبيةً في هذا المقام ، وتضيف : (ولا أعرف أن أحداً من اللغويين أوالمفسرين التفت إلى اطراد هذه الظاهرة الأسلوبية، وإنما عني أكثرهم بالصناعة النحوية في ذاتها وقالوا في (زلزلت) حذفَ الفاعل للعلم به غير ناظرين إلى ما لهذه الظاهرة من أثرٍ في التعبير والذي نراه أن استعمال الفعل مبنياً للمجهول في مثل هذه الآيات فيه نص على الطاوعية والانبعاث التلقائي وكأنما تزلزل

٣٠٠) ينظرفي النحو العربي نقد وتوجيه مهدي المخزومي ٤٨

٣٠١) ينظر تحقيقات نحوية د. فاضل السامرائي ١٣

٣٠٢) تحقيقات نحوية د. فاضل السامرائي ١٤-١٧

الأرض وترج الجبال ... تلقائياً دون حاجة إلى فاعل ...) [٣٠٣]، ويقول الدكتور محمد السيد موسى (أنه باستقراء هذه الأفعال التي تأتي مبنية للمجهول مجيئها في مشاهد القيامة, وهما من مشاهد الغيب البعيدة عن الملموس المادي, فهو يمثل المشهد بخفاياه ودقائقه, ويعمل علي إبراز فخامته أورهبته) [٣٠٤]

وقد مثل الفعل الذي لم يسم فاعله أو المفعول الذي لم يسم فاعله [٣٠٥] دورا بارزاً في تصوير الحركة المجهولة في طي الزمان, فالمشهد بدأ بفك الكون وتدميره من أعلى إلى أسفل، بالكائنات غير العاقلة: الشمس, النجوم, الجبال, العشار, الوحوش, البحار, ثم الكائنات العاقلة من النفوس والمؤودة, ثم رجوعها مرةً أخرى إلى الصحف التي تنشر والسماء التي تكشط, وذلك من الكائنات غير العاقلة؛ ليعود المشهد إلى مظاهره أو كائناته العليا كما بدأ, وكأنه مشهد يكور في دائرة انقلاب وانفلات للنظام في سرعة فجائية صارمة مثلها البدء بـ :(إذا) للزمان المفاجئ, ثم تكرارها مع كل حدث مدمر[٣٠٦]

ويعرض الدكتور فاضل السامرائي للمسة بيانية في استخدام الفعل (سيرت) تارة والفعل (نُسفت) تارةً أخرى في وصف الجبال في القرآن الكريم، أن النسف والتسيير من مشاهد يوم القيامة كالدك والنصب وغيرها فهي إذن تتابعات مشاهد يوم القيامة فتكون الجبال كالعهن المنفوش ثم يأتي النسف والتذرية في النهاية[٣٠٧].

---

٣٠٣) الإعجاز البياني في كتاب العربية الأكبر د.عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ط ٢ , دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤م ،ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

٣٠٤) الإعجاز البلاغي فى استخدام الفعل المبني للمجهول د. محمد السيد موسى، ص ١٥، وقمت بتحميل هذا البحث من الأنترنيت على الرابط ، (http://www.٤shared.com/file/١٤١٥٥٤٩٠٤/fe٥٠c٧١f/__________.html) rar.

٣٠٥) حيث لم يكن "نائب الفاعل" قد أصطلح إطلاقه قبل ينظر المقتضب، المبرد، ج ١٠٢/١، شرح الرضي على الكافية، ج ٢١٥/١ ويرى الدكتور علي أبو المكارم أن مصطلح نائب الفاعل أفضل من غيره؛ لأمرين: أولهما : أنه اكثر إختصاراً، وثانيهما : أنه أكثر دقة ، ينظرالجملة الفعلية للدكتور علي أبو المكارم، ص ١١٧

٣٠٦) الإعجاز البلاغي فى استخدام الفعل المبني للمجهول د/ محمد السيد موسى ١٩-٢٠

٣٠٧) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي ٦٢١

الموضع الرابع

تقدم (فضل) على لفظ الجلالة (ا) في قوله تعالى :

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء ٩٥

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ النحل: ٧١

فَضَّلَ	ٱللَّهُ	ٱلْمُجَٰهِدِينَ	بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً	النساء ٩٥
وَٱللَّهُ	فَضَّلَ	بَعْضَكُمْ	عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ	النحل ٧١

ويعد الفيروزآبادي لـ (فضل) وما يشتق منه حوالي عشرين وجهاً فى القرآن: منها - فضل الغزو والمجاهدة: {وفَضلَ الله الْمجاهدين علَى الْقَاعدين} وفضل الغنى والنعمة: { والله فَضلَ بعضكُم علَى بعضٍ في الْرزق}[٣٠٨] وهذا الفضل الأخير قد يكون عرضيا فيوجد السبيل على اكتسابه أي المال وما يكتسب [٣٠٩]

دلت هذه الآيات الكريمة، المذكورة هنا، كقوله تعالى: { نَحن قَسمنَا بينَهم معيشَتَهم }, وقوله تعالى { والله فَضلَ بعضكُم علَى بعضٍ في الرزق } النحل٧١, ونحو ذلك من الآيات، على أن تفاوت الناس في الأرزاق، والحظوظ سنة من سنن ا السماوية الكونية، القدرية، لا يستطيع أحد من أهل الأرض، البتة تبديلها، ولا تحويلها، بوجه من الوجوه، { فَلَن تَجِد ِلسنت الله تَبديلاً ولَن تَجِد ِلسنت الله تَحويلاً } فاطر٤٣[٣١٠]

---

٣٠٨) بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي، ط ٣, (تحقيق الاستاذ محمد النجار) ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة , ١٩٩٦م، ص١٢١٠

٣٠٩) ينظر المفردات في غريب القران للاصفهاني ٣٨١/١-٣٨٢

٣١٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر

ولابن عاشور حديث رائع في مسألة تفاوت الأرزاق، فيقول(إن الرزق حاصل لِجميع الخلق وإن تفاضلَ الناسِ فيه غير جارٍ على رغباتهم ولا على استحقاقهم؛ فقد تجد أكيس الناس وأجودهم عقلاً وفهماً مقتّراً عليه في الرزق، وبضده ترى أجهل الناس وأقلّهم تدبيراً موسعاً عليه في الرزق، وكلا الرجلين قد حصل له ما حصل قهراً عليه، فالمقتّر عليه لا يدري أسباب التّقتير، والموسع عليه لا يدري أسباب تيسير رزقه، ذلك لأن الأسباب كثيرة متوالدة ومتسلسلة ومتوغّلة في الخفاء حتى يظن أن أسباب الأمرين مفقودة وما هي بمفقودة ولكنها غير محاط بها... والقول في جعل المسند إليه اسم الجلالة وبناء المسند الفعلي عليه كالقول في قوله تعالى (وا خلقكم ثم يتوفاكم (سورة النحل٧٠) والمعنى ا لا غيره رزقكم جميعاً وفضل بعضكم على بعض في الرزق ولا يسعكم إلا الإقرار بذلك له)[٣١١]

ورأي الباحث هو أن استعمال القرآن في آية النساء ٩٥ للجملة الفعلية مرتين { فضل ا المجاهدين بأموالهم..} {وفضل ا المجاهدين على القاعدين ..} يعود إلى أن الموضع موضع جهاد في سبيل ا ، والجهاد يتجدد طوال حياة الأمة وماضٍ إلى يوم القيامة، لذا استعملت الجملة الفعلية التي تدل على التجدد والحدوث .

أمـا آية النحل ٧١ فاستعمال القرآن للجملة الاسمية {وا فضل بعضكم على بعض ..} فيها دلالة الثبوت، أي ثبوت قانون التفاوت بين الإنس في الرزق، وهذه الآية تدحض النظرية الشيوعية المنهارة .

الموضع الخامس

تقدم لفظ الجلالة (ا) على الفعل (خلق) في :

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾

إبراهيم: ١٩

وعلى خلاف ذلك

للطباعة والنشر , بيروت , ١٩٩٥م ، ج ٧ / ١١٤، ٨ / ٣٥ .

٣١١) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ٢١٣/١٤-٢١٦

في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٤٤

﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الجاثية: ٢٢

أَلَمْ تَرَ	أَنَّ	ٱللَّهَ	خَلَقَ	ٱلسَّمَٰوَٰتِ	وَٱلْأَرْضَ	بِٱلْحَقِّۚ	إبراهيم١٩
		خَلَقَ	ٱللَّهُ	ٱلسَّمَٰوَٰتِ	وَٱلْأَرْضَ	بِٱلْحَقِّۚ	العنكبوت٤٤
		وَخَلَقَ	ٱللَّهُ	ٱلسَّمَٰوَٰتِ	وَٱلْأَرْضَ	بِٱلْحَقِّ	الجاثية٢٢

ويرى ابن عاشور في معنى الآية من سورة إبراهيم أن الخطاب في (ألم تر) لكل من يصلح للخطاب غير معين، وكل من يظن به التساؤل عن إمكان إهلاك المشركين. والرؤية : مستعملة في العلم الناشىء عن النظر والتأمل ، لأن السماوات والأرض مشاهدة لكل ناظر ، وأما كونها مخلوقة فمحتاج إلى أقل تأمل لسهولة الانتقال من المشاهدة إلى العلم، وأما كون ذلك ملتبساً بالحق ـ المقصود به هنا الحكمة، أي ضد العبث ـ فمحتاج إلى تأمل عميق. فلما كان أصل ذلك كله رؤية المخلوقات المذكورة علق الاستدلال على الرؤية [٣١٢]

ولا بد بعد بيان عظيم قدرة الخالق مجيء الوعيد المرتقب في تحقيق مشيئة ا ، فيقول الزمخشري عن قوله تعالى في تتمة الآية الكريمة { إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ } : (أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقاً آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم ، إعلاماً منه باقتداره على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم ، يقدر على الشيء وجنس ضده)[٣١٣] فيأتي من يسود الأرض من المؤمنين خلفاً للجبابرة المعاندين المتكبرين .

ويرى الباحث أن مجيء المصدر المؤول في الآية ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ ... ﴾ إبراهيم: ١٩، الذي يحل محل مفعولي (ترى) وذلك حتى يتناسب هذا التغيير مع فكرة

٣١٢) ينظرالتحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٠٤/١٣

٣١٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٥١٤/٢

التغيير في ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ إبراهيم: ١٩. أما الآيتان ٤٤ العنكبوت و ٢٢ الجاثية فقد جاءتا على أصل صورة الجملة الفعلية لغير داعٍ يستوجب التقديم وا   أعلم .

المبحث الثاني
التقديم والتأخير في التراكيب

كثر استخدامنا لمصطلح الجملة في المبحث الأول من الفصل الأول، وكذلك في المبحث الأول من هذا الفصل المتعلق بالتقديم والتأخير في الإسناد، وسنعرض في هذا الفصل للتقديم والتأخير في التراكيب التي هي أوسع من الجملة التي تدور في الصراع الفكري القديم بين تقسيماتها عند النحويين قدامى ومحدثين ممن تعرضنا لهم الذين اختلفوا في تحديد نوعها منطلقين من التصدر... وسنحاول أن نخفف من وطأة هذا الضغط في هذا المبحث، وإن كانت تقسيمات التراكيب لا تخرج عن الاسمية والفعلية بطرفيها الرئيسين، ولكن كانت عنايتنا الآن تتوجه إلى الجانب التطبيقي من المتشابه اللفظي الذي تعددت أمثلته في هذا البحث .

الموضع الأول

تقدم (الشفاعة) على (العدل) في قوله تعالى:

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ٤٨

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى :

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ١٢٣

وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا	لَّا تَجۡزِي	نَفۡسٌ عَن	نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا	وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا	شَفَٰعَةٞ	وَلَا يُؤۡخَذُ	مِنۡهَا عَدۡلٞ	وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ	البقرة ٤٨
وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا	لَّا تَجۡزِي	نَفۡسٌ عَن	نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا	وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا	عَدۡلٞ	وَلَا تَنفَعُهَا	شَفَٰعَةٞ	وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ	البقرة ١٢٣

هاتان الآيتان من الآيات التي لا تكاد تجد كتاباً في المتشابه اللفظي لا يعنى بتوجيهه القول فيه وربما يعود السبب إلى ما نلمس فيهما من الوضوح الكبير في التشابه اللفظي كما يبدو ذلك من

وضعهما في الجدول السابق، كما أن الخطاب فيهما موجه لليهود(٣١٤) الذين كـَـثـُـر ذكرهم في كتاب ا ، وعليه كثر فيهما التوجيهات التي سنعرض هنا بالتفصيل.

نلاحظ في الآية الأولى تقدم قبول الشفاعة على الأخذ بالفدية، بينما في الآية الثانية تقدم قبول الفدية على نفع الشفاعة .

يوضح الإسكافي أن الوجه الأول أنه لما قال: { لا تجزي نفس عن نفس شيئاً} بمعنى لا يغني أحد عن أحد فيما يلزمه من العقاب، ولا يكفر سيئاته ما له من الثواب، وهو كقوله عز من قائل:{ وأخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً...} لقمان٣٣، فهذه الأشياء التي ذكر في هذه الآية ـ امتناع وقوعها في الآخرة أربعة أنواع تتقى بها المكاره وتتداوى بها الشدائد، ألا ترى العرب إذا دفع أحدهم إلى كريهة وارتهنت نفسه بعظيمة وحاولت أعزته دفاع ذلك عنه وتخليصه منه بدأت بما في نفوسها الأبية من مقتضى الحمية، فذبت عنه كما يذب الوالد عن ولده، بغاية قوته وجلده، فإن رأى من لا قبل بممانعته ولا يد له بمدافعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف المسألة والشفاعة فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة، فإن لم تغن عنه الحالتان ولم تنجه الخلتان من الخشونة واللين لم يبق بعدهما إلا فداء الشيء بمثله، وفكه من الأسر بعدله إما بمال أو بغيره . فإن لم تغن عنه هذه الثلاث في العاجلة تعلل بما يرجوه من نصر في الآجلة، وإدالة في الخاتمة، كما قال تعالى {... ثم بغى عليه لينصرنه ا ...} الحج٦٠ وقال تعالى {... فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً } الإسراء ٣٣ على أحد وجوه التفسير، فأخبر ا تعالى أن ما يغني في هذه الدنيا عن المجرمين، ويترتب هذه المراتب بين العالمين، لا يغني منه شيء في الآخرة عن الظالمين(٣١٥).

آية البقرة الأولى جاءت مرتبة بالشكل التالي دلالاتها :

الدفع بالخشونة	... وأتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ...
الملاينة	... ولا يقبل منها شفاعة ...
الفداء	... ولا يؤخذ منها عدل ...
نفي النصرة	... ولا هم ينصرون ...

٣١٤) دليله قوله تعالى في الآية التي تسبقها{يا بني إسرائيلَ اذْكُرواْ نعمتي التي أَنْعمتُ علَيكُم ... }البقرة٤٧ - ١٢٢

٣١٥) درة التنزيل للخطيب الإسكافي ٢٢٦- ٢٢٨

فالإسكافي عليه رحمة ا   يكاد توجيهه للمسألة أن يكون تفسيراً يوضح فيها المعنى العام للآيتين بينما يرى الكرماني أن تقديم الشفاعة قطعاً لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند ا ، وأخرها في الآية الأخرى لأن التقدير في الآيتين معا : لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة، لأن الشفاعة بعد القبول، وقدم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدماً فيها[٣١٦] فامتاز تعليله بالحسن والدقة ووافقه الزركشي فيه[٣١٧].

ويأتي الغرناطي الذي يأخذ السياق بنظر الاعتبار فيعلل للتقديم والتأخير الحاصل إلى سبوق الآية الأولى بقوله تعالى: { أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} البقرة ٤٤، والمأمور بالبر قد يأخذ به ويتمسك بموجبه فيسلم من العصيان وتكون في ذلك نجاته ... فلتوهم هؤلاء إمكان شفاعة من أمرهم بالبر وطمعهم في ذلك كان آكد شيء نفع الشفاعة لهم لإمكان توهمها، ولم يتقدم في الآية الأخرى ما يستدعي (هذا) فقدم فيه ذكر الفئة التي هي أولى وأحرى في كمال التخاص على ما عهد في الدنيا لو أمكنت[٣١٨]. يتضح لنا جلياً بعد نظر الغرناطي في معالجته للمسألة. وتعلق ابن جماعة لاستنباط فائدة التقديم والتأخير والتعبير بقضية عود الضمير في (منها) إلى النفس وبنى على أساسها أنه في الآية الأولى النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل . ولأن الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها . وبين في الآية الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها، وقد بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند رده . فلذلك كله قال في الأولى : لا يقبل منها شفاعة، وفي الثانية : ولا تنفعها شفاعة لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع، وإنما تنفع المشفوع له[٣١٩].

ويعلل الانصاري الحكمة من تقديم الشفاعة وعكسه إلى مسألة الميل ويختصر الكلام في ذلك إلى أقصى الحدود، فيقول :(فَمن ميلُه إلى حب نفسه أشد منه إلى حب المال، وثم إلى من هو بعكس ذلك) [٣٢٠]

---

٣١٦) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ٢٧-٢٨

٣١٧) ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ١٢٥- ١٢٦

٣١٨) ينظر ملاك التأويل لابن زبير الغرناطي ١٩٦-١٩٧

٣١٩) ينظر كشف المعاني لابن جماعة ٩٤ -٩٥ وينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ١٢٥- ١٢٦

٣٢٠) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري ٢٤

ووجدت الصورة أكثر وضوحاً عند الرازي حيث يقول إن من كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين[٣٢١].

وأرى أنه إذا نظرنا إلى آيتي البقرة ٤٨ و ١٢٣ سنجد أمامنا صورتين مختلفتين :

الصورة الأولى : تتحدث الآية الأولى٤٨ البقرة عن بني اسرائيل وتحذرهم من يوم نحس لا قوة تدفع ولا شفاعة تبعد شره، ولا بذل المنال ينفع، هذه الحالة تشبه ما نفعله في حياتنا إذا أرتكبنا جريمة، فنلجأ أول الأمر إلى القوة وإذا لم تنفع نلجأ إلى شفاعة الشافعين وإذا لم تفد نضطر أخيراً إلى دفع الفدية .

الصورة الثانية : تتحدث عنها الآية ١٢٣ البقرة وتحذر بني اسرائيل من يوم أكثر شؤماً وأشد فظاعة حيث لا القوة تنفع ولا الفدية تنفع ولم تذكر الآية الشفاعة لأن الجريمة كبيرة إلى درجة أنهم لم يفكروا في شفاعة الشافعين أصلاً، ثم ذكرت الآية (ولا تنفعها شفاعة) جواباً لمن يسأل لم لم تلجأوا إلى الشفعاء؟! وا أعلم .

الموضع الثاني

تقديم (وأدخلوا الباب سجداً) على (وقولوا حطة) في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٥٨

وعلى خلاف ذلك

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ الأعراف: ١٦١

٣٢١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥١/٣

وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا	وَقُولُواْ حِطَّةٞ	نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ	وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ	البقرة ٥٢
وَقُولُواْ حِطَّةٞ	وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا	نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ	سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ	الاعراف ١٦١

وهاتان الآيتان كسابقتيهما تحدث فيهما الكثير من علماء المتشابه اللفظي، أولهم الخطيب الاسكافي الذي استخرج فيهما عند المقابلة بينهما ستة مسائل نذكر ما يخص موضوعنا مع عدم الاستغناء عن ما يفيدنا في كشف الدلالات المتعلقة بالتقديم والتأخير .

جاءت توجيهات كثيرة لعلماء المتشابه اللفظي حول هذه المسألة التي تبدو واضحةً من الجدول أعلاه من تقدم قوله تعالى { وأدخلوا الباب سجدا} على {وقولوا حطة} في سورة البقرة وتأخره عنه في سورة الأعراف، فيقول الخطيب الاسكافي :(إن ما أخبر ا تعالى به من قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل وسائر الأنبياء ـ صلوات ا عليهم ـ وما حكاه من قولهم وقوله ـ عز وجل ـ لهم، لم يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها، وإنما قصد إلى اقتصاص معانيها، وكيف لا يكون كذلك؟ واللغة التي خوطبوا بها غير العربية؟ فإذن حكاية اللفظ زائلة وتبقى حكاية المعنى) [٣٢٢] فالعبرة عند الاسكافي هنا بعموم المعنى لا خصوص اللفظ فلا يجعل تعليلاً للتقديم والتأخير الحاصل بين الآيتين وإن إختلاف الترتيب هنا لا توجيه معيناً له وأن الواو لا تدلُّ على الترتيب . ولا يجد الزركشي تعليلاً لهذا الاختلاف إلا أن يكون ذلك تفنناً في الفصاحة وإخراجاً للكلام على عدة أساليب[٣٢٣] .

وممن لم ير تناقضاً وإشكالاً في هذه المسألة الزمخشري إذ يقول: وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخّروها ، فهم جامعون في الإيجاد بينهم[٣٢٤] وإلى هذا أيضاً ذهب أبو السعود فقال: وتقديم الأمر باالدخول على الأمر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لأن المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما[٣٢٥] .

---

٣٢٢) درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٢٣٣- ٢٣٤

٣٢٣) ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٨٧/٣ ، ويرى ابن جماعة تنويعاً في الخطاب (كشف المعاني لابن جماعة ٩٦-٩٧)

٣٢٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ١٦٠/٢

٣٢٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي , بيروت، ج ٢٨٣/٣

وهذا الرأي لا يكفي لتعليل التقديم والتأخير، وليس صحيحاً أن الواو لا تفيد الترتيب، وأن الاختلاف في ترتيب الجمل بين الآيتين إنما هو تفنن في الفصاحة، إن كل ذلك لا يجدي الآن فالسياق القرآني يجعل لكل كلمة فيه دلالة خاصة حسب موقعها في السياق، وحسب مكانها في التركيب اللغوي، وينبغي أن نبحث في القرآن الكريم معتمدين على هذه القاعدة لا نخالفها أبداً.

أما الكرماني ويتبعه في ذلك أبو زكريا الأنصاري فيعللان التقديم أن السابق في هذه السورة { وإذ قلنا ادخلوا } فبين كيفية الدخول[٣٢٦] حيث يحكم السياق فيبرر لتقدم { وادخلوا الباب سجدا } على قوله {وقولوا حطة} أن مبتدأ آية البقرة هو الأمر بالدخول فيناسب ذلك تقديم الدخول على القول، ويستخرج الغرناطي من هذه المقابلة عشر سؤالات ولا يلاقينا في مقصدنا إلا عند السؤال الرابع ويوجه آية البقرة قائلاً: أن قولهم: حطة دعاء أمروا به في سجودهم فلو ورد في السورتين على حد سواء لأوهم من حيث مقتضى الواو من الاحتمال أنهم أمروا بالسجود والقول منفصلين غير مساوق أحدهما للآخر على أحد محتملات الواو في عدم الرتبة، فقدم وأخر في السورتين ليحرز المجموع أن المراد بهذا القول أن يكون في حال السجود لا قبله ولا بعده، وتعين بهذا معنى المعية من محتملات الواو وتحرر المقصود، وإن المراد: وادخلوا الباب سجداً قائلين في سجودكم حطة، فاكتفى بتقلب الورود عن الإفصاح بمعنى المعية إيجازاً جليلاً وبلاغة عظيمة . وقدم في البقرة الأمر بالسجود لأن ابتداء السجود يتقدم ابتداء الدعاء ثم يتساوق المطلوبان، فجاء ذلك على الترتيب الثابت في السور والآي، [٣٢٧] فهو يرى إذن أن الواو لمطلق الجمع وأن السجود والقول جاءا معاً في حالة واحدة لا قبله ولا بعده، وهذا رأي الأنباري(ت٥٧٧هـ) أيضاً حيث قال ولوكانت الواو تقتضي الترتيب لما جاز أن يتقدم في إحدى الآيتين ما يتأخر في الأخرى[٣٢٨]، بينما كان للرازي وأبي حيان وجهة نظر خاصة بهما وهي أن المقصود بهم في الآيتين أشخاص مغايرون مذنبون أو غير مذنبين، فيناسب خطاب المذنبين أن يقولوا(حطة) ثم يدخلوا، بخلاف الآخر ـ غير المذنب ـ فالأولى به أن يشتغل بالعبادة (ادخلوا الباب سجدا) ثم يذكر التوبة (وقولوا حطة)[٣٢٩] ولكن الأرجح أن

٣٢٦) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ٢٨-٢٩ ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري ٢٦

٣٢٧) ملاك التأويل لابن زبير الغرناطي ٢٠٥

٣٢٨) ينظر من أسرار العربية للأنباري ١٥٩ .

٣٢٩) ينظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٣ / ٨٧ ، البحر المحيط لابي حيان الأندلسي ٣٨٨/١

المخاطبين في الآيتين هما واحد وإلى هذا يذهب الآلوسي وأن القصة واحدة[٣٣٠] ويذكر الدكتور محمد فاضل السامرائي: إن تقديم السجود على القول في سورة البقرة يعود لسببين :

١- لأن السجود أشرف من القول لأنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فناسب مقام التكريم

١- لأن السياق يقتضي ذلك فقد جاءت القصة عقب الأمر بالصلاة[٣٣١]

ومن جانب آخر يرى عز الدين الكردي أن لتقديم ذكر القول على ذكر السجود في آية الأعراف قد يكون له صلةٌ بمقام التقريع والتأنيب[٣٣٢] الذي يستدعي تقديم (الدعاء) بمغفرة الذنوب على ذكر (السجود)[٣٣٣]

قال تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ البقرة: ٤٣ ــ ٤٧

ومن خلال التمعن في كل هذه النعم العظيمة التي ذكرت في سورة البقرة سنجد أنها داعية إلى تقديم السجود شكراً لأنعم ا تبارك وتعالى ومعطية الأولية على إستغفار المذنبين وطلب حط الذنوب، بينما خالفت الآية في الأعراف الترتيب لأن ذكر نعم ا لم يبلغ مبلغ ما ذكر في البقرة

---

٣٣٠) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للآلوسي، دار إحيار التراث العربي، بيروت، ج ١/ ٣٦٥ .

٣٣١) دراسة المتشابه اللفظي من آي التزيل في كتاب ملاك التأويل للدكتور محمد فاضل صالح السامرائي ١٩٢

٣٣٢) جاء تقريع وتأنيب ا تبارك وتعالى بني اسرائيل لعدم اتعاظهم قط فبعد انقاذهم من بطش وظلم فرعون بإغراقه في اليم طلبوا مـن موسى عليه السلام أن يجعل لهم أصناماً ليعبدوها {وجاوزنَا بِبني إِسرائِيلَ الْبحر فَأَتَواْ علَى قَومٍ يعكُفُون علَى أَصنَامٍ لهم قَالُواْ يا موسى اجعل لنَا إِلَـهاً كَما لَهم آلِهةٌ قَالَ إِنكُم قَوم تَجهلُون }الأعراف١٣٨ وما إن ذهب موسى (عليه السلام) لميقات ربه حتى عبدوا العجل {واتخَذَ قَـوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خُوار أَلَم يرواْ أَنه لاَ يكَلمهم ولاَ يهديهم سبِيلاً اتخَذُوه وكَانُواْ ظَالِمين }الأعراف١٤٨ فتوعدهم رب العزة في الدنيا والأخرة {إِن الذين اتخَذُواْ الْعجلَ سينَالُهم غَضب من ربهِم وذلةٌ في الْحياة الدنْيا وكَذَلِك نَجزِي الْمفْتَرِين }الأعراف١٥٢ ثـم جاءت الآية التي نحن بصدد توجيهها وبعدها حديث ا عن بني اسرائيل وعن انتهاكهم محارم ا حين طلب ا منهم تعظيم حرمة السبت وعدم الاصطياد فيها ومعصيتهم لأمر ا {واسأَلْهم عنِ الْقَرية التي كَانَتْ حاضرةَ الْبحرِ إِذْ يعدون في السبت إِذْ تَأْتيهِم حيتَانُهم يـوم سـبتهِم شُرعاً ويوم لاَ يسبِتُون لاَ تَأْتيهِم كَذَلِك نَبلُوهم بِما كَانُوا يفْسقُون }الأعراف١٦٣

٣٣٣) التقديم والتأخير في القرآن الكريم للدكتور عز الدين محمد الكردي ١٨٦-١٨٧

والذي يبدو واضحاً عند المقابلة أن الأكل المذكور في البقرة (كلوا منها حيث شئتم) وصف بالرغد الذي يصفها السيوطي بـ (الكثير الواسع)[٣٣٤] .

الموضع الثالث :

تقدم (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) على (وباؤوا بغضب من ا) في قوله تعالى

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى :

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ آل عمران: ١١٢

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ	وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ	البقرة ٦١
وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ	وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ	ال عمران ١١٢

وتوجيه هاتين الآيتين من انفرادات ابن الزبير عن غيره من علماء المتشابه اللفظي : فيقول:(أن بني اسرائيل طلبوا أكلاً بديلاً عوضاً مما لا تكلف فيه ولا مشقة من المن والسلوى الذي كان ينزل عليهم عند الحاجة بغير مؤنة، {وإِذْ قُلْتُم يا موسى لَن نصبر علَى طَعامٍ واحد فادع لَنَا ربك يخْرِج لَنَا مما تُنبِتُ الأَرض من بقْلها وقثَّائِها وفُومها وعدسها وبصلها... } البقرة٦١ ولهذا قيل فيهم : { أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير} فلما سألوا ما يستلزم مهانة النفس ودناءة الحال لما أجرى به ا تعالى العادة من أن الذي سألوه لا يتوصل إليه إلا بتكلف ومشقة، فلما سألوا ما حاصله

٣٣٤) معترك الأقران للسيوطي ٢/ ١٨٦

خسة وامتهان ناسب ذلك أن يناط به وينبئ عليه ذكر ضرب الذلة والمسكنة عليهم ثم أعقب ذلك ما باؤوا به من غضب ا الذي سبق به القدر عليهم ... ولما تقدم في آل عمران قوله تعالى { لَن يضروكُم إلا أَذًى وإن يقَاتلُوكُم يولوكُم الأدبار ثُم لاَ ينصرون } آل عمران١١١ ناسب هذا التقديم ما لا نصرة لهم معه ولا فلاح وهو ما باؤوا به من غضب ا عليهم فقال تعالى { وبآؤُوا بِغَضبٍ من اللّه } فجاء كل على ما يناسب وا أعلم بما أراد)[٣٣٥] .

إن المتأمل للآيتين يتبين له التقريع والتأنيب الواضحان ولكن كما ذكرنا في المسألة السابقة في أثناء المقابلة بين الآيتين من سورة البقرة والأعراف حيث اتضحت لنا جلياً شدة القول والتقريع في آية الأعراف، فيلفت الدكتور محمد السامرائي نظرنا لحالة مماثلة في هذه المسألة يعلل على أساسها تقدم (َبآؤُوا بِغَضبٍ من اللّه) على(وضرِبتْ علَيهِم الْمسكَنَةُ) في سورة ال عمران التي يرى أن مواطن الذم والتشنيع فيها على اليهود أشد من آية البقرة التي جمع فيها (الذلة والمسكنة) ثم قال (َبآؤُوا بِغَضبٍ من اللّه) أما في آية ال عمران فقد قال (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا) ثم قدم غضب ا عليهم فقال و(َبآؤُوا بِغَضبٍ من اللّه) ثم قال و(وضرِبتْ علَيهِم الْمسكَنَةُ)[٣٣٦]

فالفصل بين ذمهم بالذل وبين ذمهم بالمسكنة كما فعلْتُ في هذا التركيب هو زيادة في التوكيد والأمر كذلك، وا أعلم؛ لأن التعبير القرآني يميل إلى الاختصار والإيجاز غالباً والظواهر الأسلوبية من حذف واستبدال خير دليل على ذلك، فعندما يأتي قوله بهذه الصياغة المفصلة العظيمة نكشف مبلغ الذم الذي يحمله لبني اسرائيل في آية ال عمران، ومما يدعم ذلك أن ذكر الأنبياء في البقرة جاء بصيغة جمع المذكر السالم وهو جمع قلة بخلاف ما جاء في ال عمران على صيغة جمع الكثرة مما يدل على كبير جرمهم .

ويرى الكرماني أن قوله تعالى {ويقتلون النبيين بغير الحق} بتعريف (الحق) فيه إشارة إلى الحق الذي أذن ا أن تقتل النفس به وهو قوله {ولا تقتلوا النفس التي حرم ا إلا بالحق } فكان الأولى أن يذكر معرفا لأنه من ا تعالى وما في آل عمران نكرة أي بغير حق في معتقدهم ودينهم [٣٣٧] بيان على شنيع فعلهم فما وقع من قتلهم إنما وقع بغير حق، لأن النبي معصوم من أن يأتي أمراً يستحق عليه فيه القتل، وإنما جاء هذا القيد على سبيل التشنيع لقتلهم ، والتقبيح لفعلهم مع

٣٣٥) ملاك التأويل لابن زبير الغرناطي ٢١٣ - ٢١٤

٣٣٦) ينظر دراسة المتشابه اللفظي من آي التزيل في كتاب ملاك التأويل للدكتور محمد فاضل صالح السامرائي ١٩٤

٣٣٧) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ٣٠

أنبيائهم[٣٣٨] فتتضافر الأدلة التي تدعو إلى الزيادة في ذمهم والتشنيع عليهم في آية ال عمران فيكون كل هذا داعياً إلى تقدم التركيب (َبآؤُوا بِغَضَبٍ من اللّه) على (وضرِبتْ علَيهم الْمسكَنَةُ) وتأخره عنه في الآية من سورة البقرة .

الموضع الرابع :

تقدم (من تَبِعك) على (لأملأن جهنم) في قوله تعالى :

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٨

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ص: ٨٤ - ٨٥

لَّمَن تَبِعَكَ	مِنْهُمْ	لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ	مِنكُمْ أَجْمَعِينَ	الاعراف ١٨
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ	مِنكَ	وَمِمَّن تَبِعَكَ	مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ	ص ٨٤ – ٨٥

لم أجد لهاتين الآيتين توجيهاً في كتبِ المتشابه اللفظي بل ولم تحظَ حتى بمجرد التصنيف الخالي من التوجيه في كتب المرحلة الأولى التي سبق حديثنا عنها، فلم ينهض بتوجيهها إلا فاضل السامرائي، الذي يتسم دائماً بانفراداته المميزة، فيجيب عن سر هذا التقديم بما فتح ا عليه، قائلاً: إن كلتا الآيتين في قصة آدم وابليس في السورتين، وقد تقدم قبل هذه القصة في سورة (ص) الكلام على جهنم وعذابها، وذلك من قوله ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ . . . . إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ ص: ٥٥ – ٦٤، فلما تقدم الكلام على جهنم قدم ما يتعلق بها وهو ملء جهنم . وأما في سورة الأعراف، فقد تأخر ذكر جهنم وعذابها عن هذه القصة، فلما تأخر ذكْر جهنم ُأخر ما يتعلق بها في القصة . هذا أمر والأمر الآخر أنه تقدم على القصة في الأعراف ذكر من تبع ابليس ممن أهلكهم ا من أهل القرى فقال: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ

٣٣٨) ينظر البحر المحيط لابي حيان الأندلسي ٣٩٩/١

قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الأعراف: ٤ - ٥ وتقدمها عتاب ربنا لأهل الأرض لقلة شكرهم، فقال ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٠ فكأنه صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه حين قال في قصة آدم في هذه السورة{ ولا تجد أكثرهم شاكرين } الاعراف ١٦ فناسب تقديم من اتبعوه في الاعراف من هذه الناحية أيضاً[٣٣٩].

ويقارن الدكتور فاضل السامرائي بين ما ذكره إبليس في الأعراف وبين ما ذكره في(ص) بقصد الاحتيال على ذرية بني آدم ليتبعوه، وتبدو المقارنة أكثر وضوحاً في الجدول التالي :

احتيال ابليس على ذرية بني آدم في سورة (الأعراف)	احتياله . . . في سورة (ص)
١- لأ قعدن لهم صراطك المستقيم ٢- ثم لآتينهم من بين أيديهم ٣- ومن خلفهم ٤- وعن إيمانهم ، وعن شمائلهم ٥- ولا تجد أكثرهم شاكرين	- لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ٨٢-٨٣

فلما أفاض فيما سيفعله ويحتال لذرية آدم في الأعراف ليتبعوه ناسب أن يقدم من تبعه من هذه الذرية، بخلاف سورة (ص) التي لم تكن فيها مثل هذه المناسبة، فناسب كل تعبير مكانه من كل وجه[٣٤٠].

٣٣٩) أسئلة بيانية في القرآن الكريم، فاضل السامرائي ، ط١, مكتبة الصحابة , القاهرة , ٢٠٠٨م ، ص ٦٩

٣٤٠) المصدر السابق ٧٠

الموضع الرابع

تقدم (يضر) على (ينفع) في قوله تعالى :

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يونس: ١٨

وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ الفرقان: ٥٥

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ	مَا لَا يَضُرُّهُمۡ	وَلَا يَنفَعُهُمۡ	يونس ١٨
وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ	مَا لَا يَنفَعُهُمۡ	وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ	الفرقان 55

يقول الخطيب الإسكافي: (إنه إنما قدم (ما لا يضرهم) على (ولا ينفعهم) في الآية الأولى لأن العبادة تقوم للمعبود خوفاً من العقاب أولا، ثم رجاء للثواب ثانياً، وما أوجب هذا التقديم هو قوله {... إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم} يونس ١٥ فكأنه قال: ويعبدون من دون ا ما لا يخافون ضرراً في معصيته، ولا يرجون نفعاً في طاعته، فحصل التقديم لهذا المعنى ولهذا اللفظ المتقدم . وأما سورة الفرقان فقد تقدمت فيها آيات قُدم فيها الأفضل على الأدون كقوله عز وجل{ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج...} الفرقان٥٣ وكقوله بعده { وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً} الفرقان ٥٤ وصلة النسب أفضل من صلة المصاهرة، كما أن العذب من الماء أفضل من الملح، وقال بعده :{ ويعبدون من دون ا ما لا ينفعهم } أي يتكلفون المشقة بعبادة ما لا يرجونه لنفع، ولا يخشونه لضر، فقدم الأفضل على الأدون لهذا المعنى وللبناء على ما تقدم من الآيات فجاء في كل موضع على ما أقتضاه ما تقدم، وصح المعنى الذي أعتمد عليه)[٣٤١].

٣٤١) درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٧٣٣- ٧٣٥

وذكر الكرماني بنحو عام الآيات التي ورد فيها تقدم الضر على النفع سواء بصيغة الاسم أو الفعل ووجدته يميل إلى جعل الأصل تقدم الضر لكثير ما أحصاه ولكون العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا ويستدل بهذا بقوله تعالى{ يدعون ربهم خوفا وطمعا } [٣٤٢]
بينما يرى الأنصاري تقدم الضر على النفع لمناسبة ما بعده، هو من تقديم الموت على الحياة [٣٤٣].

وفي تعداد ذكر عظيم النعم التي كانت داعية إلى تقديم ما قدم في الآية من قوله {ويعبدون من دون ا ما لا ينفعهم ولا يضرهم} يعبرعنها ابن زبيرالغرناطي بأجمل الكلمات فيقول: فلما تقدم التنبيه بهذه الآيات الواضحات الموقظات من سنات الغفلات والمحصلات أعظم النفع في امتثال الواجبات والنجاة من الضلالات ناسبها تقديم ما قدم في الآية [٣٤٤] وإلى هذا أيضاً ذهب ابن جماعة والأنصاري [٣٤٥].

ويرى الغرناطي أن الموجب لتأخير (ولا ينفعهم) في سورة يونس ما وصل به من قولهم : {ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند ا } فكأن قد قيل : ويعبدون من دون ا ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويزعمون أن ذلك ينفعهم، ولم يكن ذلك ليناسب لو قيل: (ويعبدون من دون ا ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند ا) كمناسبة إتصال قوله: (ولا ينفعهم) بقوله { ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند ا }، فلهذا وردت الآية بحسب ذلك[٣٤٦].

وأرى أنه في الآية ١٨ يونس وغيرها من الآيات تقدمت كلمة(يضر) على (ينفع) لأن الموقف موقف تحد، لأن هؤلاء الكفار وآلهتهم من دون ا لا يستطيعون أن يضروا أحداً رغم أن الضر يسهل لكل إنسان أن يقوم به، وأما النفع فالقيام به صعب، كما أن البناء صعب وتخريبه سهل ، أما الآية ٥٥ الفرقان وغيرها من الآيات التي تقدم فيها النفع على الضر فإن الموضع يستدعي ذلك إذ المقام مقام الرجاء والتمني، ففي مثل هذا المقام يتقدم النفع على الضرلأن الإنسان لا يتمنى الضر حتى يقدم ويجعله أولَ أمله .

---

٣٤٢) ينظرالبرهان في توجيه القرآن للكرماني ٨٤-٨٥

٣٤٣) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري ٤٠٣

٣٤٤) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٦١٣

٣٤٥) كشف المعاني لابن جماعة ٢٠٢ ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري ٤٠٥

٣٤٦) ينظر ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٦١٢

الموضع الخامس

تقدم (العلم) على (التزكية) في :

قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة: ١٢٩ وعلى خلاف ذلك:

في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٤

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ	وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ	وَيُزَكِّيهِمْ	البقرة ١٢٩
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ	وَيُزَكِّيهِمْ	وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ	ال عمران ١٦٤، الجمعة٢

هذه المقابلة هي من المواضع التي انفرد **ابن الزبير** بها في التوجيه عن بقية علماء المتشابه اللفظي حيث يرجح رحمه ا تقدم (العلم) على (التزكية) كونها ـ العلم ـ سبباً في حصول التزكية لأن دعوة سيدنا ابراهيم وجدت قبل الضلال في ذريته عليه السلام، أما آيتي ال عمران والبقرة فقد تقدم فيهما التزكية لأن المقصود بهما ذكر امتنان ا تبارك وتعالى عليهم بهدايتهم.

يقول(لما كانت دعوة ابراهيم، عليه السلام، قبل وجود الضلال في الذرية المدعو لها وإنما تحصل لهم تزكيتهم ورفع ضلالهم المتوقع وقوعه بما يمنحونه من التعليم وما يتلى عليهم من الآيات لأن ذلك هو السبب في حصول التزكية والسلامة من الضلال إذا وفقوا للأنقياد له، ألا ترى أن ارتباط التزكية بأعمال الطاعات، قال تعالى { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} وإنما كانت تزكية لهم بانقيادهم للطاعة فيما يطالبهم به من ذلك ويأخذه منهم، فتأخر ذكر التزكية المسببة عما به تحصل وذلك بعد هدايتهم للإيمان، فجاء على الترتيب من بناء المسبب على سببه . ولما كان المقصود في الآيتين الأخيرتين إنما هو ذكر الامتنان عليهم بهدايتهم بعد الضلال الذي كان قد وجد منهم والتعريف بإجابة دعوة إبراهيم، عليه السلام، أخر ذكر تعليمهم الكتاب والحكمة المزيلين لضلالهم ليكون تلوه ذكر الضلال الذي أنقذهم ا منه بما علمهم وأعطاهم وأمتن عليهم وهو ثاني

المسببين، فكان الكلام في قوة أن لو قيل: ويعلمهم ما به زوال ضلالهم، وآخر في هاتين الآيتين ذكر السبب ليوصل بمسببه الكيد هنا الذي كان قد وقع وهو رفع ضلالهم من عظيم محنته، ولو أخر ذكر التزكية لما أحرز هذا المعنى المقصود هنا، فأختاف الترتيب إنما هو بحسب اختلاف المقصدين ورعي ما ذكر، فورد كل على ما يجب ويناسب وا أعلم بما أراد) [٣٤٧].

والأمر كذلك فعلاً لأنه كلما ازادات معرفة الانسان حقَ المعرفة زادت خشيته له، ويقول الدكتور منير المسيري في هذه المقابلة عن تقديم العلم على التزكية مستدلاً بقوله تعالى { وأهديك إلى ربك فتخشى} النازعات ١٩ : إن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة ، فلهذا معرفته تبارك وتعالى مقدمة على طاعته [٣٤٨]. وفي تقديم التزكية على العلم أميل إلى رأي الدكتور عز الدين الكوردي الذي يرى أنه قياساً على كون موقعة ُأحد من أسباب نزول آل عمران[٣٤٩] التي فيها تمحيص القلوب وتطهيرها من الذنوب ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ ﴾ آل عمران: ١٤١ ومن الأسباب التي أريدت في معركة أحد تزكية نفوس المؤمنين وهذا ما كان من أسباب بعث الرسولﷺ للبشر تزكية نفوسهم وتطهيرها من الذنوب والآثام [٣٥٠] فناسب ذلك تقديم التزكية، ووجدت آية أخرى لم يلتفت إليها ابن زبير في تقديم التزكية على العلم أيضاً فيقول تعالى ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ البقرة: ١٥١ ويعلل أبو حيان لاختلاف هذه الآية عما في دعاء إبراهيم من تقديم التعليم على التزكية ، وذلك لاختلاف المراد بالتزكية . فالظاهر أن المراد هنا هو التطهير من الكفر، كما شرحناه ، وهناك هو الشهادة بأنهم خيار أزكياء ، وذلك متأخر عن تعليم الشرائع والعمل بها[٣٥١].

وأرى أن آية ١٢٩ البقرة نزلت في موضوع دعاء ابراهيم حيث يقدم الداعي في مثل هذا الموضع الأهم على المهم، ولذلك قدم (يعلمهم الكتاب والحكمة) على (يزكيهم) لأن الكتاب مصدر التزكي، فالتزكية أثر من آثاره .

٣٤٧) ملاك االتأويل للغرناطي ٢٣٦-٢٣٧

٣٤٨) ينظر دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، الدكتور منير محمود المسيري، ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة، ٢٠٠٥م ، ٢٢٠

٣٤٩) ينظر أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الناشر مؤسسة الحلبي، القاهرة، ج ٦٧/١

٣٥٠) التقديم والتأخير في القرآن الكريم للدكتور عزالدين الكوردي ١٩٥

٣٥١) ينظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٨٧/١

أما الآية ١٦٤ ال عمران والآية ٢ الجمعة فإنهما نزلتا لِيمن ا   على المؤمنين ويذكر كثير فضله عليهم إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته، وتلاوة الآيات من قبل النبي ﷺ زكت نفوس المؤمنين قبل أن يتعلموا القرآن ويتدارسوه كما حدث ذلك في حياة المسلمين في تلك الفترة المباركة .

الموضع السادس

تقدم (لتكُونُواْ شُهداء علَى الناس) على (يكُون الرسولُ علَيكُم شَهيداً) في :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣

وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج: ٧٨

لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ	وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ	البقرة ١٤٣
لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ	وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ	الحج ٧٨

وفي تقديم شهادة الأمة على شهادة الرسول في البقرة وتأخرها عنه في الحج لم أجد توجيهاً لها عند علماء المتشابه اللفظي، ولكن لقى عناية عند المفسرين؛ فيقول: النيسابوري إن قوله تعالى في سورة الحج (ليكون الرسول) متعلق بقوله هو (اجتباكم) أي فضلكم على الأمم لهذا الغرض نظيره قوله في البقرة (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا) البقرة ١٤٣، والأصل تقديم الأمة كما في سورة (البقرة) لأن الخطاب معهم وليقع الختم على شهادة الرسول كما هو الواقع إلا أنه عكس

الترتيب في هذه السورة ليناط به قوله (فأقيموا الصلاة) والمراد إذ خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه واعتصموا بدلائله العقلية والسمعية أو بألطافه وعنايته[٣٥٢]

كما أن تقديم شهادة الرسول في الحج هي في مقام التنويه بالدين الذي جاء به الرسول . فالرسول هنا أسبق إلى الحضور فكان ذكر شهادته أهم ، وآية البقرة صدرت بالثناء على الأمة فكان ذكر شهادة الأمة أهم[٣٥٣].

أرى أنه لا فرق بين تقديم (لتكونوا شهداء على الناس) على (ويكون الرسول عليكم شهيداً) فالمحصلة النهائية أن أمة محمد شهود على الناس والرسول شاهد على هذه الأمة، ولكن الموقع يستدعي تقديم وتأخير إحداهما على الأخرى، ففي الآية ١٤٣ البقرة الخطاب موجه لأمة محمد ﷺ الوسطية، فاستلزمت هذه الوسطية أن يكونوا شهداء على الناس، فلذلك تقدمت (لتكونوا شهداء على الناس) على (ويكون الرسول عليكم شهيداً)، ولكن الآية ٧٨ الحج تتحدث عن المسلمين وتأمرهم أن يجاهدوا في ا حق جهاده، فمن الطبيعي حينئذ أن يتقدم (ويكون الرسول عليكم شهيداً) حتى يكون شاهداً على قيامهم بواجباتهم، ثم ذكر بعد ذلك (لتكونوا شهداء على الناس) وذلك واجبهم الطبيعي حسب وسطيتهم وإطلاعهم على أحوال الأمم السابقة، وا أعلم .

الموضع السابع

تقدم (خلق السماوات والأرض) على (واختلاف الليل والنهار) في :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ البقرة: ١٦٤

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ آل عمران : ١٩٠

وعلى خلاف ذلك:

---

٣٥٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ط ١ (تحقيق الشيخ زكريا عميران) دار الكتب العلمية , بيروت ، ١٩٩٦م . ج ١٠٣/٥

٣٥٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٥٢/١٧

﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ يونس : ٦

إِنَّ فِي	خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ	البقرة١٦٤، ال عمران ١٩٠
إِنَّ فِي	ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ	وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	يونس ٦

ولم يعرض لتوجيه هذه المسألة إلا **ابن جماعة** وقابل بين الآية في سورة ال عمران ١٩٠ والآية في سورة يونس ٦ فيقول عن تقديم (خلق السماوت) وتأخيرها عنه في يونس: أنه لما قال في ال عمران في الآية التي تسبقها { و ملك السموات والأرض}١٨٩ أتبعه بخلقها، ثم بـ : { إختلاف اليل والنهار} وفي يونس لما قال: {هو الذي جعلَ الشمس ضياء والْقَمر نُوراً وقَدره مَنَازِلَ لِتَعلَموا عدد السنين والْحساب ما خَلَقَ اللّه ذَلِك إِلا بِالْحق يفَصلُ الآيات لِقَوم يعلَمون } يونس٥ وإنما ذلك بإختلافهما : ناسب ذلك إتباعه بذكر {إختلاف الليل والنهار}[٣٥٤] .

وحذوت حذو ابن جماعة في أن أخرج من السياق بما يناسب التقديم فراعني ختام الآيات من توجيه الأدلة في البقرة وال عمران لأصحاب العقول مرة و للمتقين أخرى في يونس.

فكرت في قضية إن كل آية إنما تختتم بما يقتضيه أولها فلم أجد ما أربط به بين البدء بتقديم دليل" اختلاف الليل والنهار" وربطه بـ(التقوى) ولا "خلق السماوات والأرض" وربطه بـ(العقل) إلا أن تكون العبادة العظيمة من قيام الليل مثلاً داعياً إلى نشوء التقوى وأن يكون التفكر في خلق السماوات والأرض داعياً لتوسيع مدارك العقل وأرجح أن يكون الأصل وا أعلم الآية في سورة يونس فالتقوى مؤدي إلى العقل السليم، وعزز عندي هذا الرأي ما جاء عند ابن عاشور حيث يقول وجعلَتْ الآيات هنا لقوم يتقون ـ يقصد يونس ـ وفي آية البقرة (١٦٤)) لقوم يعقلون وفي آية آل عمران (١٩٠) لأولي الألباب لأن السياق هنا تعريض بالمشركين الذين لم يهتدوا بالآيات ليعلموا أن بعدهم عن التقوى هو سبب حرمانهم من الانتفاع بالآيات، وأن نفعها حاصل للذين يتقون، أي يحذرون الضلال [٣٥٥].

٣٥٤) كشف المعاني لابن جماعة ١٣٥

٣٥٥) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ١١/ ٢٣٨

ويرى القرطبي أن الآية في ال عمران ختمت بـ{لآيات لأولي الألْبابِ} حتى يكون إيمانهم مستندا إلى اليقين لا إلى التقليد. الذين يستعملون عقولهم في تأمل الدلائل[٣٥٦].

ثم إن الآية في سورة ال عمران التي ختمت بـ(أُولي الألْبابِ) تأتي بعدها آية يعرفنا ا تبارك وتعالى بهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩١ يصفهم سيد قطب بأولي الإدراك الصحيح . ويقول:(يفتحون بصائرهم لاستقبال آيات الله الكونية؛ ولا يقيمون الحواجز، ولا يغلقون المنافذ بينهم وبين هذه الآيات . ويتوجهون إلى الله بقلوبهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فتتفتح بصائرهم، وتشف مداركهم ، وتتصل بحقيقة الكون التي أودعها الله إياه ، وتدرك غاية وجوده ، وعلة نشأته ، وقوام فطرته . بالإلهام الذي يصل بين القلب البشري ونواميس هذا الوجود)[٣٥٧] .

فتجدهم يعملون(ذكر الله قياماً وقعوداً) ويتفكرون (خلق السماوات والأرض) فلعل هذا ما ناسب تقدم (خلق السماوات والأرض) على (اختلاف الليل والنهار)، ثم إنَّ خلق السماوات والأرض خلق أساسي فناسب التقديم في البقرة وال عمران بينما (وماخلق الله في السماوات والأرض) شيء دون ذلك من خلق الله فناسبه التأخير لأجل ذلك ، والله أعلم .

الموضع الثامن

تقدم (تبدوا) على (تخفوه) [٣٥٨] في قوله تعالى:

﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٤

وعلى خلاف ذلك :﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ آل عمران: ٢٩

---

٣٥٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٠/٤

٣٥٧) في ظلال القرآن سيد قطب ٢٨/٢

٣٥٨) البرهان في متشابه القرآن للكرماني ١٣٠

وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ	أَوۡ تُخۡفُوهُ	البقرة ٢٨٤
إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ	أَوۡ تُبۡدُوهُ	ال عمران ٢٩

وهذه المسألة من انفرادات **ابن الزبير** المشهورة وفيه يجري تحليلاً رائعاً لنفسية المنافقين بناء على ما رآه، فقال في آية ال عمران في وصفهم: إن إبداء الشيء وإخفاء خلافه في المعتقدات صفة المنافقين وبها امتيازهم من غيرهم من الكفرة، قال تعالى {... يخْفُون في أَنفُسهم ما لاَ يبدون لَك ... }آل عمران١٥٤ ، وقال تعالى: {وإِذَا لَقُواْ الذين آمنُواْ قَالُواْ آمنا وإِذَا خَلَواْ إِلَى شَياطينهم قَالُواْ إِنا معكُم إِنما نَحن مستَهزِئُون }البقرة١٤، وهذا كثير في القرآن، وقد أعلم سبحانه أن المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وتوعدهم على ذلك بأليم العذاب قال تعالى: {بشرِ الْمنَافقين بِأَن لَهم عذَاباً أَلِيماً ۞ الذين يتخذُون الْكافرِين أَولياء من دونِ الْمؤْمنين... }النساء ١٣٨-١٣٩ فحذر المؤمنين من ذلك فقال {يا أَيها الذين آمنُواْ لاَ تَتخذُواْ الْكافرِين أَولياء من دونِ الْمؤْمنين أَتُرِيدون أَن تَجعلُواْ لِلّه علَيكُم سلْطَاناً مبِيناً }النساء١٤٤ ، وقال تعالى: {يا أَيها الذين آمنُوا لَا تَتخذُوا عدوي وعدوكُم أَولياء ... } الممتحنة١ إلى غير هذه من الآي، فلما تقرر هذا النهي وتكرر، وقد تقدم آية ال عمران قوله تعالى ناهياً وزاجراً {لا يتخذ الْمؤْمنُون الْكافرِين أَولياء من دونِ الْمؤْمنين ... } آل عمران٢٨، فأعلامهم سبحانه بأن علمه بما يخفون هو كعلمه بما يبدون فهذا وجه تقديم الإخفاء في آية ال عمران، أما آية البقرة فلم يجر فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله وإنما الخطاب فيها وفي آية الدين قبلها وفيما أعقبت به بعد للمؤمنين فيما يخصهم من الأحكام[٣٥٩] فورد فيها قوله تعالى {لله ما في السماوات وما في الأرضِ وإِن تُبدواْ ما في أَنفُسكُم أَو تُخْفُوه يحاسبكُم بِه اللّه ...}البقرة٢٨٤ مقدماً فيها بادي أعمالهم بناء على سلامة بواطنهم وتنزههم عن صفة المنافقين[٣٦٠].

وأرى أن الآية ٢٨٤ البقرة تتحدث عن محاسبة الناس، فقدمت الذين يبدون ما بأنفسهم على الذين يخفون ما بأنفسهم لأنهم يتحدون ا ويظهرون العصيان ولا يخافون، أما الآية ٢٩ ال عمران فتتحدث عن علم ا سبحانه وتعالى وأنه يعلم السر كما يعلم الجهر﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ

٣٥٩) حيث جمعت في هذه السورة(البقرة) الكثير من علم الأصول ببيان الشرائع والتكاليف ينظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٩٩/٧

٣٦٠) ملاك االتأويل للغرناطي ٢٧٩-٢٨٢

﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾ هود: ٥ عكس الانسان الذي لا يعلم إلا الجهر المشهود .

الموضع التاسع

تقدم (المغفرة) على (العذاب) في :

قوله تعالى ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٤

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٩

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ المائدة: ١٨

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾ الفتح: ١٤

وعلى خلاف ذلك وليس في القرآن غيره [٣٦١]

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ المائدة: ٤٠

يَغْفِرُ	لِمَن يَشَآءُ	وَيُعَذِّبُ	مَن يَشَآءُ	البقرة٢٨٤، ال عمران ١٢٩، المائدة١٨، الفتح١٤
يُعَذِّبُ	مَن يَشَآءُ	وَيَغْفِرُ	لِمَن يَشَآءُ	المائدة٤٠

يعلل الإمام الكرماني لتقديم العذاب في سورة المائدة على المغفرة إلى أنها نزلت في حق السارق والسارقة، وعذابهما يقع في الدنيا، فقدم لفظ العذاب، وفي غيرهما ـ الآيات ٢٨٤ البقرة، ١٢٩ ال

٣٦١)البرهان في متشابه القرآن للكرماني ١٢٨ ذكرها المقدم أحمد عز الدين خلف ا في الهامش ط٣/ ٢٠٠٧ دار الوفاء المنصورة

عمران، المائدة ١٨، الفتح ١٤ ـ قدم لفظ المغفرة رحمة منه تعالى، وترغيباً للعباد في المسارعة إلى موجبات المغفرة [٣٦٢] ووافقه في هذا الغرناطي وابن جماعة والأنصاري [٣٦٣].

فلم يأت هنا تقديم العذاب على المغفرة إلا بعد تهديد ووعيد. والمتمعن في سياق الآيات من سورة المائدة يتجلى له بوضوح علة تقديم العذاب على المغفرة وإلا فإن رحمة ا سبقت غضبه

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

وينبه الدكتور عز الدين الكوردي أن لفظ العذاب تكرر مرتين في الآية ٣٦ [٣٦٤]

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾

أما عن تقديم العذاب على الرحمة في سورة العنكبوت ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ العنكبوت: ٢١، فذلك لأنها في سياق إنذار ابراهيم لقومه ومخاطبة نمرود وأصحابه وأن العذاب وقع بهم في الدنيا[٣٦٥] ويقول الدكتور فاضل السامرائي :(فقد أنذر ابراهيم قومه قائلاً: ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ العنكبوت: ١٧ ثم قال: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾ العنكبوت: ١٨ وهددهم بعد بقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

٣٦٢) البرهان في متشابه القرآن للكرماني ٤٣

٣٦٣) ينظر ملاك االتأويل للغرناطي٢٨٣-٢٨٥، كشف المعاني لابن جماعة ١٢٣، فتح الرحمن للأنصاري ٧٣-٧٤

٣٦٤) ينظر التقديم والتأخير في القرآن الكريم للدكتور عزالدين الكوردي ٢٠٢

٣٦٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٦٤/٤ ، البرهان في متشابه القرآن للكرماني ١٤٨ .

﴿ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَـآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٣ فأنت ترى أن السياق يقتضي تقديم العذاب هنا) [٣٦٦].

الموضع العاشر

تقدم (بلغني الكبر) على (امرأتي عاقر)

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ آل عمران: ٤٠ وعلى خلاف ذاك:

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾ مريم: ٨

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ	وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ	وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ	ال عمران ٤٠
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ	وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا	وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا	مريم ٨

قال الكرماني عن تقديم(الكبر) وتأخير(المرأة) :لأن في مريم قد تقدم ذكر الكبر في قوله: {وهن العظم مني} ٤ وتأخر ذكر المرأة في قوله { وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقرا } ٥ ثم أعاد ذكرها فأخر ذكر الكبر ليوافق (عتيا) ما بعده من الآيات وهي (سويا (١٠) و عشيا (١١) و صبيا (١٢))[٣٦٧] ووافقه الغرناطي بخصوص مقاطع آي سورة مريم وفواصلها وأنه لم تخرج فاصلة منها عن هذا المقطع ولا عدل بها إلى غيره . أما آية ال عمران فلم يتقيد ما قبلها من الآي وما بعدها بمقطع مخصوص فجرت هي على مثل ذاك، وا أعلم[٣٦٨] ووافقهما ابن جماعة في ذلك ولما فيه تفنناً في الفصاحة[٣٦٩] أما الانصاري فزاد على أن تقديم ذكر (الكبر) على ذكر المرأة، وعكس في(مريم) لأن الذكر مقدم على الأنثى، فقدم كبره هنا وأخر ثم يعود ليوافقهم في مسألة الفاصلة [٣٧٠].

---

٣٦٦) التعبير القرآني د.فاضل السامرائي ٦٢

٣٦٧) البرهان في متشابه القرآن للكرماني ٤٤-٤٥

٣٦٨) ينظرملاك االتأويل للغرناطي ٢٩٨ -٢٩٩

٣٦٩) كشف المعاني لابن جماعة ١٢٨ وكذا يرى أبو حيان الاندلسي وان التقديم ليس مشعراً بتقدم الزمان ينظر البحر المحيط٤٧٠/٢

٣٧٠) ينظرفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري ٨٥- ٨٦

يرفض الدكتور محمود المسيري فكرة القول بالتأخير لموافقة رؤوس الآي ويقدم دلالة جميلة توجيهاً للاختلاف بين الآيتين، يقول : لا ضرورة شعرية تستحي على كلام القدير، ثم أن هذا نظم يضعف به ابداع الشاعر فما بالك بالقرآن الكريم فزكريا عليه السلام قدم بذكر الكبر في (ال عمران) تعجباً من حال نفسه أولاً وفي (مريم) من حال إمرأته فقدم ذكرها لأنه سبق ذلك الاشارة إلى حال كبره وشيخوخته { قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً } واقترابه من الرحيل بدنوه من خطوات الموت { وإني خفت الموالي من ورائي} أي من بعد موتي، فلما سبق ذكر شأنه ناسب أن يبتدأ بذكر حالة امرأته ويؤخر ذكر نفسه المذكور من قبل في دعائه[٣٧١].

وقد وجدت عند الدكتور فاضل السامرائي رأياً آخر [٣٧٢] فيقول :زكريا - عليه السلام - قدم مانع الذرية في سورة آل عمران من جهته على جهة زوجته (قَالَ رب أَنى يكُون لِي غُلاَم وقَد بلَغَني الْكبر وامرأَتي عاقر قَالَ كَذَلك اللّه يفْعلُ ما يشَاء {٤٠}) وهذا ناسب أمره هو بالذكر والتسبيح[٣٧٣]، أما في سورة مريم فقدم مانع الذرية من زوجته على الموانع فيه (قَالَ رب أَنى يكُون لِي غُلَام وكَانَت امرأَتي عاقراً وقَد بلَغْتُ من الْكبرِ عتياً {٨}) وهذا ناسب الأمر لغيره بالتسبيح[٣٧٤].

ومن الاختلاف الزماني لحال امرأته يعلل لتأخيرها في سورة (ال عمران) (وامرأَتي عاقر) بإحتمال أنها لم تكن عاقراً قبل ذلك -هذا من حيث اللغة- أما في سورة (مريم) وورود بصيغة (وكانت امرأتي عاقرا) تفيد أنها كانت عاقراً منذ شبابها فقدم ما هو أغرب. والعقيم في اللغة : هي التي لا تلد مطلقاً[٣٧٥].

---

٣٧١) دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، الدكتور منير محمود المسيري ٢٦١

٣٧٢) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل د.فاضل السامرائي ٦٢٢- ٦٢٤ ، وهذا الكتاب غير مطبوع ، الموقع على الانترنيت http://www.islamiyyat.com/

٣٧٣) ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ آل عمران: ٤١

٣٧٤) ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ مريم: ١١

٣٧٥) السامرائي ، المصدر السابق .

الموضع الحادي عشر

تقدم (قتلتم) على (متم) في :

في قوله تعالى ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٧ وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٨

وَلَئِن	قُتِلْتُمْ	فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ	أَوْ مُتُّمْ	ال عمران ١٥٧
وَلَئِن	مُّتُّمْ	أَوْ قُتِلْتُمْ		ال عمران ١٥٨

لم أجد توجيها لهذه الآية عند علماء المتشابه اللفظي الأوائل، وقد جاءت هاتان الآيتان جواباً عن قول المنافقين في الآية السابقة لشاهدنا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٦ حيث وجهوا قولهم لمن بعث الرسول ﷺ إلى بئر معونة[٣٧٦]

يقول الدكتور فاضل السامرائي عن تقديم (القتل) على (الموت) في الآية الأولى، وتقدم الموت في الآية التي تليها :(لما ذكر في الآية الأولى (في سبيل ا) وهو الجهاد قدم القتل إذ هو المناسب لأن الجهاد مظنة القتل، ثم هو الأفضل ولذا ختمها بقوله(لمغفرة من ا ورحمة) فهذا جزاء الشهيد ومن مات في سبيل ا .

ولما لم يقل في الثانية (في سبيل ا) قدم الموت على القتل لأنه الحالة الطبيعية في غير الجهاد ثم ختمها بقوله : (لإلى ا تحشرون) إذ الميت والمقتول كلاهما يحشره ا إليه. فشتان ما بين الخاتمتين. فلم يزد في غير الشهيد ومن مات على أن يقول : (لإلى ا تحشرون) وقال في خاتمة

٣٧٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٦/٤

الشهيد (لمغفرة من ا ورحمة خير مما يجمعون) فوضع كل لفظ الموضع الذي يقتضيه السياق)[٣٧٧] وهذا ما كان قد ذهب إليه أغلب المفسرين من قبل[٣٧٨]

الموضع الثاني عشر

تقدم (لا إله إلا هو) على (خالق كل شيء) في قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾الأنعام: ١٠٢

وعلى خلاف ذلك: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ غافر: ٦٢

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ	لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ	خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ	الأنعام ١٠٢
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ	خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ	لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ	غافر ٦٢

اتفق الإسكافي وبقية علماء المتشابه اللفظي على أن تقديم {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ } على {خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ } في سورة الأنعام يرجع إلى ماقد سبقه قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٠ وكذلك قوله تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام: ١٠١، فناسب السياق أن يتقدم القول بتوحيد الألوهية سبحانه وتعالى ونفيه عن غيره على القول بأنه خالق كل شيء، أما في الآية ٦٢ من سورة غافر فقد كان تقدم ذكر الخلق في {خالق كل شيء} راجعاً إلى السياق أيضاً حيث تقدمه قوله تعالى ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ غافر: ٥٧ ثم قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ

---

٣٧٧) التعبير القرآني د.فاضل السامرائي ٦٢ - ٦٣

٣٧٨) البحر المحيط ،ابي حيان الاندلسي ١٠٢/٣ ،البحر المديد، أحمد الشاذلي، ط ٢ , دار الكتب العلمية , بيروت ، ٢٠٠٢م ، ج ٣٩٠/١ ،اللباب في علوم الكتاب، الدمشقي ٥/٦ ، التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ١٣٤/٤ ، تفسير الشعراوي ١٢٤٨

مُّبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ غافر: ٦١ فناسب ذلك التقديم الحاصل[379] ويجد محمد السامرائي من خلال هذه التوجيهات التناسب ما بين نفي الشريك والولد عن ا وبين تقديم انفراد ا سبحانه بالألوهية على الخلق في آية الأنعام. والتناسب ما بين جعل الليل سكناً والنهار مبصراً ـ وهو من خلق ا ـ وبين تقديم الإخبار بالخلق عن الإخبار بإفراد ا بالعبودية في آية غافر[380].

الموضع الثالث عشر:

تقدم (كم) على (هم) في قوله تعالى:

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١

وعلى خلاف ذلك :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ الإسراء: ٣١

وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ	نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ	وَإِيَّاهُمْ	الانعام ١٥١
وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ	ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ	وَإِيَّاكُمْ	الاسراء ٣١

اتفق علماء المتشابه اللفظي على توجيه هاتين الآيتين وآخرون غيرهم من المفسرين إذ رأوا أن تقديم رزق الآباء على رزق الأولاد من خلال عطف ضمير الغائب(هم) على ضمير المخاطب(كم) وعللوا ذلك بأن هؤلاء الموجه لهم الخطاب هم قوم فقراء وقع بهم الفقر فعلاً بدليل قوله تعالى (من إملاق) و(من) تفيد السببية، فخافوا على أنفسهم إذا رزقوا بأبناء أن يشتد الفقر عليهم، فآمنهم ا

٣٧٩) ينظر درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٥٣٥ – ٥٣٦ ، البرهان في متشابه القرآن للكرماني ٦٧ ، ملاك االتأويل للغرناطي ٤٦٧-٤٦٨ ، كشف المعاني لابن جماعة ١٦٤ - ١٦٥

٣٨٠) دراسة المتشابه اللفظي من آي التزيل في كتاب ملاك التأويل للدكتور محمد فاضل صالح السامرائي ١٧٤

بتقديم رزقهم على أبنائهم (نحن نرزقكم وإياهم) لأن رزقهم هو الأهم والأولى ثم رزق أولادهم . أما الآية في سورة الاسراء فالخطاب موجه لقوم ليسوا بالفقراء ولم يقع الفقر بهم أصلاً ولا هو حاصل لهم، ولكنهم يخشون وقوعه مستقبلاً وأن تبدو تأثيراته على أبنائهم بالذات فكأنهم السبب في الفقر المتوقع مستقبلاً فيأمنهم عز وجل ويزيل الخوف عنهم بتقديم الأهم (نحن نرزقهم وإياكم) .

يقول الاسكافي: فأما قوله في سورة الأنعام { نحن نرزقكم وإياهم} فلأن قبله : { ولا تقتلوا أولادكم من املاق} أي : من أجل إملاق وانقطاع مال وزاد، وهذا نهي عن قتلهم مع فقرهم وخوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم مؤونة غيرهم ...، وأما الآية الثانية فإنه قال فيها :{ خشية إملاق} والإملاق غير واقع، فكأنه قال: خوف الفقر على الأولاد، وكان عقب هذا إزالة الخوف عنهم، ثم عن القاتلين، أي: لا تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر، فا يرزقهم وإياكم [٣٨١].

ووافقه في ذلك الكرماني وابن جماعة والأنصاري [٣٨٢] وكذلك ابن زبير الغرناطي ويوضح أن قوله تعالى (خشية إملاق) فجعلت الخشية هي العلة في فعلهم، فانتصب على ذلك[٣٨٣]، والمعلول الذي هو الاملاق لم يقع بعد، وضمن سبحانه تعالى لهم رزقهم ورزق أولادهم ودفع ذلك المتوقع ليرفع ذلك خشيتهم، فلهذا قدم هنا ضمير الأولاد ثم عطف عليه ضمير الآباء. وكان الأهم هنا فقدم [٣٨٤] ويؤكد القزويني هذا فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل فكان أهم فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم [٣٨٥].

ويخرج الدكتور موسى المشاهرة بتوجيه عام للأمة جمعاء مفاده : عدم اعتبار الفقر أو خشيته أساساً في التعامل مع الناس،... كما أن الرزق يكون للآباء بأبنائهم، ويكون للأبناء بآبائهم مع تباين الزمان وتحوله، وبهذا تكون إحدى الآيتين تتحدث عن حاضر، والأخرى تتحدث عن مستقبل غائب[٣٨٦].

ثم إن آيات القرآن لا تخلو من عظيم العظات وبليغ الإرشادات فا الذي يرزق الدواب ـ { وما من دآبة في الأَرضِ إلا علَى اللّه رِزقُها ويعلَم مستَقَرها ومستَودعها كُل في كتَابٍ مبِينٍ }هود٦ ـ لا

٣٨١) درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٥٦١ - ٥٦٣

٣٨٢) ينظر البرهان في متشابه القرآن للكرماني ٦٩ ، كشف المعاني لابن جماعة ١٦٩ ، فتح الرحمن للأنصاري ١٨١

٣٨٣) خشيةَ : مفعول لأجله منصوب بالفتحة جاء ليبين سبب وقوع الفعل .

٣٨٤) ينظر ملاك االتأويل للغرناطي ٤٨٠-٤٧٨

٣٨٥) ينظر الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١١٤

٣٨٦) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية ، مشهور موسى مشاهرة، ص٢٢٩

يمكن أن ينسى الانسان الذي ميزه عن غيره من الكائنات وخلق له الدنيا ليستعمره فيها والحياة والموت ليبلونا أينا أحسن عملاً فالعاقل من يتأمل ويعتبر ويتعظ .

الموضع الرابع عشر :

تقدم (المغفرة) على (الرحمة) في :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف: ٢٣

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ هود: ٤٧

وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٩

قالوا :{لئن لّم يرحمنَا ربّنَا} انقطاع إلى ا تعالى واعتراف بعظيم ما أقدموا عليه وهذا كما قال : آدم وحواء {وإن لّم تَغْفر لنَا وتَرحمنَا} ولما كان هذا الذنب وهو اتخاذ غير ا إلهاً أعظم الذنوب بدأوا بالرحمة التي وسعت كل شيء ومن نتاجها غفران الذنب، وأما في قصة آدم فإنه جرت محاورة بينه تعالى وبينهما وعتاب على ما صدر منهما من أكل ثمر الشجرة بعد نهيه إياهما عن قربانها فضلاً عن أكل ثمرها، فبادرا إلى الغفران وإتباعه بالرحمة، إذ غفران ما وقع العتاب عليه أكد ما يطلب أولاً [٣٨٧]

أرى أن الآية ٢٣، الأعراف والآية ٤٧، هود تتحدثان عن طلب المغفرة بعد الذنب وهذا هو المنتظر المرجو من المذنب لكبير مقامهم، حيث أخطأ نبي ا آدم وأمنا حواء بمعصية ا { لا تقربا هذه الشجرة} أما الثاني فهو سيدنا نوح لما سأل ا تبارك وتعالى أن ينجي ابنه من الطوفان العظيم فجاءه الرد ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ

[٣٨٧]) تفسير البحر المحيط لابي حيان الاندلسي ٣٩٢/٤

الأعراف ١٤٩ الآية أمـا وطلب الرحمة ا استغفر على أثره الذي ٤٦ هود: ﴿ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾

فهي تتحدث عن الندم الشديد لقوم أذنبوا وعرفوا بعد ذلك أنهم أضلوا الطريق وهم قوم موسى بعد أن أنجاهم ا من فرعون بتلك المعجزة العظيمة ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٨، ففي هذه الحالة من الطبيعي أن يطلبوا الرحمة من ا لعظيم ما فعلوا ويرشدهم إلى طريق الصواب أولاً ثم يطلبون المغفرة بعد ذلك، ثم أن الضلال يتطلب الرحمة قبل المغفرة، فشتان ما بين طالبي المغفرة والرحمة في آيتي الاعراف ٢٣ وهود ٤٧ انبياء ا عليهم السلام وبين طالبي الرحمة والمغفرة وهم بنو اسرائيل.

الموضع الخامس عشر :

تقدم صيغة التعجب (أبصر بهم) على (أسمع)

قال تعالى﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ الكهف: ٢٦ وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ مريم: ٣٨

أَبۡصِرۡ بِهِۦ	وَأَسۡمِعۡ	الكهف ٢٦
أَسۡمِعۡ بِهِمۡ	وَأَبۡصِرۡ	مريم ٣٨

وقد ذكر ابن الجوزي المقابلة بين هاتين الآيتين[٣٨٨] دون أن يتعرض لتوجيهها في باب المقدم والمؤخر من المتشابه[٣٨٩] ولم يذكر توجيه هذه الآية من العلماء الخمسة الذين غالباً ما نعرض لتوجيهاتهم غير الأنصاري، يقول صالح الشثري إن (الخطيب الاسكافي، والكرماني، وابن الزبير)

٣٨٨) فنون الافنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي ٤٧٠

٣٨٩) المصدر السابق ٤٦٧

قد استقصوا ما في كتاب ا   من متشابه، ـ وكان من المفروض أن يقول "حسب علمي" ـ ثم قال: إن من جاء بعدهم نقل عنهم، وأخذ طريقتهم، وأخص بالذكر ابن جماعة والأنصاري، واستنتج من كلام الانصاري حين قال(جمعته من كلام المحققين)[٣٩٠] أنه رحمه ا   لم يجد في هذه التوجيهات ما يوجب رفضه أو تعديله، أو إضافة شيء إليه، فهذه الجملة الموجزة أفادت هذه المعاني الكثيرة[٣٩١] هذا يعد إجحافاً بحقهم، فلابن جماعة توجيهات مهمة خالف فيها من سبقه ومال إلى رأيه أغلب المفسرين من بعده وكذلك الأنصاري بل وإن لهما إنفرادات هذه إحداها فلا ينبغي الحكم على أحد إلا بعد إطلاعٍ كامل على مصنفه وإني لا أدعي ذاك ولكن الجزئية التي اختصت بها رسالتي مكنتني بفضل من ا   أن أشهد له بهذا الإنفراد.

قال الانصاري في الآية من سورة مريم ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ ﴾ وعكس في الكهف، لأن معناه هنا أنه تعالى ذكر قصص الأنبياء، فاسمعها وتدبرها، واستعمل النظر فيها ببصيرتك، ومعناه في الكهف أنه تعالى له غيب السماوات والأرض، فاجعل بصيرتك في الفكر في مخلوقاته، وتدبرها بحيث تصل إلى معرفته، واسمع لصفاته ووحده، فناسب تقديم السمع هنا، والبصر ثَم[٣٩٢].

رجع الانصاري الى السياق في سورة مريم التي بدأت بقصص الانبياء كسيدنا :

١- زكريا عليه السلام ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ ﴾ مريم: ٢

٢- يحيى عليه السلام ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ ﴾ مريم: ١٢

٣- مريم عليها السلام ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ ﴾ مريم: ١٦ .

٤- عيسى عليه السلام ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ ﴾ مريم: ٣٤ وكل هذا يوافق مقالة الانصاري رحمه ا   من أنه تعالى وجه تقدم أسمع على أبصر بناء على ذكر قصص الأنبياء ولكنه أخذ الفعلين على الأمر بالسماع والتبصر بغية التدبر ووافقه السمرقندي فيقول

٣٩٠) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري مقدمة المؤلف ٨

٣٩١) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، صالح عبد ا   الشثري، ص ٤٨، ١١٠

٣٩٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري ٣٥٦

:أعلمهم وأسمعهم وأبصرهم " يوم يأتوننا "[٣٩٣] بينما لا يرى علماء اللغة ذلك وأغلب المفسرين حيث يرون أن هؤلاء قد نزلوا منزلة من يتعجب منهم [٣٩٤] فلفظه لفظ الأمر ومعناه التعجب[٣٩٥] وأن الآية في حال أهل النار، يقول ابن كثير ما أسمعهم وأبصرهم ﴿ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾يعني: يوم القيامة ﴿ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ ﴾ أي: في الدنيا﴿ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ أي: لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون، فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون، ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك[٣٩٦]

ويقول سيد قطب فما أعجب حالهم ! لا يسمعون ولا يبصرون حين يكون السمع والبصر وسيلة للهدى والنجاة. وهم أسمع شيء وأبصر شيء يوم يكون السمع والبصر وسيلة للخزي ولإسماعهم ما يكرهون وتبصيرهم ما يتقون في مشهد يوم عظيم ![٣٩٧]

وقد يكون لتقدم (السمع) في سورة مريم دعوة للتعجب من سمعهم وبصرهم التي لم ينتفعوا بها في الدنيا وهنا لا تزيدهم إلا تخسيرا فالتعجب الحقيقي يكون من البصر قبل السمع ... فاليوم سيبصرون ما كانوا يسمعونه في الدنيا ولم يكن يصدقونه لهذا كان السمع يتقدم أكثر في الدنيا لكونه مناط الادراك ولكن في القيامة مناط الادراك هو البصر وهو طريق اليقين حينها وإن كان لا يفيدهم لذا قال تبارك وتعالى على لسانهم ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا

٣٩٣) بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي،(ت د.محمود مطرجي)، دار الفكر – بيروت، ٣٧٥/٢ وينظر النكت والعيون للماوردي، تحقيق السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم , دار الكتب العلمية , بيروت، ص ٣٧٣/٣، حيث يضع إحتمالاً ضعيفاً يمكن أن تفسر بها الآية على ذلك الوجه .

٣٩٤) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ٣١٨/٢

٣٩٥) إملاء ما من به الرحمن(من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن) لأبي بقاء العكبري, دار الكتب العلمية , بيروت، ج ١١٤/٢ .

٣٩٦) تفسير القرآن العظيم , ابي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، ط٢, (تحقيق سامي بن محمد سلامة) ، دار طيبة للنشر والتوزيع , ١٩٩٩ ٢٣٢/٥ ، وينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٩/١١ ، المحرر الوجيز لابن عطية الاندلسي، ط ١, (تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد) , دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٩٣م . ٢٠/٤-٢١ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ط ١, (تحقيق صفوان عدنان داوودي), دار القلم الدار الشامية دمشق , بيروت , ١٤١٥ هـ، ج ١٥٥/٥، الدر المنثور جلال الدين السيوطي دار الفكر بيروت ١٩٩٣ ٥١١/٥، تفسير الفخر الرازى ٥٤١/٢١، التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٧/١٦

٣٩٧) في ظلال القرآن لسيد قطب ١٦/٧١

وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ السجدة: ١٢، واليقين لا يتأتى إلا بالإبصار وليس بالسمع (عين اليقين) لأنهم رأوا العذاب عين اليقين.

أما عن تقدم البصر على السمع في الآية من سورة الكهف فيعزو الدكتور فاضل السامرائي ذلك إلى أن الكلام هو عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد ولجأوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد لكن ا تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف إذن مسألة البصر هنا أهم من السمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية[٣٩٨] .

وحين بحثت في ورود صفة (السميع والبصير) تبارك وتعالى في كتابه الكريم فإذا بها وردت في سبعة مواضع [٣٩٩] تقدم فيها السمع على البصر دائماً، فتعجبت لتقدم (أبصر) على(أسمع) في سورة الكهف حتى أن قرأت توجيه السامرائي ثم أنني حين قرأت قوله تعالى {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يا أَبتِ لِم تَعبد ما لَا يسمع ولَا يبصر ولَا يغْني عنك شَيئاً } مريم٤٢ وجدت على مفهوم المخالفة أن سيدنا ابراهيم يقصد : أي يا أبت أعبد ما يسمع ويبصر فهو(السميع البصير) الذي يسمعنا ويبصرنا في الدنيا والآخرة .

وأرى أن القول الفصل في هذه المسألة هو ما ورد في الصفحة السابقة باختصار، وهو أن السمع أداة الفهم والعقل والتدبر الاساسية في الدنيا يليه البصر، أما في الآخرة فإن العمل يكون قد انقطع وليس هناك إلا الحساب العدل عند ا . ولذا يكون البصر هو المقدم لأن المسألة هنا في مشاهدة ما فعله الناس وما قاموا به حقيقةً، ولذلك كان تقدم البصر على السمع في الكهف لأن الحديث فيها عن الآخرة وليس عن أصحاب الكهف، كما قال السامرائي. وأن البصير هو ا عز وجل ، وتقدم السمع على البصر في سورة مريم لأنهم كانوا لا يسمعون في الدنيا ولذلك كانت صيغة التعجب من شدة سمعهم وبصرهم في الآخرة، حيث لا ينفعهم هذا بشيء .

---

٣٩٨) من أسرار البيان القرآني ، فاضل السامرائي، ط١ , دار الفكر , عمان ,٢٠٠٩م، ص ٦٩

٣٩٩) سميعاً بصيراً (النساء ٥٨،١٣٤،الإنسان ٢) السميع البصير (الاسراء١،غافر٢٠،٥٦،الشورى ١١)

الموضع السادس عشر :

تقدم (قطع الايدي والأرجل والصلب) على (تعلمون)في :

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ طه: ٧١

وعلى خلاف ذلك

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ الشعراء: ٤٩

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ ...ٱلسِّحْرَ	فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ	فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ	وَلَتَعْلَمُنَّ	طه ٧١
قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ ...ٱلسِّحْرَ	فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ	أَجْمَعِينَ	الشعراء٤٩

المعنى العام للآيتين أن فرعون لما رأى إيمان السحرة لموسى عليه السلام بعد رؤيتهم لمعجزته وحصول ذلك الانقلاب العظيم فما كان منه إلا أن ازداد غطرسةً واستعلاء ورفض فكرة حصول إيمان السحرة بدون أذنٍ منه، يقول الباحث قاسم توفيق عن هذا الموقف " فلكي تؤمن لا بد لك من ترخيص وإذن من الطاغوت!وهذا مؤشر على ذوبان المجتمع في شخصية فرعون،وعلى حجم الكارثة التي أدت إلى انعدام إرادة الاختيار أو حتى القدرة عليه لدى الجماهير؛ فلولا ذلك لما أبدى فرعون عجبه من هذا التصرف الخارج عن المألوف! " [(٤٠٠)]

ثم لجأ فرعون إلى التهديد بأقصى درجات العذاب من من تقطيع أطرافهم وصلبهم على جذوع النخل، ولم أجد كتب المتشابه ولا كتب التفسير لتتناول المقابلة بين الآيتين، فيمكننا أن نقول هنا إن

٤٠٠) شخصية فرعون في القرآن ١٩٦، رسالة ماجستير ، قاسم توفيق قاسم ، جامعة النجاح الوطنية- نابلس، فلسطين ٢٠٠٣

الآية من سورة (طه) تدل على الموقف الانفعالي الذي أحس به فرعون لحظة سجود السحرة مؤمنين برب هارون وموسى، فحاف ليصلبنهم في جذوع النخل وليقطعن أيديهم وأرجلهم من خلاف، وهم سيعلمون بعد ذلك من القوي .

أما في آية سورة الشعراء فيها حكاية للقصة ودليل على إحساس فرعون العام في هذا الموضع، بأنه ينذرهم بانهم سيعلمون قوته وبطشه وقدرته على فعل ذلك فناسب كل على ما جاء عليه وا أعلم .

الموضع السابع عشر

تقدم (السجود) على (الركوع)

﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ آل عمران: ٤٣

وعلى خلاف ذلك:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الحج: ٧٧

وَٱسْجُدِى	وَٱرْكَعِى	ال عمران ٤٣
ٱرْكَعُوا۟	وَٱسْجُدُوا۟	الحج ٧٧

يرى ابن القيم أن تقديم **السجود** على **الركوع** في ال عمران هو تقديم الأفضل فإنما عبر بالسجود عن الصلاة وأراد صلاتها في بيتها لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها مع قومها ثم قال لها اركعي مع الراكعين أي صلي مع المصلين في بيت المقدس ولم يرد أيضا الركوع وحده دون أجزاء الصلاة ولكنه عبر بالركوع عن الصلاة كما تقول ركعت ركعتين وأربع ركعات يريد الصلاة لا الركوع بمجرده فصارت الآية متضمنة لصلاتين صلاتها وحدها عبر عنها بالسجود لأن السجود أفضل حالات العبد وكذلك صلاة المرأة في بيتها أفضل لها ثم صلاتها في المسجد عبر عنها

بالركوع لأنه في الفضل دون السجود وكذلك صلاتها مع المصلين دون صلاتها وحدها في بيتها ومحرابها وهذا نظام بديع وفقه دقيق(٤٠١)

بينما للدكتورعبد الفتاح لاشين رأياً مخالفاً فيقول: إن الذي يظهر في الآية ـ وا أعلم ـ أنها اشتملت على مطلق العبادة، فذكر الأعم، ثم ما هو أخص منه، ثم ما هو أخص من الأخص، فذكر القنوت أولاً، وهو الطاعة الدائمة، فيدخل فيه القيام والذكر والدعاء، وأنواع الطاعة .

ثم ذكر ما هو أخص منه ـ وهو السجود ـ الذي يشرع وحده كسجود الشكر، والتلاوة، ويشرع في الصلاة، فهو أخص من مطلق القنوت .

ثم ذكر الركوع الذي لا يشرع إلا في الصلاة، فلا يسن الإتيان به منفرداً، فهو أخص مما قبل .

ففائدة الترتيب : النزول من الأعم إلى الأخص، إلى الأخص منه، وعكسها، وهو الترقي من الأخص، إلى ما هو أعم منه، إلى ما هو أعم(٤٠٢).

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن تقدم **الركوع** على **السجود** هو تدرج من القلة إلى الكثرة ويعزز قوله بالآية من سورة البقرة { أَن طَهِرا بيتي لِلطائِفين والْعاكفين والركع السجود }

فكل طائفة هي أقل من التي بعدها فالطواف لا يكون إلا حول الكعبة. والعكوف يكون في المساجد عموماً والركوع في أي الصلاة تكون في كل أرض طاهرة و لكل ركعة سجدتان ثم إن كل راكع لا بد أن يسجد وقد يكون سجود ليس فيه ركوع كسجود التلاوة وسجود الشكر فهو هنا تدرج من القلة إلى الكثرة . ولهذا التدرج سبب اقتضاه المقام فإن الكلام على بيت ا الحرام(٤٠٣).

---

٤٠١) التفسير القيم لابن القيم(جمع واعداد الشيخ محمد أويس الندري تقديم الشيخ محمد حامد الفقي ضبطه وحققه رضوان جامع رضوان) دار ابن هيثم، القاهرة، ٢٠٠٥ م ، ٣٣٨/١

٤٠٢) صفاء الكلمة د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر ، السعودية , ١٩٨٣م .

٤٠٣) ينظر من أسرار البيان القرآني ، فاضل السامرائي، ص ٣٤ .

الفصل الثالث

التقديم والتأخير في متعلقات الفعل

وفيه مبحثان

المبحث الأول : التقديم والتأخير في المنصوبات

المبحث الثاني : التقديم والتأخير في المجرورات

المبحث الأول

التقديم والتأخير في المنصوبات

الفضلة وأهميتها

ذكرنا في الفصل الأول أن الجملة تقوم على علاقة الإسناد بين ركنيها الرئيسيين: المسند والمسند إليه وهما عمادا الكلام وغيرهما فضلة، فنحاول هنا أن نلقي نظرة سريعة في هذه المقدمة النظرية للفضلة ورؤية النحاة لها، حيث عرض المبرد (ت٢٨٥هـ) للمفعول به على أنه يكون فضلةً: كالحال والظرف والمصدر ونحو ذلك، مما إذا ذكرتَه زدتَ في الفائدة، وإذا حذفتَه لم تخلّ بالكلام؛ لأنك بحذفه مستغنٍ[٤٠٤].وهذا ما تعارف عليه أغلب النحاة بعده أن الفضلة يمكن الاستغناء عنها. ومسألة الاستغناء تستوجب منا وقفةً وتريثاً، ويعلل المبرد للاستغناء بأمثلة فيقول: ألا ترى أنك تقول: قام زيد، فلولا الفاعل لم يستغن الفعل، ولولا الفعل لم يكن للاسم وحده معنى إلا أن يأتي في مكان الفعل بخبر. فإذا قلت: ضرب عبدا زيداً، فإن شئت قلت: ضرب عبد ا [٤٠٥]، فلا يرى فائدةً إلا بمعرفة الفاعل وكذا نراه يعرض لسائر المفاعيل إلى أن يخرج بنتيجة أن كل هذا زيادةٌ في الفوائد، وإن حذفت استغنى الكلام، وليس حذف الفاعل كذلك[٤٠٦] .

ولا يبدو كلام المبرد تقليلاً من شأن الفضلة فوجودها عنده لزيادة الفائدة، ولكنه مع ذلك يقول إنه يمكن الاستغناء عنها ! الأمر الذي يجعلني أطرح سؤالاً وهو: كيف تتحقق فوائد إضافية في الكلام نترقبها من هذه الزيادات(الفضلات)، منها ما هو ضروري لفهم الكلام إذا كان بالامكان الاستغناء عنها !؟ فوجدت في أثناء البحث ما أجاب عن سؤالي، وكان يشفي غليلي، حيث يقول ابن جني (ت٣٩٢هـ) : وإذا حصلت فائدة البيان لم تُبلْ أمن نفس المبدل كانت، أم مما اتصل به فضلةً عليه، أم من معطوف مضموم إليه؛ فإن أكثر الفوائد إنما تجنى من الإلحاق والفضلات. نعم وما أكثر ما تصلح الجمل وتتممها، ولولا مكانُها لوهمتَ فلم تستمسك[٤٠٧].

وأخذ الدكتور مهدي المخزومي على ابن مالك (ت٦٧٢هـ) وشُراحِ الفيته عدم أخذهم الفَضلَةَ بنظر الاعتبار من إيجازهم الاستغناء عنه وحذفه بدلا من إضماره، ويقف موقف الرافض

---

٤٠٤) المقتضب للمبرد ٢/٦٠

٤٠٥) المصدر السابق ٢/ ٦٠

٤٠٦) المصدر السابق ٢/ ٦١

٤٠٧) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني ١ / ١٥٠

من مصطلح الفضلة ويعدها تقليلاً من شأنها فيقول: ولكن تسمية المنصوبات بالفضلات يشعر بتفاهتها في الكلام، وقلة شأنها في تأدية المقاصد والأغراض. ويؤيد هذا الإشعار ما في أقوالهم المنثورة هنا وهناك في أبواب النحو ، مما يؤكد قلة ما تحظى به المنصوبات من اهتمام(٤٠٨)، واستدل على هذا بكلام ابن مالك من ألفيته حيث يقول في باب المفعول به :

وحذْفَ فَضلَة أجِز إن لم يضر كحذْف ما سيقَ جواباً أو حصر

وتابعه شراحه ومنهم ابن عقيل في إمكان الاستغناء عن الفضلة كالمفعول به، فيجوز حذف الفضلة إن لم يضر، كقولك في ضربتُ زيدا ضربتُ بحذف المفعول به، وكقولك في أعطيتُ زيدا درهما أعطيتُ ... فإن ضر حذفُ الفضلة لم يجز حذفُها، كما إذا وقع المفعول به في جواب سؤال، نحو أن يقال: من ضربتَ فتقول ضربتُ زيداً، أو وقع محصوراً نحو: ما ضربتُ إلا زيداً، فلا يجوز حذف زيدا في الموضعين، إذ لا يحصل في الأول الجواب ويبقى الكلام في الثاني دالا على نفي الضرب مطلقا والمقصود نفيه عن غير زيد فلا يفهم المقصود عنه حذفه(٤٠٩).

والمقارن بين كلام المبرد وابن مالك وشراح ألفيته يجد أن المبرد عرض للمنصوبات في أوضاع يمكن الاستغناء عنها، بينما جعل ابن مالك استثناء في الحالات التي ذكرها لا يجوز معها الاستغناء فيه عن الفضلة وهكذا توالى شارحو الألفية ليقيدوا أحكامهم ولا يطلقوا لها العنان بإمكان الاستغناء، فقال المرادي: الفضلةُ ما يجوز الاستغناء عنها إلا لعارض، فلا يعترض "بالحال" في مثل: "ضربي زيدا قائما", فإن امتناع حذفها لسدها مسد الخبر(٤١٠)

وباب الحال الذي كان يكثر الكلام فيه عن الفضلة، وضع فيه ابن هشام تصوراً ممتازاً عنها فقال: والمراد بالفضلة ما يقع بعد تمام الجملة، لا ما يصح الاستغناء عنه(٤١١) كأنه يريد أن يقول: إن كانت الفضلة مما يدخل في معنى إتمام الجملة فهي ليست كذلك .

ويوضح الدكتور فاضل السامرائي هذا الكلام فيقول : وليس المقصود بالفضلة عند النحاة أنها يجوز الاستغناء عنها من حيث المعنى، كما أنه ليس المقصود بها أنها يجوز حذفها متى شئنا. فإن الفضلة قد يتوقف عليها معنى الكلام(٤١٢).

---

٤٠٨) النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي ٩٣

٤٠٩) شرح ابن عقيل ١٥٥/٢

٤١٠) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لبدرالدين المرادي ت ٧٤٩هـ (تحقيق عبد الرحمن علي سليمان) ٦٩٢/٢

٤١١) شرح قطر الندى لابن هشام ٢٣٥

فلو تأملنا قوله تعالى﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الأنبياء: ١٦ ، حيث يعرب (لاعبين) حالاً ، فهل يصح الإستغناء عنه ليكون الكلام (وما خَلَقْنَا السماء والأرض وما بينَهما) وهو تبارك وتعالى خالق كل شيء؟ وكذلك في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ... ﴾ النساء: ٤٣ ، فالجملة الاسمية (وأنتم سكارى) أيضاً في محل نصب حال فلا يمكن بحال الاستغناء عنها. وكذلك الحال في قوله تعالى ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ الإسراء: ٣٧ ، فإنه لا يستغنى عن قوله (مرحاً) .

ولا يتوقف الأمر عند الحال فقط، ففي عبارة مثل (ضرب زيد عمراً) لا يرى عبد الرحمن حبنّكة الميداني المفعولَ به (عمراً) فضلةً يمكن الاستغناء عنه؛ لأن فكرة وقوع الضرب عليه فكرةٌ مقصودةٌ بالبيان، فعليه يعد الفضلةَ الحقيقيةَ أنها الكلمة التي لا تضيف إلى معنى الجملة معنى مقصوداً بالبيان، كالمترادفات المتتابعات في الجملة، وكزوائد التأكيد في الجملة التي لا يرفع بذكرها توهم المجاز أو الغلط وسبق اللسان، كأن تقول: (جاء القوم أجمعون أكتعون أبصعون)فالمترادفات الإطنابية، والمؤكدات الإطنابية زوائد لم تضف جديداً، ولم ترفع توهماً[(٤١٣)].

فلا ينبغي اقتصار مفهوم الجملة على ركني الاسناد في تقديم الفائدة النهائية من الكلام، وفي هذا يقول المخزومي في معرض حديثه عن الجملة التي هي أساس التعبير ومصدر التفاهم: (إن الفضلة من أجزاء الجملة فحتى وإن لم تكن عمدة، فإنها تكون عمدة في التفاهم، ولا يتم التفاهم إلا به، لأن فائدة الخبر أو الحديث لا تنبني على الجملة الصغرى وحدها، وإنما تقوم في كثير من الأحيان على ما تمليه ظروف القول)[(٤١٤)] فيجعلُ من متطلبات الظروف المحيطة بالمتكلم والمخاطب هي ما تقرر كون الكلام عمدة أو فضلاً ، ويخلص في آخر حديثه عن المنصوبات بشكل عام وأهمية وظائفها

---

٤١٢) معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي ١/ ١٤

٤١٣) ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ١/ ١٥٩ – ١٦٠

٤١٤) النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي ٩٥

اللغوية إلى صحة إطلاق تسمية (متعلقات الفعل) عليها بدلاً من مصطلح " الفضلة " التي تعارف عليها القدماء[415]

ويوافق المخزومي ـ في إطلاقه لهذه التسمية[416] على الفضلة ـ البلاغيين الذين تابعوا بدورهم النحاةَ في عدم جعلها عناصر أساسية في تكوين الجملة حيث أرتكزت رؤيتهم للفضلة في جانبه المعنوي في التراكيب وهذا ما كان دائماً يميز البلاغيين عن النحاة .

ويؤيد الدكتورعبده قليقلة البلاغيين ويعطيهم الحق في عدم جعلهم متعلقات الفعل عناصر أساسية في تكوين الجملة لأنهم ـ البلاغيين ـ فهموا طبيعتها فهماً صحيحاً فتتواجد في جملة دون أخرى وإن وجدت فإنها تختلف عن بعضها البعض[417]

فمما سبق يتضح لنا المقصود بالفضلة ومفهومها وأهميتها لإتمام الفائدة في معنى الجملة وذلك بعد اكتمال عناصر الإسناد التي لا بد منها، وإن مسألة الإستغناء عنها يكمن في إمكان تألف الكلام دونها عند عدم استيجابها والاكتفاء بالمسند والمسند إليه نحو الأمثلة التي ذكرها المبرد، وجعل فيها من الفضلات زيادة في الفوائد لا موجب لها ولكن إذا دعت الحاجة لها كسائر الأمثلة التي عرضنا لها فحضورها سيكون واجباً لتحقق الفائدة المرجوة .

تقدم المفعول به على فعله

إن ترتيب الجملة العربية الفعلية منها ما يعالج في العلاقة بين الفعل والفاعل أولاً، وبين الفاعل والمفعول ثانياً، وبين الفعل والمفعول ثالثاً، وسنولي الأخير اهتماماً أكبر كون شواهدنا وإن قلت في المتشابه اللفظي فهي ضمن هذا النطاق الأخير وكون الدراسات السابقة لم تقصر في أحكام تقدم المفعول على الفاعل وبالطبع أولاً كُتُب النحاة الأوائل التي لها فضل الريادة .

يأتي ترتيب المفعول به بعد الفاعل الذي يتقدمه على الفعل، وعلل ابن جني تقديمه بالعناية والاهتمام " فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل، فقالوا: ضرب عمرا زيد. فإن ازدادت

---

٤١٥) المصدر السابق ٩٩

٤١٦) لما كان علم المعاني أهم علوم البلاغة فقد حصرها البلاغيون في ثمانية أبواب جعلوا رابعها أحوال (متعلقات الفعل) ينظرالايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١٧ .

٤١٧) ينظر البلاغية الاصطلاحية للدكتورعبدة قليقلة ١٢٥، ويحسن أن يقول: فإنها يختلف بعضها عن بعض، لأن التركيب الذي ذكره تركيب ضعيف، يعده كثير من اللغويين خطأً شائعاً .

عنايتهم به قدموه على الفعل ناصبه، فقالوا: عمرا ضرب زيد" [418] ولم يكتف بهذا ليدل على أهمية المفعول به وتقدمه ولكن يشير إلى مسألة حذف فاعل الفعل لينوب عنه المفعول به مستدلاً بها على أهمية المفعول به[419]

ولتقدم المفعول به على فعله أحكام منها الوجوب ويكون في أربع حالات :

١- أن يكون المفعول من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام كأسماء الشرط وأسماء الاستفهام نحو قوله تعالى {..فَأي آيات الله تُنكرون } (غافر٨١).

٢- أن يكون المفعول به مستحق الصدارة بإضافته إلى مستحق له، كأن يضاف إلى شرط نحو غلام من تضرب أضرب. أو إلى استفهام نحو غلام من رأيت ؟ [420]

٣- أن يكون المفعول ضميراً منفصلاً لو تأخر للزم اتصاله {إِياك نَعبد ... }

٤- أن يقع الفعل في جواب (أما) الشرطية مقدراً كان أو ظاهراً بشرط أن يقترن الفعل بالفاء { فَأَما الْيَتيم فَلَا تَقْهر } الضحى٩، وقوله تعالى { وربك فَكَبر } المدثر٣. [421]

ويجوز تقديم المفعول به في غير حالات الوجوب أعلاه وتُجوزه قواعد النحو، وهذا يكون لغرض بلاغي يهدف التقديم إلى تحقيقه، وتستنتج الباحثة غادة البواب أن المفعول به ونتيجة للتقديم يخرج عن كونه فضلة على مستوى المعنى إلى كونه عمدة، إذ إن التركيز يكون على العنصر المتقدم، فتدور عناصر الجملة حول العنصر المتقدم من حيث المعنى، وتبنى الدلالة عليه؛ لأنه يصبح محور التركيب وبؤرته نحوياً ودلالياً[422]

فالفضلة زيادة على المسند والمسند إليه اللذين بدونهما لا نحصل على أي معنى، ولكن تبقى الفضلة ـ متقدمة كانت أم متأخرة ـ ذات أهمية لاكتمال المعنى فـ(رأيت) مثلاً جملة تتكون من المسند والمسند إليه، فهل تعطينا معنى موجزاً ؟! فكلما جئنا بالزيادات ازداد المعنى، فإذا قلنا : رأيت محمداً، يكون ذكر محمد ضرورياً هنا ولا يحسن التعبيرعنه إلا بذكره، وكذلك إذا قلنا : رأيت

---

٤١٨) ينظر المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني ١ / ٦٥

٤١٩) أنظرالفصل الثاني من الرسالة ٦٦ – ٦٧ .

٤٢٠) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي ٧/٢ - ٨

٤٢١) ينظر شرح ابن عقيل ٩٧/٢

٤٢٢) التقديم والتأخير في المثل العربي (رسالة ماجستير) غادة أحمد قاسم البواب جامعة مؤتة ٢٠٠٦ ، ص٧٠

محمداً مساء، فذكر (مساء) أيضاً ضروري إذا أردنا أن نفهم هذه الفكرة، وهكذا الأمر بالنسبة للفضلات الأخرى .

إن الدارس لتقديم المفعول به يجد أن أغاب حالاته مفيدة للاختصاص، وهذا ما يؤكده الدكتور بسيوني عبد الفتاح من أن الاختصاص يستلزم التوكيد وهذا أمر لا محالة منه **(٤٢٣)**

وقد أشار الزمخشري إلى غرض الاختصاص وهو يعرض لقوله تعالى { إياك نعبد وإياك نستعين } في تقدم المفعول به (إياك) على الفعل (نعبد)(٤٢٤)، الأمر الذي لم يرق لابن الأثير، فيقول: لم يقدم المفعول به على الفعل للاختصاص وإنما قدم لمكان نظم الكلام لأنه لو قال نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى (الحمد رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) فجاء بعد ذلك قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون ولو قال نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن وهذا غير خاف على أحد من الناس فضلاً عن أرباب علم البيان(٤٢٥).

ويوافقه في هذا من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس الذي لا يرضى لتقدم المفعول به في الجملة المثبتة غرضاً آخر غير رعاية الفاصلة فيقول: ولست أغالي حين أقرر هنا ان المفعول لا يصح أن يسبق ركني الجملة (الاسناد) في الجملة المثبتة كما يزعم أصحاب البلاغة في تلك الأمثلة المصنوعة من نحو: زيداً ضربت، زيداً ضربته ، ويجعل للتقديم في مجموعة من الآيات القرآنية كقوله تعالى { إياك نعبد...} {إياي فاعبدون} {...الجحيم صلوه} {أما اليتيم فلا تقهر...} فالأمر فيه لا يعدو أن يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية، فهي إذن أشبه بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص(٤٢٦). بيد أن هذه الآراء تكاد تكون شاذة، فأغلب المفسرين وأهل اللغة قالوا بالاختصاص غرضاً لتقدم المفعول به، فينبري من المحدثين من يرد هذا الأمر وبشدة حيث يقول الدكتور رجاء عيد (كذلك نرفض ما زعموه من أن التقديم قد يكون لرعاية الفاصلة ويذكرون له قوله تعالى (خذوه فغلوه،ثم الجحيم صلوه) فذلك تسطيح لفكرة البلاغة ، ومعناه على زعمهم أن

---

٤٢٣) ينظر علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني أ.د بسيوني عبد الفتاح، مكتبة وهبة , القاهرة، ص١٦٠ ، ٢٥٠

٤٢٤) ينظر تفسير الكشاف للزمخشري ٤٦/١

٤٢٥) المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ضياء الدين الموصلي ٣٦/٢

٤٢٦) من أسرار اللغة، ابراهيم أنيس ٣٣٣

الحرص على السجع دفعه الى تفتيت التركيب الاصلي[٤٢٧]. وقد رد عبد القاهرالجرجاني على مثل هذه التصورات فقال: (واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديمِ الشيء وتأخيره قسمينِ فيجعلُ مفيداً في بعضِ الكلامِ وغير مفيد في بعض . وأن يعلَّل تارةً بالعناية وأخرى بأنه توسعةٌ على الشاعرِ والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه . ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارةً ولا يدل أخرى . فمتى ثبتَ في تقديمِ المفعول مثلاً على الفعل في كثيرٍ من الكلامِ أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدةُ مع التأخيرِ فقد وجب أن تكون تلك قضيةً في كلّ شيء وكلّ حال . ومن سبيل من يجعلُ التقديم وترك التقديم سواء أن يدعي أنه كذلك في عمومِ الأحوال . فأما أن يجعلَه بين بين فيزعم أنه للفائدة في بعضها وللتصرف في اللفظ من غيرِ معنًى في بعض فمما ينبغي أن يرغب عن القول به)[٤٢٨] ومما يزخر به كتاب ا تبارك وتعالى المعجز من التخصيص والاهتمام وشواهده كثيرة ولكنها تكاد تكون نادرة في الآيات المتشابهة لفظاً فأحاول عرض ما استقيصته بفضل من ا .

الموضع الأول

تقدم (فاعبد) على لفظ الجلالة (ا) فـي قوله تعالى

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ الزمر: ٢

وعلى خلاف ذلك في السورة نفسها في آيتين:

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ ﴾ الزمر: ١٤ ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الزمر: ٦٦

	فَٱعۡبُدِ	ٱللَّهَ	مُخۡلِصٗا	لَّهُ ٱلدِّينَ	الزمر ٢
قُلِ	ٱللَّهَ	أَعۡبُدُ	مُخۡلِصٗا	لَّهُۥ دِينِي	الزمر ١٤
بَلِ	ٱللَّهَ	فَٱعۡبُدۡ	وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ		الزمر ٦٦

٤٢٧) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، الدكتور رجاء عيد ٧٨-٧٩

٤٢٨) دلائل الاعجاز ، الجرجاني ٩٩

حيث جاءت الآية الأولى على الأصل من تقدم الفعل والفاعل(أعبد) على المفعول به لفظ الجلالة (ا)، بينما تقدم المفعول به في الآيتين الأخريين، كما بدا واضحا من الجدول أعلاه، والآيات الثلاث كلها في سورة الزمر التي يقال إنها نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا ا : زيد بن عمرو بن نفيل، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي[٤٢٩] ولا عجب فإن السورة تحمل أعظم معاني التوحيد وهي الدعوة إلى عبادة ا ، ويقول سيد قطب:(إن هذه السورة تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد، ... ومنذ افتتاح السورة تبرز هذه القضية الواحدة التي تكاد السورة تقتصر على علاجها، ... وتتردد في مقاطعها على فترات متقاربة فيها إما نصاً، وإما مفهوماً) [٤٣٠]

في الآية الأولى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ الزمر: ٢ ولما كانت افتتاحاً للسورة أجد وا أعلم انه لم يتقدم ما يستدعي تقديم المفعول به فجاء على الأصل من تأخره عن الفعل والفاعل، وكذا في ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ الزمر: ١١ حيث يقول الدكتور عزالدين :(إن تأخيره مرده إلى أن الكلام في هذا الموقع إخبار بأن الرسول ﷺ مأمور من جهة الباري عز وجل باحداث العبادة والاخلاص، بينما تقدم المفعول به قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ ﴾ الزمر: ١٤، وفي آية التقديم إخبار بأنه يختص ا وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه[٤٣١]، ويرى ابن عاشور أن في إعادة تقديم المفعول به في الآية ١٤ تأكيد لمعنى التوحيد مرتين ليتقرر ثلاث مرات، وتمهيداً لقوله ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ ... ﴾ الزمر: ١٥ [٤٣٢] وجاء هذا الأمر على جهة التخيير: المبالغة في الخذلان والتخلية والزجر[٤٣٣] فناسب كل هذا تقديم المفعول به في الآية

٤٢٩) ينظر لباب النزول للسيوطي ١/ ١٦٨

٤٣٠) في ظلال القرآن سيد قطب ٢١٩/٦

٤٣١) التقديم والتأخير في القرآن الكريم للدكتور عز الدين الكوردي ٧٨

٤٣٢) ينظرالتحرير التنوير لابن عاشور ٣٥٩/٢٣

٤٣٣) ينظرالكشاف للزمخشري ٣٩٣/٣، البحر المحيط لابي حيان الأندلسي٤٢٠/٧

الثانية، أما في الآية الثالثة ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ ﴾ الزمر: ٦٦ فقد تقدم المفعول به وجوباً لوقوع فعله في جواب شرط مقدر واقتران الفعل بالفاء[٤٣٤]

وحصل تقديم لفظ الجلالة هنا عقب أن دعا المشركون بجهلهم رسول ا ﷺ إلى عبادة آلهتهم، ويعبدوا معه إلهة[٤٣٥]، فلفرط ما دعوا الرسول إليه وصفهم رب العزة بالجهل لأن الرسلَ معصومون يدعون إلى نبذ الشرك، فكيف يشركون با تبارك وتعالى؟! وكل هذا كان مناسباً لأن يأتي التركيب الثالث بصيغة الأمر المباشر بالتوحيد وأكثر توكيداً لتخصص[٤٣٦] العبادة با تبارك وتعالى وحده وبشكل نهائي ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ ﴾ الزمر: ٦٦

ويتضح لي مما سبق أن الآية (٢ الزمر) ، فيها يأمر ا نبيه بأن يعبد ا ، فاستعملت الآية الاسلوب الاعتيادي (فاعبد ا) بتأخر المفعول به عن الفعل لأن المقام يستدعي ذلك ولا موجب للتقديم والحصر، لأن الرسول يحصر العبادة ولو لم يؤمر بذلك .

أمـا الآية (١٤ الزمر)، فإنها تقدمتها آيات تأمر النبي ﷺ أن يكون أول المسلمين وتأمره كذلك أن يخاف عذاب يومٍ عظيمٍ، لذلك جاءت الآية المذكورة مستعملة أسلوب الحصر، لأن كون النبي أول المسلمين وخوفه من عذاب يوم أليم يتطلبان منه أن يحصر عبادته وحده ولا يشرك به أحداً، إضافة إلى ما ذكرنا حتى يكون حصر الرسول العبادة وحده مقابل ترك الكفار على هواهم في الآية التالية { فاعبدوا ماشئتم من دونه} فلذلك حصلنا على الترابط السلبي بين الآيتين الذي لا نظير له في غير القرآن الكريم .

أمـا الآية(٦٦ الزمر) فتقدمت فيها لفظ الجلالة على الفعل لأن مدار البحث والاهتمام لفظ الجلالة الذي ذُكر في الآيات السابقة مرات عديدة، ومن جهة أخرى كأنها جاءت هذه الآية جواباً للآية التي سبقتها ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ الزمر: ٦٥، أو أن الأمر بدأ اعتيادياً أولاً، ثم عالج النفس البشرية ثانياً وا أعلم .

---

٤٣٤) ينظر شرح ابن عقيل ٩٧/٢ وقد ذكرنا في مقدمة هذا الفصل حالات تقديم المفعول به وجوباً على فعله .

٤٣٥) ينظرتفسير ابن كثير ١١٢/٧

٤٣٦) يرى السيوطي أن قوله تعالى(ا فاعبد) من أقوى أدلة الإختصاص ينظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٤٠/٢

الموضع الثاني

تقدم المفعول به (إياه) على الفعل والفاعل (تدعون) في قوله تعالى :

﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنعام: ٤١

وعلى خلاف ذلك:﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ٦٣

إيـ ـ ـاه	تدعـ ون	الانعام ٤١
تـ دعـ ونـ	ـه	الانعام ٦٣

قبل البدء أود ذكر أن توجيه هاتين الآيتين لم يرد له ذكر في كتب المتشابه اللفظي كحال مواضع أخرى في البحث وأجتهدت في إخراجها لما رأيته من تقارب القصة واختلاف التركيب تقديماً وتأخيراً واسأل ا أن أكون موفقاً فيها .

في الآية الأولى تقدم المفعول به (إياه) وجوباً على فعله (تدعون) كونه ضميراً منفصلاً لو تأخر لوجب اتصاله، وفي الآية الثانية حصل هذا التأخير فوجب أن يكون المفعول به ضميراً متصلاً، ويورد الشنقيطي الآيتين الموجودتين لدينا في هذه المسألة وآيات أخرى في سياق أن الكفار في زمن النبيﷺ كانوا يعلمون علماً يقيناً إجابة المكروب وكشف السوء عنه هو من خصائص الربوبية، فكانوا إذا أحاطت بهم الأمواج في البحر وقت العواصف يدعون ا و يخْلصون الدعاء له وحده، فإذا أنجاهم رجعوا للشرك [٤٣٧] وينقل ابن عاشور عن أبي إسحاق الإسفرائيني أن سورة الأنعام تضم كلّ قواعد التوحيد[٤٣٨] والتوحيد أولُ دعوة الرسل جميعاً وشرفها ا تبارك وتعالى أنها نزلت بمكة ليلاً جملةً وحولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح[٤٣٩] فترى محور الآيتين حول الدعاء الذي لا يجب أن يكون إلا تعالى وحده الذي جعلها رب العزة علاقة بينه وبين عباده لا وساطة فيها فهذه من تجليات عظمة الاسلام وخاتمة الاديان محفوظ من رب السماوات والأرض .

---

٤٣٧) ينظرأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الشنقيطي ٤٠٧/٧

٤٣٨) ينظرالتحرير التنوير لابن عاشور١٢٣/٧ ، وينظر روح المعاني للآلوسي ٧٧/٧، تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا, (ت ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , ١٩٩٠م ، ج ٢٤٢/٧

٤٣٩) ذكرها ابن منذر باسناده عن ابن عباس، ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار احياء التراث العربي ، بيروت، ج ١٩٢/٢٧ .

نجد أن الآية الأولى يسبقها قوله تعالى ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأنعام: ٤٠ حيث ينكر ا تبارك وتعالى على الكفاراتخاذ غيره ولياً، فاستلزم المعنى هنا القصر بالتقديم وينقل ابن عاشور عن الطيبي[٤٤٠] أن كل تقديم إما للاهتمام أو لجواب إنكار[٤٤١] فعطفت هذه الجملة على ما بعدها (بل إياه تدعون) للتخصيص أي بل تخصونه سبحانه بالدعاء و كأنه قيل لا غير ا تدعون بل إياه تدعون [٤٤٢] ولا يرى الآلوسي التقديم لغرض رعاية الفواصل التي جعل منها بعض علماء البلاغة[٤٤٣] غرضاً لأغاب التقديمات في نهاية الآي .

وأرى أن الآية(٤١ الأنعام) جاءت بعد الآية (٤٠) التي تتحدث عن نزول عذاب ا أو قيام الساعة، ففي هذه الحالة لا مفر إلا إليه ولا يملكون إلا أن يخصوه بالدعاء دون غيره، فجاء اسلوب الحصر بسبب ذلك .

أمـا الآية ٦٣ الأنعام، فهي تتحدث عن الدنيا، عندما يجد المجرمون أنفسهم أمام خطر فإنهم حينذاك يلجأون إلى ا فطرياً وعندما يزول الخطر يعودون إلى غيهم وضلالهم كما يحدثنا تعالى في سورة يونس ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ... ﴾ يونس: ٢٢ – ٢٣

---

٤٤٠) الحسن بن محمد بن عبد ا شرف الدين الطيبي الأصل، إمام مشهور من أهل توريز، من عراق العجم كانت له ثروة طائلة من الارث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره، وكان شديد الرد على المبتدعة، ملازما لتعليم الطلبة والانفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعا، ضعيف البصر. من كتبه (التبيان في المعاني والبيان،بلاغة) (الخلاصة في معرفة الحديث) و (شرح الكشاف) أربعة مجلدات ضخمة، في التفسير، سماه (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) ت ٧٤٣ هـ. ينظر الاعلام للزركلي ٢٥٦/٢، طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي، ط١، (تحقيق : سليمان بن صالح الخزي)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ١٩٩٧م .

٤٤١) التحريروالتنوير لابن عاشور ١٥٧/٧

٤٤٢) روح المعاني للآلوسي ١٤٩/٧

٤٤٣) وأقصد ضياء الدين ابن الاثير في المثل السائر ٥/٢ حيث لم ير في تقديم (إياك نستعين) تخصيصاً بل جعلها رعايةً للفاصلة .

ناسب تأخر لفظ الجلالة { دعوا الله } في هذه الآيات من يونس التأخير الحاصل في الأنعام أيضاً مع إتفاق حال المتعلق بهم من دعوتهم لله عند الخطر وكفرهم به بعد زواله فجاء كل على ما يتطلب السياق والله أعلم .

الموضع الثالث

تقدم (أنفسهم) على (كان) في قوله تعالى :

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ البقرة: ٥٧

وفي مواضع أخرى منها ﴿ . . . كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٠

﴿ . . . قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ التوبة: ٧٠

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ النحل: ٣٣

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ النحل: ١١٨

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾العنكبوت: ٤٠

﴿ . . . كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الروم: ٩

وعلى خلاف ذلك وفي موضع واحد فقط :

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٧

المحور العام لمعنى الآيات هو ظلم الكفارلأنفسهم بما أحلوه من الكفر بعد أن جاءتهم البينات والنعم وأصبحوا على بينة من الأمر الذي جاء به الرسل فلم يختاروا إلا أن يكونوا مع الضلال فلم يظلمهم ا وأنما كانوا يظلمون أنفسهم.

وقسمت الآيات إلى:

١- ما جاء على الأصل من تأخر المفعول به .

٢- تقدم المفعول به على فعله (وجاء في عدة مواضع) .

٣- تقدم المفعول به على فعله والفعل الناقص. وتتضح الصورة أكثر في الجدول التالي :

١	وما	ظلمناهم	ولكن	ظلموا	**أنفسهم**		هود ١٠١
٢	وما	ظلمناهم	ولكن	كانوا	**أنفسهم**	يظلمون	النحل ١١٨
	وما	ظلمونا	ولكن	كانوا	**أنفسهم**	يظلمون	البقرة ٥٧ ، الاعراف ١٦٠
	ما كان	ا ليظلمهم	ولكن	كانوا	**أنفسهم**	يظلمون	التوبة ٧٠، عنكبوت٤٠، الروم ٩
	وما	ظلمهم ا	ولكن	كانوا	**أنفسهم**	يظلمون	النحل ٣٣
٣				**وأنفسهم**	كانوا	يظلمون	الاعراف ١٧٧

فنجد المفعول به متأخراً ثم متقدماً على فعله ثم متقدماً على (كان) الذي يفترض بالمفعول به أن يكون معمولاً له والمعمول كما هو معلوم يتأخر عن عامله، فانتبهت الى كلام ابن جني وقد ذكرته في مقدمة الفصل حيث علل لتقديم المفعول بالعناية والاهتمام فقال:(فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل، فقالوا: ضرب عمرا زيد. فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل ناصبه، فقالوا: عمرا ضرب زيد) [٤٤٤]

ولم أجد في كتب المتشابه اللفظي ما يغنيني في دلالات هذه التقديمات، فلجأت إلى التفاسير وأتناول ما جاء على الأصل اولاً في قوله تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ هود: ١٠١

هذه الآية لا تحكي قصة أقوام معينين بالذات استحقوا العذاب، بل هي عامة في الأمم

٤٤٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني ١ / ٦٥

الماضين والقرى المهلكة [٤٤٥] والدليل الآية التي تسبقها ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ ﴾ هود: ١٠٠ واسم الإشارة إلى المذكور كلّه من القصص من قصة نوح عليه السلام وما بعدها[٤٤٦] ويأتي عدم تخصص الآية بقوم معينين من مفهومها : وما ظَلَمنَاهم (بإهلاكنا إياهم) ولكن ظَلَموا أنفُسهم (بارتكاب ما به أهلكوا)[٤٤٧] لم تحدد طريقة الإهلاك ولا الجرم الناجم عن (ما) به أهلكوا فالخطاب عام يدل على أن هؤلاء الأقوام ظلموا أنفسهم ولم تستبعد الآية عن ظلم غيرهم، فناسب ذلك تأخر المفعول هنا في الآية من سورة هود وا أعلم .

أما في المجموعة الثانية {كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ } أو بدون الفعل الناقص { أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ } وقد جاءت أغلب الآيات في اليهود الذين من ا عليهم بفضله ونعمه فجحدوها وأنجاهم من فرعون، فعبدوا العجل وأرسل لهم جل الانبياء فقتلوهم بغير حق واستهتروا بالعهود والمواثيق، وفي إنكارهم لنبوة سيدنا محمد ﷺ فجاءت الآيات تحمل من علامات التوكيد ما يناسب مقام المخبر عنهم .

حيث قدم المفعول به للقصر ويقول ابن عاشور: وقد حصل القصر أولاً بمجرد الجمع بين النفي والإثبات ثم أكد بالتقديم لأن حالهم كحال من ينكي[٤٤٨] غيره كما قيل : يفعل الجاهل بنفسه ما يفعل العدو بعدوه. ويقول أيضاً إن في تغيير الأسلوب المتعارف تشويق إلى الخبر، وتهويل له بأنه ظُلم أنفسهم، وأن ا لم يظلمهم[٤٤٩] كما أن الجمع بين صيغتي الماضي(كانوا) والمستقبل (يظلمون) للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر[٤٥٠] فنجد أن بني اسرائيل في آية الأعراف ١٦٠ لم يشكروا نعم ا الكثيرة التي من بها عليهم بل عصوه، فبذلك لم يظلموا إلا أنفسهم، ومن جهة أخرى فإن الآية تشير بصورة غير مباشرة إلى أن اليهود خلال تاريخهم الطويل كانوا أذلاء لم يستطيعوا أن يظلموا أحداً إلا أنفسهم، ويرى الالوسي أن ذكر أنفسهم بجمع

---

٤٤٥) ينظرتفسير ابن كثير ٨٩/٥

٤٤٦) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ١٥٨/١٢

٤٤٧) الكشاف لجار ا الزمخشري ٤٠٢/٢

٤٤٨) يهزم، يغلب ، انظر لسان العرب،١٧٣/١(نكأ).

٤٤٩) ينظرالتحرير والتنوير لابن عاشور ٥١٢/١ ، ١٤٦/١٤

٤٥٠) ينظرتفسير أبي السعود،محمد(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربي , بيروت، ج ١٠٤/١

القلة تحقير لهم وتقليل والنفس العاصية أقل من كل قليل[٤٥١].

وذكرت (الآية٧٠ من التوبة) تاريخ قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات، وأنهم جاءتهم رسلهم بالبينات، فكفروا، ولذلك قدمت الآية الفعل (كان) الذي يدل على المضي، ثم حصر الظلم على أنفسهم فقط؛ لأنهم جاءتهم البينات ولم يبق لهم أدنى عذر، وكذلك الأمر بالنسبة للآية(٤٠) العنكبوت و الآية (٩) الروم .

والملاحظ في مجموع هذه الآيات ورود(لكن) الذي يضفي على النص بهاء وروعةُ التفت لها أبو حيان الأندلسي، فقال: لكن هنا وقعت أحسن موقع، لأنه تقدم قبلها نفي وجاء بعدها إيجاب...، ثم إرداف هذه الجمل بالجملة الأخيرة ، إذ هي مؤكدة لافتتاح هذه الجمل السابقة ، لأنه افتتحها بالإخبار بأنهم ظلموا أنفسهم ، وختمها بذلك وهو قوله: (ولَكن كَانُواْ أَنفُسهم يظْلمون). فجاءت هذه الجمل في غاية الفصاحة لفظاً والبلاغة معنى، إذ جمعت الألفاظ المختارة والمعاني الكثيرة متعلقاً أوائل أواخرها بأواخر أوائلها ، مع لطف الإخبار عن نفسه [٤٥٢]

إضافة إلى الآيات السابقة جاء التركيب(أنفسهم يظلمون) بدون الفعل الناقص ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ آل عمران: ١١٧، وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يونس: ٤٤، وللمحدثين وقفات مع هذه الآية الأخيرة حيث يرى الدكتور تمام حسان إحتمالاً لإعراب (أنفسهم) توكيداً معنوياً للناس في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يونس: ٤٤ كما يمكن ان يكون مفعولاً مقدماً للفعل (يظلمون)، ويرجح الإعراب الثاني استناداً إلى قوله تعالى في آية مشابهة {ساء مَثَلاً الْقَوم الذين كَذبواْ بِآياتنَا وأَنفُسهم كَانُواْ يظْلمون } الأعراف١٧٧ وإنطلاقاً من المقولة المشهورة أن القرآن يفسر بعضه بعضاً

٤٥١) ينظرروح المعاني للآلوسي ١/ ٢٦٤

٤٥٢) البحر المحيط لابي حيان الاندلسي ٣٧٦/١ -٣٧٧

فلا يجد وجهاً لإعراب (أنفسهم) إلا أن يكون مفعولاً مقدماً[٤٥٣] وتكمن عظمة التركيب القرآني في دقته الذي يضع كل حرف مكانه وإن أي تقديم لا يأتي إعتباطاً ما لم يرتبط بالأغراض والدلالات فلا يمكن حصره بمراعاة الفواصل دون اعتبار للمعنى، فهذا بعيد كل البعد ولا بأس بالجمع بينهم، فيرى الدكتور حماسة أن (أنفسهم) توكيد لكلمة (الناس) وفي الوقت نفسه تؤدي رعاية الفواصل وتوكيد الاختصاص بالظلم، ويقول: إن نظام الجملة العربية يسمح بحذف المفعول، ويسمح بتقديمه على فعله، ويجعل التوكيد المعنوي بالنفس مضافة إلى ضمير المؤكد. وإذا كان مثنى أو جمعاً جعل النفس بصيغة الجمع على (أفعل) كما في الآية . والسياق ينفي الظلم عن ا ـ ويؤكده للناس، ونظام الجملة يجعل التوكيد بوسيلة تقديم المفعول أو التوكيد المعنوي بألفاظ من بينها النفس. فإذا أخترنا أن كلمة (أنفسهم) توكيد لم نجد ما يمنع من ذلك. وقد يكون اختيارها مفعولاً به أوفق لمشاكلة الفعل (يظلمون) مع نظيره السابق(يظلم) حيث ذكر مفعوله الأول[٤٥٤].

فكان تَخصص هذه الآيات باليهود وغيرهم ممن حذا حذوهم مناسباً لتقدم المفعول به على فعله دون الفعل الناقص، وتأتي الآية الأخيرة لتتقدم (الأنفس) مرتبتين على فعلها وعلى (كان) أيضاً في﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٧، ولا يتضح لنا المعنى الخاص للآية حتى نقرأ ما قبلها﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦

ويرى جملة من المفسرين[٤٥٥] أن {ساء مثل القوم} هو بمعنى قـَبـُح، والقبيح :هو ما يكون متعلق الذم في العاجل والعقاب في الآجل[٤٥٦]، ولم ترد هذه اللفظة في القرآن أبداً فلعل المفسرين رأوا منكر ما فعله المتعلقُ به وصفُ الآية مستحقاً لهذا الوصف .

٤٥٣) ينظرالبيان في روائع القرآن للدكتور تمام حسان ٤١٤ – ٤١٥ .

٤٥٤) بناء الجملة العربية ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف دار غريب القاهرة ٢٠٠٣ ص ١٣٧- ١٣٨ .

٤٥٥) ينظرإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٧، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي

يقول ابن عباس إن الآية كانت في بلعام من مدينة الجبارين. وقيل: كان من اليمن. (فَانْسَلَخَ مِنْها) أي من معرفة ا تعالى، أي نزع منه العلم الذي كان يعلمه[٤٥٧]. ويعلل لضرب المثل للقوم مع أن المقصود واحد وهو(بلعام) إلى إن المراد به كفار مكة كلهم، لأنهم صنعوا مع النبي، بسبب ميلهم إلى الدنيا، من الكيد والمكر، ما يشبه فعل بلعام مع موسى[٤٥٨].

ويرى ابن عاشورأن جملة (وأنفسهم كانوا يظلمون) (يجوز أن تكون معطوفة على الصلة باعتبار أنهم معروفون بمضمون هذه الجملة عند النبي والمسلمين، ويجوز أن تكون معطوفة على جملة : (ساء مثلاً القوم) فتكون تذييلاً للجملة التي قبلها إخباراً عنهم بأنهم في تكذيبهم، وإنتفاء من القصص ما ظلموا إلا أنفسهم، وقوله تعالى { أنفسهم كانوا يظلمون } أقوى في إفادة وصفهم بالظلم من أن يقال : وظلموا أنفسهم ، كما تقدم في الآيات السابقة [٤٥٩].

ووجه إختلاف هذه الآية عن غيرها أن ا تبارك وتعالى بالغ في ذمهم إلى أنه ساء مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، أي: ساء مثلهم أن شبهوا بالكلاب التي لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه، واتبع هواه، صار شبيها بالكلب[٤٦٠] فناسب تخصص الآية بشخص محدد أو قوم محدد مدار الكلام عن نفسيتهم التي مثلها (كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث) تقديم (أنفسهم) على (كانوا) لأنهم موضع اهتمام أكبر وأن يجعلْ أو يجعلوا عبرة ومثلاً ويؤكد ذلك تكرر لفظة (مثل) ووصفه بالسيء مرتين فتضافرت الأسباب أن تختلف الآية عن غيرها ويأتي التقديم على الشكل الذي نراه وا أعلم .

في اللباب في علوم الكتاب٣٩٢/٩، أبو السعود العمادي في تفسير أبي السعود ٢٩٤/٣، الفخر الرازي في مفاتيح الغيب ٤٨/١٥ .

٤٥٦) ينظرالتعريفات للشريف الجرجاني ٢٢٠

٤٥٧) ينظرالجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢١/٧.

٤٥٨) ينظرفتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٢١١

٤٥٩) التحرير والتنويرلابن عاشور ١٨٠/٩

٤٦٠) تفسير ابن كثير ٥١٢/٣

تقدم المفعول المطلق

الموضع الأول

تقديم (قليلا) على (يؤمنون)

في قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ البقرة: ٨٨

وعلى خلاف ذلك :

﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ ﴾ النساء: ١٥٥

فَقَلِيلٗا	مَّا	يُؤۡمِنُونَ	البقرة ٨٨
فَلَا يُؤۡمِنُونَ	إِلَّا	قَلِيلٗا	النساء ١٥٥

ولم أجد للمقابلة بين هاتين الآيتين توجيهاً عند علماء المتشابه اللفظي، ولكن جاءت عند المفسرين، وقد اختلفوا في معناها وبالذات في لفظة (قليلاً) التي تقدمت في الآية من سورة (البقرة) وتأخرت في (النساء) وإعرابها في الآيتين : نعت لمصدر محذوف أو لظرف محذوف بمعنى يؤمنون إيماناً قليلاً أو زمناً قليلاً[٤٦١] واحتمال (قليلاً) لإعرابين هو من التوسع في المعنى[٤٦٢] وجعل الرازي (ت ٦٠٦هـ) لإعراب قليلاً في {قليلاً ما يؤمنون} ثلاثة أوجه، أحدها : أن القليل صفة المؤمن ، أي لا يؤمن منهم إلا القليل عن قتادة والأصم وأبي مسلم . وثانيها : أنه صفة الإيمان ، أي لا يؤمنون إلا بقليل مما كلفوا به لأنهم كانوا يؤمنون با ، إلا أنهم كانوا يكفرون بالرسل . وثالثها : معناه لا يؤمنون أصلاً لا قليلاً ولا كثيراً كما يقال : قليلاً ما يفعل بمعنى لا يفعل ألبتة . قال الكسائي: تقول العرب: مررنا بأرض قليلاً ما تنبت ، يريدون ولا تنبت شيئاً. والوجه الأول

٤٦١) إعراب القرآن وبيان معانيه أ.د محمد حسن عثمان، ٢١٣/١، إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش ١٤٧/٦

٤٦٢) تحدثنا عن التوسع في المعنى في الفصل الأول في الاعراب ... أنظر ص ٣٠

أولى لأنه نظير قوله ﴿ ...بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ النساء: ١٥٥ ولأن الجملة الأولى إذا كان المصرح فيها ذكر القوم فيجب أن يتناول الاستثناء بعض هؤلاء القوم [٤٦٣].

وعرض ابن عادل الدمشقي (ت٨٨٠ هـ) في نصب " قليلاً " في {قليلاً ما يؤمنون} ستة أوجه مضيفاً ثلاثة على ما جاء عند الرازي، أحدها: أنه نَعت لمصدر محذوف, أي: فإيماناً قليلاً يؤمنون؛ لأنهم كانوا يؤمنون با , ويكفرون بالرسل، والثاني: أنه حال من ضمير ذلك [المصدر] المحذوف , أي : فيؤمنونه أي : الإيمان في حال قلّته , وقد تقدم أنه مذهب سيبويه , وتقدم تقريره. والثالث : أنه صفة لزمان محذوف , أي : فزماناً قليلاً يؤمنون , وهو كقوله : {آمِنُواْ بِٱلَّذِى أُنْزِلَ على ٱلَّذِين آمَنُواْ وجه النَّهارِ واكْفُرُوا آخره} [آل عمران : ٧٢] [٤٦٤]

ويبدو رأي الرازي الأول أولى بالفعل، وا أعلم، وفيه دليل على وجود بعض المؤمنين وإن كانوا قليلين، ويرى الشعراوي أن المقصود به عدم إغلاق باب الإيمان على إطلاقه أمام هؤلاء الناس، فقد يعلن واحد من هؤلاء إيمانه الذي خبأه في نفسه، فكيف يجد الفرصة لذلك إن كان ا قد قال عنهم جميعاً { وطَبَع الله علَى قُلُوبِهِم } إن الذي يرغَب في إعلان الإيمان منهم لا يجد الباب مفتوحاً، ولكن عندما يجد الحق قد قال{ فَلاَ يؤْمنُون إلا قَليلاً } فهو يعلم أن باب الإيمان مفتوح للجميع[٤٦٥]

كما أن استدلال الرازي بالآية الثانية من سورة النساء جاء على سبيل أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ورحمة ا التي وسعت كل شيء تجعل الباب دائماً مفتوحاً لمن يريد أن يتوب، فحتى لو أخذنا الوجوه الأخرى في الاعراب عند ابن عادل الدمشقي نجدها تصب في كون المقصود بـ(قليلاً) هو بعض الأشخاص، فلو كان ايمانهم قليلاً أو زمن ايمانهم قليلاً فهذا لا ينفي مطلق الايمان، ثم إن حتى إدعاء اليهود أن قلوبهم مغلفة تجد ا ربهم ينفي ذلك بقوله (بل)[٤٦٦] بمعنى أن كلامهم ليس صحيحاً وإنما ذمهم ا بأن لعنهم ا وطبع على قلوبهم جزاء ما فعلوا، ودعاني هذا إلى أن أعلل لتقدم (قليلا) في البقرة٨٨ أنها لكونها موضع الاهتمام فالإيمان موجود في صدورهم وإن قل، ولكن يبدو لي أن إيمان المقصود بهم في النساء ١٥٥ معدوم تماماً بدليل اعترافهم على

---

٤٦٣) تفسير الفخر الرازي ٥٩٧/٣ ، وينظر تفسير ابن كثير ٤٠٢/١

٤٦٤) تفسير اللباب لأبي حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقى الحنبلى ط ١/ ١٩٩٨ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٧١/٢

٤٦٥) تفسير الشعراوي ٦٤٢

٤٦٦) إذا وقع بعد (بل) جملة كان إضراباً عما قبله كأن يكون على جهة الإبطال مثلاً ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ١/٢٢٩

أنفسهم (قلوبهم غلف) و(طبع ا عليها بكفرهم) فمن كانوا كذلك فهل ينتظر منهم الإيمان ولو مثقال ذرة؟ أضف إلى ذلك أن ا تبارك وتعالى لم يذكر كلمة الإيمان التي تُعرب مفعولاً مطلقاً بل ذكر صفتها(قليلاً) ليدل حذفها على حذف الإيمان وعدم وجوده أصلاً، وا أعلم .

الموضع الثاني

تقدم (رغدا) على (حيث شئتم) في :

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

البقرة: ٣٥

وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٥٨

وَكُلَا مِنْهَا	رَغَدًا	حَيْثُ شِئْتُمَا	البقرة٣٥
فَكُلُوا۟ مِنْهَا	حَيْثُ شِئْتُمْ	رَغَدًا	البقرة٥٨

التفت علماء المتشابه من حيث تقديم (وادخلوا الباب سجدا) على (قولوا حطة) في البقرة ٥٨، وتأخرها عنه في الاعراف ١٦١ وسبق أن عرضنا لتوجيهات العلماء في هذه المسألة في الفصل الأول في مبحث التقديم والتأخير في التراكيب[٤٦٧] ولكن نجد في آية البقرة ٣٥، تقديماً في (رغدا) ـ وهو مفعول مطلق أو صفة لمصدر محذوف أي أكلاً رغداً ـ على (حيث شئتما)

وتأخرها عنه في البقرة ٥٨، وكما هو واضح فإن الآية ٣٥ هي عن قصة آدم عليه السلام، بينما الآية ٥٨ في بني اسرائيل حين أمرهم ا بدخول المسجد الأقصى سجداً فخالفوا أمره [٤٦٨]

٤٦٧) ينظر درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٢٣٣- ٢٣٤، البرهان للكرماني ٢٨-٢٩ ، ملاك التأويل لابن زبير، الغرناطي ٢٠٥، كشف المعاني لابن جماعة ٩٦-٩٧ ، فتح الرحمن للأنصاري ٢٦ ، وينظر الفصل الثاني من الرسالة المبحث الثاني ٨٦- ٨٩ .

٤٦٨) ينظرالجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠٤/٧، تفسير ابن كثير الدمشقي ٣٢٥/١، روح المعاني للآلوسي ٢٦٥/١

ولم يتنبه من المفسرين إلى هذه المسألة حسب ما اطلعت عليه غير أبي حيان الأندلسي الذي رأى المعنى واحداً على الرغم من الاختلاف بالعطف بالواو في الأولى والفاء في الثانية وتقدم رغداً ثم تأخرها، ورأى أن تقديم الرغد هناك ظاهر، فإنه من صفات الأكل أو الآكل ، فناسب أن يكون قريباً من العامل فيه ولا يؤخر عنه، ويفصل بينهما بظرف وإن لم يكن فاصلاً مؤثراً المنع لاجتماعهما في المعمولية لعامل واحد، وأما هنا فإنه أخر لمناسبة الفاصلة بعده، ألا ترى أن قوله { فَكُلُواْ منْها حيثُ شئْتُم رغَدا } وقوله { وادخُلُواْ الْباب سجدا }، فهما سجعتان متناسبتان ؟ فلهذا ، وا أعلم ، كان هذان التركيبان على هذين الوضعين[٤٦٩].

وربما كان القول الأحسن هو أن تقدم (رغدا) قد يكون لأن الحديث في البقرة ٣٥ عن الجنة؛ وكل ما في الجنة رغد ، بينما في الثانية فالحديث عن الدنيا وهي ليست كذلك أي ليس كل ما فيها رغد، بل يجب على من هو فيه أن يبحث عن الرغد في الدنيا لعله يجده في بعض المواضع.

تقدم التمييز

تقدم (شهيداً) على (بيني وبينكم) في :

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ الإسراء: ٩٦

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ الرعد: ٤٣ وعلى خلاف ذلك:

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًاۖ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ العنكبوت: ٥٢

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ	شَهِيدًۢا	بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ	الاسراء٩٦، الرعد ٤٣
قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ	بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ	شَهِيدًاۖ	العنكبوت ٥٢

٤٦٩) البحر المحيط لابي حيان الاندلسي ١ / ٣٨٣ .

تقدم التميز (شهيداً) على الظرفين (بيني) و(بينكم) المتعلقين به في الاسراء٩٦ والرعد٤٣ وهذا هو الأصل والقياس، وتأخرا عنه في العنكبوت. ولم يلتفت الاسكافي والغرناطي إلى هذه المسألة بينما قال الكرماني فيها : جاء في الرعد والاسراء على الأصل وفي العنكبوت أخر شهيدا لأنه لما وصفه بقوله يعلم ما في السموات والأرض طال فلم يجز الفصل به[٤٧٠] ووافقه في ذلك الأنصاري[٤٧١] ، أما ابن جماعة فيقول: أنه لما وصف (شهيداً) بقوله تعالى (يعلم) ناسب تأخيره لتتبع الصفة موصوفها ولا يحول بينهما حائل. وليس هنا ولا في أمثالها صفة لشهيد، فجاء على القياس في غير{ كفى با شهيداً } { كفى با وكيلاً} [٤٧٢] وتابعه في ذلك الإمام البقاعي [٤٧٣].

ويقول فاضل السامرائي :(في آية سورة الإسراء ختم تعالى الآية بذكر صفاته (خبيراً بصيرا) لذا اقتضى أن يقدم صفته (شهيداً) على (بيني وبينكم)، أما في آية سورة العنكبوت فقد ختمت الآية بصفات البشر (أولئك هم الخاسرون) لذا اقتضى تقديم ما يتعلّق بالبشر (بيني وبينكم) على (شهيدا)) . وكل التعليلات والتوجيهات السابقة مقبولة ويمكن أن يعلل بها سر التقديم والتأخير الحاصل في الآية بينما أراني أميلُ إلى رأي الدكتور فاضل السامرائي أكثر من غيره .

---

٤٧٠) البرهان في متشابه القرآن للكرماني ١١٩

٤٧١) ينظر فتح الرحمن للأنصاري ٣٣٤

٤٧٢) كشف المعاني لابن جماعة ٢٣٥ - ٢٣٦

٤٧٣) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٥٧٠/٥

المبحث الثاني

التقديم والتأخير في المجرورات

في دراستنا للتقديم والتأخير في الإسناد (تقدم الخبر على المبتدأ) وجدنا مواضع عدة كان المسند فيها جاراً ومجروراً كقوله تعالى {الحمد } و{ الحمد} وقوله تعالى {العزة } و{ العزة} بل ولم يكن للخبر أن يتقدم حينها إلا إذا كان جاراً ومجروراً أو ظرفاً، ودلالات المسند تكون أبلغ مما لو كان المسند فيه مجرد اسمٍ مفرد، ويقر أبو المكارم بأن"الجملة التي يقع فيها المسند ظرفاً أو جاراً ومجروراً " تكون نوعاً متميزاً من أنواع الجملة العربية ، بغض النظر عن الموقع الذي يحتله المسند في الجملة تقديماً أو تأخيراً، وعن السياق الذي يستعمل فيه خبراً أو إنشاء[٤٧٤] ففيه يحصل من التوسع ما لا يحصل في غيره وبه جاز تقديم معمول الخبر بما إذا كان المعمول ظرفا أو جارا ومجرورا [٤٧٥]

ونتناول في هذا المبحث تقدم الجار والمجرور على الفعل حين يتعلقان به في غير الاسناد كما درسنا فيما سبق في تقدم المنصوبات، وارتباط هذه المتعلقات من المفاعيل والمجرورات بالفعل هي لغير علة نحوية، وإنما تتعلق به لأغراض بلاغية. يقول الدكتور بسيوني عبدالفتاح : أن الفعل يلابس هذه المتعلقات ويتصل بها فيتحقق بهذا الاتصال أو بتركه كثير من الأغراض البلاغية، ثم أن هذه المتعلقات يكمن وراء بنائها وتركيبها مع الفعل الكثير من المزايا والدقائق اللطيفة، وعلى الدارس أن يلم بتلك المزايا؛ وأن يعلم كيف يقدم المتعلق على الفعل أو يتأخر عنه وما أغراض تقديمه أو تأخيره [٤٧٦]، وكما أوضحنا سلفاً في (متعلقات الفعل) فإن هذه المتعلقات تمارس دورها في تكملة المعاني، بحيث لا يستغنى عنها، فهي مكملات وظيفية، ويقول د. عبده الراجحي " إن الظرف والجار والمجرور يدلان على معنى فرعي يتمم نقصان المعنى الذي يدل عليه الفعل أو ما يشبهه؛ أي إن هذا المعنى الفرعي يرتبط بمعنى الفعل أي يتعلق به" [٤٧٧]

---

٤٧٤) التراكيب الإسنادية للدكتور علي أبو المكارم ١٦

٤٧٥) ينظرشرح ابن عقيل ٣٠٦/١

٤٧٦) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ا.د. بسيوني عبد الفتاح ٢٢٦

٤٧٧) التطبيق النحوي للدكتور عبده الراجحي، ط١ , مكتبة المعارف للتوزيع والنشر, السعودية , ١٩٩٩م ، ص٣٦٢

ولقد وجدت مواضع كثيرة من المتشابه اللفظي في المجرورات أعرض لها في هذا المبحث وسأحاول أن أتبين بعض دلالتها بتوفيق ا .

الموضع الأول

تقدم تقدم (الرزق) على (الإنفاق) في قوله تعالى في سور البقرة :

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ البقرة: ٣ وفي خمس آيات اخرى[٤٧٨] وعلى خلاف ذلك جاء في السورة نفسها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٤ وفي ثلاث آيات أخرى[٤٧٩] فيكون التقديم والتأخير كما في الجدول التالي:

وَمِمَّا	رَزَقْنَٰهُمْ	يُنفِقُونَ	البقرة ٣
أَنفِقُواْ	مِمَّا	رَزَقْنَٰكُم	البقرة ٢٥٤

لم أجد عند علماء المتشابه اللفظي توجيهاً لهذه الآيات ويقابل الدكتور فاضل السامرائي بين هذه الآيات فيرى إن تقدم (الرزق) على (الانفاق) فالسياق في تعداد جملة من صفات المؤمنين[٤٨٠] كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ البقرة: ٢ ـــ ٤

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ... ﴾ الأنفال: ٢ ـــ ٤

---

٤٧٨) الأنفال ٣ ، الحج ٣٥ ، القصص ٥٤ ، السجدة ١٦ ، الشورى ٣٨ .

٤٧٩) ابراهيم ٣١ ، يس ٤٧ ، المنافقون ١٠

٤٨٠) من اسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١٢٣

﴿ ... وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الحج: ٣٤ ــ ٣٥ ...

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾القصص٥٢ ــ ٥٥

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ السجدة: ١٥ ــ ١٧

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الشورى: ٣٧ ــ ٣٩

ويرى السامرائي أن (الانفاق) إذا كان متقدماً على (الرزق) فالسياق في الانفاق والدعوة إليه والحض عليه[٤٨١] كقوله تعالى

: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٤

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٢

﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ إبراهيم: ٣١

٤٨١) من اسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١٢٤

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ المنافقون: ١٠

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ يس: ٤٧

ويعلل السامرائي لمجيء (من) التبعيضية عند ذكر الرزق بخلافه عند ذكر المال[٤٨٢] لأن الأخير جزء من الرزق فما يأكله الانسان، والحيوان رزق{ وما من دابة على الأرض إلا على ا رزقها} هود ٦، والمطر رزق { وما أنزل ا من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها} الجاثية ٥، والعلم والجاه [٤٨٣]، وأميلُ إلى هذا الرأي لكثرة شواهده ولما يلائمه تقدم (مما رزقناهم) على (الانفاق) من رسم لمعان جليلة يشعر فيها المرء أن ما ينفقه إنما هو من ا من واسع نعمته وعظيم فضله وأن ا يخلفه[٤٨٤] كما لا يستقيم تقديم (مما رزقناهم) على (أنفقوا) فأسلوب الحصر في هذا المقام أولى وأنسب .

ولكن الأسلوب القرآني أعظم من أن يحكم أو تحيطَ به قاعدة مطردة؛ فقد وجدت آيتين تقدم فيهما (الانفاق) على(الرزق) والسياق في تعداد صفات المؤمنين بخلاف ما تفضل به الدكتور فاضل السامرائي والآيتان هما﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ الرعد: ٢٢

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فاطر: ٢٩

وربما كان مجيء هاتين الآيتين باسلوب الإخبار دلالة على أنهما تفيدان الطلب ضمناً، فتنطبق عليهما أيضاً القاعدة المذكورة وا أعلم .

---

٤٨٢) { ينفقون اموالهم...} البقرة٢٦٢،ابرهيم٣١،المنافقون١٠ ورد ذكر الانفاق بدون(من) التبعيضية .

٤٨٣) من اسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي، ص١٢٥-١٢٦

٤٨٤) من شواهد الاعجاز القرآني ، الدكتور عودة خليل ابو عودة ط١، دار عمار للنشر، عمان، ١٩٩٨، ص ٣٧٥

الموضع الثاني

تقدم (فيها) على (خالدون) في قوله تعالى

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة ٢٥

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ النساء: ٥٧.

وهناك آيات كثيرة وردت بالتركيبين فصلت لها في إحصائية مستقلة سأذكرها قبل التعليل، وقد آثرت المقابلة بين هاتين الآيتين بالذات للتشابه الكبير بينهما ولوجود تقديم وتأخير آخر بينهما وهو تقدم التركيب (لهم فيها أزواج مطهرة) على (فيها خالدون) في الآية من سورة البقرة وتأخرها عنه في سورة النساء، وسيبدو التقديم أكثر وضوحاً في الجدول التالي :

وَلَهُمْ	فِيهَآ	أَزْوَٰجٌ	مُّطَهَّرَةٌ	وَهُمْ	فِيهَا	خَٰلِدُونَ	البقرة ٢٥
خَٰلِدِينَ	فِيهَآ	أَبَدًا	لَّهُمْ	فِيهَآ	أَزْوَٰجٌ	مُّطَهَّرَةٌ	النساء ٥٧

ولم أجد تعليلاً للاختلاف بين الآيات من حيث التقديم إلا ما ذكره بعض المفسرين أن تقدم الظرف (فيها) المتعلق بخالدون يعود إلى موافقة رؤوس الآي [٤٨٥]

ملاحظة : حين أحصيت المواضع التي ذكر فيها التركيب (فيها خالدون) وجدت أن ثمانية منها عن أهل الجنة[٤٨٦] ولكن أحد عشر منها عن اهل النار[٤٨٧] ولكن حين أحصيت المواضع التي ذكر فيها التركيب (خالدين فيها) وجدت أنها وردت ٢٦ مرة عن أهل الجنة[٤٨٨] مقابل ١٤ مرة

---

٤٨٥) ينظر اللباب في علوم الكتاب لابي حفص الدمشقي ٤٥٨/١

٤٨٦) البقرة ٢٥، ٨٢، ال عمران ١٠٧، الأعراف ٤٢، يونس ٢٦، هود ٢٣ ، المؤمنون١١، الزخرف ٧١ .

٤٨٧) البقرة ٣٩، ٨١، ٢١٧، ٢٥٧، ٢٧٥، ال عمران١١٦، الأعراف٣٦، يونس ٢٧، رعد ٥، الانبياء ٩٩، المجادلة ١٧ .

٤٨٨) ال عمران١٣٦،١٥، ١٩٨، النساء١٣،٥٧، ١٢٢، المائدة٨٥، ١١٩، التوبة٢٢، ٧٢، ٨٩، ١٠٠، هود ١٠٨، ابراهيم ٢٣، الكهف ١٠٨، طه ٧٦، الفرقان ٧٦، العنكبوت ٥٨، لقمان ٩،الاحقاف ١٤،الفتح٥،الحديد١٢،المجادلة ٢٢، التغابن ٩،الطلاق١١، البينة ٨ .

عن أهل النار[489] وجاء الخلود بالإفراد ٣ مرات عن أهل النار[490]{ خالدا فيها } وجاء التأبيد(أبداً) مع أهل الجنة ثمان مرات[491] وثلاث مرات مع أهل النار[492].

الكلام عن أهل الجنة		الكلام عن أهل النار	
فيها خالدون = ٨	خالدين فيها =٢٦	فيها خالدون = ١١	خالدين فيها = ١٤
	جاء التأبيد = ٨		جاء التأبيد = ٣

وأرى إن آية (٢٥) البقرة ذكرت أوصافاً عديدة للجنة، وأنها ﴿... تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ...﴾ فنلاحظ أن مدار البحث هي هذه الأمور التي ذكرتها الآية الكريمة، لذا تقدم الضمير الذي يعود إلى الجنة على(خالدون) . أمـا الآية (٥٧) النساء فإنها ذكرت صفة واحدة وهي (جنات تجري من تحتها الأنهار) ولذلك تقدم لفظ (خالدين) على(الجار والمجرور) لتتلاءم وتتناسب مع ما قبلها (جنات تجري من تحتها الأنهار) وقد يكون هناك تعليل آخر استقيته من محاضرة للدكتور عودة خليل أبوعودة في مادة جماليات النص القرآني مفاده أن لتقدم (فيها) ـ أو ما في معناها مثل (فيه) ـ على (خالدون) دلالة كبيرة فيها الحرص على ترغيبهم في الجنة التي لم يصلوا إليها بعد، فالأمر يكون مثلاً يتعلق بأهل الدنيا الذين يدعون إلى العمل من أجل الوصول إلى الجنة، فالآيات ترغبهم في الجنة التي لم يصلوا إليها بعد كما سنوضح ذلك لاحقاً في توجيه الآيات الكريمة من سور النحل٣١ والفرقان١٦ { لهم فيها ما يشاءون} ، وأما إذا كان الحديث عن الجنة وقد وصلوا إليها يكون تأخير (فيها) عما قبله لأنهم وصلوا الجنة ودخلوا فيها كما في سورة (ق) { لهم ما يشاءون فيها } ٣٥، وقوله تعالى هنا في سورة النساء (سندخلهم) وعد من ا بأن الجنة قد وجبت لهم وأنهم الآن بمثابة من قد أصبحوا فيها .

---

٤٨٩) البقرة١٦٢، ال عمران٨٨، النساء ١٦٩، الانعام ١٢٥، التوبة ٦٨، هود ١٠٧، النحل ٢٩، الاحزاب ٦٥، الزمر ٧٢، غافر٧٦ ، الحشر١٧، التغابن ١٠ ، الجن ٢٣ ، البينة ٦ .

٤٩٠) النساء ١٨، ٩٣ ، التوبة ٦٣ .

٤٩١) النساء ٥٧، ١٢٢، المائدة ١١٩ ، التوبة ٢٢ ، ١٠٠، التغابن ٩، الطلاق ١١، البينة ٨ .

٤٩٢) النساء ١٦٩ ، الأحزاب ٦٥ ، الجن ٢٣ .

الموضع الثالث

تقدم الجر والمجرور (إلى ..) على (يد..) وتأخره عنها في الآية نفسها

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ المائدة: ٢٧ ــ ٢٨

لَئِنۢ	بَسَطتَ	إِلَيَّ	يَدَكَ	المائدة ٢٨
مَآ	أَنَا۠ بِبَاسِطٖ	يَدِيَ	إِلَيۡكَ	

وعن مخالفة الترتيب في الآية واختلافها في التركيبين، لم أجد غير تعليلٍ صوتي لابن أبي الأصبع[٤٩٣](ت ٦٥٤هـ) [٤٩٤]فيقول: إنه منع منه في صدر الآية مانع قوي، وهو مخافة أن تتوالى ثلاثة أحرف متقاربات المخارج، فيثقل الكلام بسبب ذلك، فإنه لو جاء الكلام فيه مرتباً لقيل: لئن بسطت يدك إلي، و(الطاء) و(التاء) و(الياء) متقاربات المخارج، فلذاك حسن تقديم المفعول الذي تعدى الفعل إليه بالحرف على المفعول الذي تعدى إليه بنفسه، ولما أمن هذا المحذور في عجز الآية بما اقتضته البلاغة من الإتيان باسم الفاعل موضع الجملة الفعلية، لتضمنه معنى الفعل الذي تصح به المقابلة، جاء الكلام على ترتيبه من تقديم المفعول الذي تعدى الفعل إليه بنفسه، على المفعول الذي تعدى الفعل إليه بالحرف [٤٩٥]

---

٤٩٣) ابن أبي الاصبع العدواني، البغدادي ثم المصري: شاعر، من العلماء بالادب. مولده ووفاته بمصر.له تصانيف حسنة، منها " بديع القرآن - ط " في أنواع البديع الواردة في الآيات الكريمة، و " تحرير التحبير - ط " و " الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح - خ " أي فواتح القرآن، منه نسخة في المكتبة العربية بدمشق و " البرهان في إعجاز القرآن - خ " في شستربتي و " المختارات - خ " أدب، في جامعة الرياض . ينظر الأعلام للزركلي ٤ / ٣٠ .

٤٩٤) عاش نيفاً وستين سنة. وتوفي بمصر في ٢٣ شوال سنة ٦٥٤هـ ، أنظر الوافي بالوفيات للصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٤٦هـ)) (تحقيق أحمد الأرناؤط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث ، بيروت , ١٤٢٠ هـ، ج ١٩ / ٥ ، ٦ .

٤٩٥) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر باب التهذيب والتأديب ، ابن أبي الأصبع ،(تحقيق الدكتور حفني محمد شرف) , لجنة إحياء التراث الاسلامي , الجمهورية العربية المتحدة ، ج ١/ ٤٠٦ .

ولتعليل أبي الاصبع الصوتي ما يبرره، وهو استقباح العرب تكرار الحروف المتقاربة المخارج وكراهتهم لها، فيقول ابن سنان الخفاجي(ت ٤٦٦ هـ)" فمن أقبح ما يكون من التكرار وأشنعه وإذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة المخارج فتكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع "[٤٩٦]

وحينما وضعت هذه الحروف الثلاثة في ميزان صفات الحروف ومخارجها، أتضح لي اتفاق مخرجي (الطاء) و(التاء) وهو طرف اللسان وبعدهما عن مخرج حرف(الياء) وهو جوف اللسان وإتفاق (الطاء) و(التاء) في كونهما: صامت، فموي، أسناني لثوي، انفجاري، مهموس . أما الياء فيتفق معهما في كونه فموي ولكنه نصف صامت ومجهور[٤٩٧].

وأرى وا أعلم أنه كان من المنتظر في التركيب الأول أن يتقدم المفعول به(يدك)على الجار والمجرور(إلي) ولكن الآية جاءت معاكسة الأسلوب الطبيعي، وذلك لأن المتكلم هو المقصود في الآية، وهذا ما دعا إلى تقديم ضميره للاهتمام به وللفت النظر إليه، وعلى عكس ذلك نجد في الآية نفسها تقديم (يدي) على (إليك) لأنها جاءت على الأصل بتقديم المفعول به الصريح (يدي) على المفعول به غير الصريح (إليك) .

وربما يكون في الآية ملمح دلالي آخر، وهو أن قوله تعالى { لئن بسطت إلي يدك لتقتلني} فيه إثارة الاهتمام بما ينوي الآخر فعله، وهو أنه بسط يده ليقتل أخاه، ففي الآية استهجان من أن يمد إلى أخيه يده، أما في الموضع الثاني { ما أنا بباسط يدي إليك } فيه أيضاً إشعار بأنني لا يمكن أن أفعل مثلك، ففي هذا الموضع اشعار بابعاد أخيه عن موضع الخطر من نفسه (يدي إليك) وهذا من إعجاز الدلالة القرآنية العظيمة .

الموضع الرابع

تقدم الجار والمجرور(بما تعملون) على (بصير) في قوله تعالى :

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ البقرة: ١١٠، وفي مواضع أخرى[٤٩٨]

---

٤٩٦) سر الفصاحة لعبد ا بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، ط١ , دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م . ج/ ١ / ٣٥

٤٩٧) أنظر علم أصوات العربية : أ . د محمد جواد النوري، ط٢، منشورات جامعة القدس المفتوحة ٢٠٠٣م . ص١٦٢،١٦٠،١٥٧ .

٤٩٨) البقرة٢٣٣،٢٦٥، ال عمران١٥٦،الأنفال٣٩،٧٢، هود١١٢، الأحزاب٩، سبأ١١، فصلت٤٠، الفتح٢٤،الحديد٤ ، الممتحنة ٣ ،

وجاء على خلاف ذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ البقرة: ٩٦ وفي مواضع أخرى[٤٩٩].

إِنَّ ٱللَّهَ	بِمَا	تَعْمَلُونَ	بَصِيرٌ	البقرة ١١٠
وَٱللَّهُ	بَصِيرٌۢ	بِمَا	يَعْمَلُونَ	البقرة ٩٦

ولم أجد لهذه المقابلة توجيهاً إلا عند الدكتور فاضل السامرائي فيقول إذا كان السياق في العمل من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وما يقدم الانسان من خير قدم العمل ، وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان على ا وليس على الإنسان وعمله، قدم صفته تعالى وهو البصر على العمل[٥٠٠]

فمن باب تقدم (العمل) على (البصر) :

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ البقرة: ١١٠ ،﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٥ ،﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ هود: ١١١ – ١١٢ ،﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ سبأ: ١١،﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ فصلت: ٤٠

ومن باب تقدم (العمل) على (البصر) :

التغابن٢.

٤٩٩) آل عمران١٦٣،المائدة٧١ ، الحجرات ١٨

٥٠٠) من اسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١٣٢

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ البقرة: ٩٦،﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ المائدة: ٧١، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الحجرات: ١٨

وأميل إلى رأي السامرائي في أن تقدم (بما تعملون) على (بصير) يكون الحديث فيها عن الأعمال أكثر، وبخلافه نجد الآيات التي تدعو إلى التفكر وإمعان النظر، تقدم فيها (بصير) على (بما تعملون) وا أعلم .

الموضع الخامس

تقدم شبه الجملة (عليكم) على (شهيداً) في قوله تعالى

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣

وتأخره عنه في قوله تعالى

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج: 78

وَيَكُونَ	ٱلرَّسُولُ	عَلَيْكُمْ	شَهِيدًا	البقرة ١٤٣
لِيَكُونَ	ٱلرَّسُولُ	شَهِيدًا	عَلَيْكُمْ	الحج ٧٨

سبق أن تحدثنا عن توجيه هاتين الآيتين[٥٠١] فقوله تعالى: {ليكُون الرسولُ شَهيداً علَيكُم وتكُونُوا شُهداء علَى الناسِ} فيه دلالة على صحة إجماعهم; لأن معناه: ليكون الرسول شهيدا عليكم بطاعة من أطاع في تبليغه وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بأعمالهم فيما بلغتموهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: {وكذَلِك جعلْنَاكُم أُمةً وسطاً لِتَكُونُوا شُهداء علَى الناسِ ويكُون الرسولُ علَيكُم شَهِيداً} البقرة١٤٣، فبدأ بمدحهم ووصفهم بالعدالة ثم أخبر أنهم شهداء وحجةٌ على من بعدهم[٥٠٢]

الموضع السادس

تقدم الجار والمجرور (به) على (لغير) في قوله تعالى

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ البقرة: ١٧٣

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ . . . ﴾ المائدة: ٣

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٥

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ النحل: ١١٥

وَمَآ أُهِلَّ	بِهِۦ	لِغَيْرِ	ٱللَّهِ ۖ	البقرة ١٧٣
وَمَآ أُهِلَّ	لِغَيْرِ	ٱللَّهِ	بِهِۦ	المائدة ٣، النحل ١١٥،الانعام ١٤٥

٥٠١) أنظر الفصل الثاني التقديم والتأخير في التراكيب ص ٨٧ .

٥٠٢) ينظرأحكام القرآن ، أبو بكرالجصاص(ت٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي , بيروت , ١٩٨٤م ٢٩٢/٢ .

يرى الإسكافي أن الموضع الأول (ما أهل به لغير ا) قد جاء على الأصل الذي يقتضيه حكم اللفظ، لأن الباء التي يتعدى بها الفعل في هذا المكان من جملة الباءات التي كحرف من نفس الفعل تقول ذهبت بزيد، ثم تقول: أذهبت زيداً فتصير الباء كالهمزة المزيدة في بنية الفعل، فيجب لذلك أن تكون أحق بالتقديم. وما يتعدى إليه الفعل باللام لا تنزل لامه منزلة الحرف من نفس الفعل فصار قوله {أهل به لغير ا } بمنزلة ذبح لغير ا مسمى عليه اسم بعض الالهة فلما كان هذا الأصل في الأول جرت الآية الأولى عليه، ولما كان الإهلال بالمحذوف لا يستنكر إلا إذا كان لغير ا ، كان ما عدا الأصل بتقديم المستنكر أحق وأولى[٥٠٣]

وقد وافقه الكرماني في توجيهه ورأى مجيء الآية من سورة البقرة على الأصل لأن تقديم الباء الأصل فإنها تجري مجرى الهمزة والتشديد في التعدي، فكانت كحرف من الفعل، فكان الموضع الأول أولى بما هو الأصل، ليعلم ما يقتضيه اللفظ [٥٠٤]

وبسط ابن الزبير الكلام بخلاف توجيه الكرماني الموجز فذكر أولاً طريقة العرب في التقديم وذكر كلام سيبويه المشهور(كأنهم يقدمون الذي هو أهم لهم وهم ببيانه أعنى)[٥٠٥] ولاحظت أنه يكثر من ترديده في توجيهاته في التقديم والتأخير وفي المجرورات بالذات، ووجد أن ورود الآية من سورة البقرة في مقام الرزق وسياق المأكول وحله وتحريمه مناسب لتقديم المضمر المجرور ولم يكن في باقي الآيات مثل ما في هذه الآية فأدى ذلك إلى تأخير الضمير المجرور[٥٠٦] ووافقهم ابن جماعة الذي رأى أيضاً أن آية المائدة وردت بعد تعظيم شعائر ا وأوامره، والأمر بتقواه، وكذلك آية النحل بعد قوله تعالى { وأشكروا نعمة ا } فكان تقديم اسمه أهم . ثم يقول :آية النحل والأنعام نزلتا بمكة فكان تقديم ذكر ا بترك ذكر الأصنام على ذبائحهم أهم لما يجب من توحيده، وإفراده بالتسمية على الذبائح. وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان ما يحل وما يحرم، فقدم الأهم فيه وا أعلم[٥٠٧] .

---

٥٠٣) درة التنزيل للإسكافي ٣١٧-٣١٩

٥٠٤) ينظرالبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ٣٧ .

٥٠٥) الكتاب لسيبويه ٣٤/١

٥٠٦) ينظر ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٢٤٩ -٢٥١

٥٠٧) كشف المعاني لبدر الدين بن جماعة ١١٠-١١١

وإلى توجيهات الأولين ذهب الأنصاري مؤيداً وقال: إن الحصر بـ(إنما) في المحرمات هنا متروك الظاهر، لما زاد في المائدة من (المنخنقة ، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع)[508] .

ويرى الدكتور محمد السامرائي في الآيات الثلاث (المائدة ٣، النحل ١١٥،الانعام ١٤٥) أمر مشترك سوغ لتقديم (لغير ا) على (به) وهو قضية التحليل والتحريم، بينما في آية البقرة ليس المقام كذلك، فلم يذكر أن ثمة جهة أخرى تقود بالتحليل والتحريم، وإنما الكلام على ما رزق ا عباده من الطيبات{ يا أيها الذين آمنُواْ كُلُواْ من طَيبات ما رزقْنَاكُم واشْكُرواْ لِلّه إِن كُنتُم إِياه تَعبدون }البقرة١٧٢[509]

وهذا يؤيد كلام ابن جماعة في مسألة أوقات نزول الآيات حيث استدعى المقام في الأنعام والنحل المكيتين تقدم التأكيد على خطور الاشراك أولاً ثم تحريم المحرمات من الذبائح ثانياً، بينما كان الخطاب في البقرة المدنية لأهل المدينة الذين آمنوا فناسب تقديم الكلام على المحرمات أولاً ثم الإيمان با ونبذ الشرك، فكشف ـ ابن جماعة رحمه ا ـ لنا معنى جليلاً من خلال حسن تعليله وإنفراده بتوجيه ليس الأول، وهذا دليل أنه لم يكتف بالنقل عن الكرماني وأخذ طريقته كما قيل عنه .

الموضع السابع

تقدم (بما تعملون) على (خبير) في قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٤ وفي آيات أخرى[510].

وعلى خلاف ذلك:

---

٥٠٨) فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٥٠

٥٠٩) ينظر دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل للدكتور محمد فاضل السامرائي ١٨٢-١٨٣

٥١٠) البقرة٢٧١ ،ال عمران ١٨٠،هود١١١، لقمان٢٩، الفتح ١١، الحديد١٠، المجادلة ٣،المجادلة ١١، التغابن ٨

﴿ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ آل عمران: ١٥٣ وفي خمس آيات أخرى[٥١١].

وَٱللَّهُ	بِمَا تَعۡمَلُونَ	خَبِيرٌ	البقرة ٢٣٤
وَٱللَّهُ	خَبِيرُۢ	بِمَا تَعۡمَلُونَ	ال عمران ١٥٣

وتقديم (الخبرة) على (العمل) وتأخيره عنه مشابه لما جاء في تقديم (البصر) على(العمل) فالحالة مماثلة وهي من توجيهات فاضل السامرائي الذي يرى أن التقديم والتأخير مرهون بما يقتضيه المقام، فإنه إذا كان السياق في عمل الانسان قدم عمله فيقول: { وا بما تعملون خبير} وإذا كان السياق في غير العمل أو كان في الأمور القلبية أو كان الكلام على ا سبحانه قدم صفته[٥١٢] فيقول { وا خبير بما تعملون} .

<u>ومن باب تقدم (الخبرة) على(العمل) :</u>

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤ ﴾ البقرة: ٢٣٤ ، الكلام على الانسان والعمل والدليل (فلا جناح عليكم فيما فعلن) ، ﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١ ﴾ البقرة: ٢٧١ ، والكلام كما هو ظاهر في الصدقات وهو من العمل، ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ ﴾ التغابن: ٧ – ٨، فالكلام على الانسان وعمله وليس على ا فقدم ما يتعلق بالانسان .

---

٥١١) المائدة ٨، النور ٥٣، المجادلة ١٣، الحشر ١٨، المنافقون١١

٥١٢) من اسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١٣٢ - ١٣٣

ومن باب تقدم وصفه تعالى(الخبير) على (العمل) قوله تعالى

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

النور: ٥٣ والكلام على المنافقين والنفاق أمر قلبي وهو يحتاج إلى خبرة لمعرفة أصحابه، فقدم وصفه سبحانه لذاك ليدل على أن هذه الأمور القلبية التي يقسمون عليها لا يعلمها إلا ا عز وجل وهو الخبير بها .

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل: ٨٨

فليس السياق في العمل ثم إن الكلام على ا سبحانه فقدم وصفه على الفعل .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة: ٨ وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الحشر: ١٨

والتقوى أمر قلبي فقدم الخبرة، وقد يكون علة تقدم (بما تعملون) على (خبير) هو أن هذه الآيات تتحدث عن أفعال تمت، وكانت وا عز وجل خبير بها قبل كونها، أمـا تقدم (خبير) على (بما تعملون) فلربما وا أعلم لأن الآية تتحدث هنا عن أعمال آتية، قادمة وا خبير بها قبل أن يقوم بها الناس .

الموضع الثامن

تقدم (على شيء) على (مما كسبوا) في :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٤

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾ إبراهيم: ١٨

لَّا يَقۡدِرُونَ	عَلَىٰ شَيۡءٖ	مِّمَّا كَسَبُواْ	البقرة ٢٦٤
لَّا يَقۡدِرُونَ	مِمَّا كَسَبُواْ	عَلَىٰ شَيۡءٖ	ابراهيم ١٨

انفرد الكرماني بتوجيه هذه الآية عن سلفه الاسكافي، ولم يذهب إليه الغرناطي من بعده، فنظر إلى ما جاء على الأصل وهو في سورة البقرة من تقديم (يقدرون)، فـ (على شيء) وهو متعلق بالفعل (يقدرون) و، فـ(مما كسبوا) وهو صفة لـ(شيء). بينما تقدم (الكسب) في ابراهيم لأنه المقصود بالذكر، فإن المثل ضرب للعمل، يدل عليه ما قبله ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾ إبراهيم: ١٨ [٥١٣] ووافقه الانصاري ونقل عنه توجيهه[٥١٤] ووضح ابن جماعة التقديم بجعل(المثل) ـ { فمثله كمثل...} البقرة٢٦٤ و{ مثل الذين...} ابراهيم ١٨ حيث جاءت في البقرة لتدل على(العامل) أو القادر ولما كان(على) من صلة القدرة فكان تقديم نفي قدرته وصلته أنسب فتقدم (على شيء).

أمـا آية ابراهيم عليه السلام فكان (المثل) ليدل على (العمل) ودليله قوله تعالى {...الذين كفروا} وتقديره أعمال الذين كفروا، فكان تقديم (مما) تقديم نفي ما كسبوا أنسب لأنه صلة(شيء) وهو الكسب[٥١٥] فناسب كل على ما جاء عليه وا أعلم .

٥١٣) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ١٠٧

٥١٤) فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٢٩٣

٥١٥) كشف المعاني لبدر الدين بن جماعة ١٢٠

الموضع التاسع

تقدم (تحشرون) على (الى جهنم)

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٢

وعلى خلاف ذلك:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنفال: ٣٦

وَتُحْشَرُونَ	إِلَىٰ جَهَنَّمَ	ال عمران ١٢
إِلَىٰ جَهَنَّمَ	يُحْشَرُونَ	الأنفال ٣٦

نزلت آية ال (عمران١٢)عقب يوم بدر، وبعد أن رجع الرسول ﷺ إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قَيْنُقَاع وقال: " يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله ما أصاب قريشًا". فقالوا: يا محمد، لا يغرنّك من نفسك أن قَتَلْتَ نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا؟ فنزلت الآية[٥١٦]

أمـا آية (الأنفال ٣٦) فقيل إنها نزلت في المطعمين يوم بدر ـ قادة الكفار الأغنياء الذين كانوا يطعمون الجيش ـ أو أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش يقاتل بهم النبي ﷺ وقالوا إنها كانت في العير التي فر بها أبو سفيان يوم بدر ليستخدمها في أُحد إدراكاً للثأر، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية[٥١٧].

ويقول ابن عاشور: (إن مقتضى الظاهر كان أن يقال (وإلى جهنم يحشرون) كما قال في الآية الأخرى (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) فعدل عن الإضمار هنا إلى الإظهار تخريجا على خلاف مقتضى الظاهر، للإفصاح عن التشنيع بهم في هذا الإنذار حتى يعاد استحضار وصفهم بالكفر بأصرح عبارة، وعرفوا بالموصولية إيماء إلى أن علة استحقاقهم الأمرين في الدنيا والآخرة هو وصف الكفر. فيعلم أن هذا يحصل لمن لم يقلعوا عن هذا الوصف قبل حلول

---

٥١٦) تفسير ابن كثير ١٧/٢

٥١٧) ينظراسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الناشر مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٥٩

الأمرين بهم، وليميز متعلق بـ (يحشرون) لبيان أن من حكمة حشرهم إلى جهنم أن يتميز الفريق الخبيث من الناس من الفريق الطيب في يوم الحشر، لأن العلة غير المؤثرة تكون متعددة، فتمييز الخبيث من الطيب من جملة الحكم لحشر الكافرين إلى جهنم)[٥١٨].

ويبدو أن قوله تعالى في آية الأنفال ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾ جملة استئنافية دلت على حكم عام، فالذين كفروا ـ أيا كانوا ـ قبل بدروالأنفال، وبعد بدر وحتى قيام الساعة، إلى جهنم يحشرون، ولو كان القول جاء مشابهاً لما في سورة آل عمران، أي بمعنى(فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ويحشرون إلى جهنم) لـَما نجا من أهل بدر الكفار أحد بعد ذلك. ومن المعروف أن بعض الذين قاتلوا المسلمين من كفار قريش وغيرهم يوم بدر قد كتب ا لهم الاسلام، وصاروا من بعد من المسلمين الصالحين .

الموضع العاشر

تقدم (قلوبكم) على (به) في قوله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ آل عمران: ١٢٦

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الأنفال ١٠

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ	إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ	وَلِتَطۡمَئِنَّ	قُلُوبُكُم	بِهِۦ	ال عمران ١٢٦
وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ	إِلَّا بُشۡرَىٰ	وَلِتَطۡمَئِنَّ	بِهِۦ	قُلُوبُكُم	الأنفال ١٠

علل الإسكافي لتأخير(به) بعد قوله (قلوبكم) في آية ال عمران تعليلاً لفظياً يعود إلى تأخر الجار والمجرور في { وما جعله ا إلا بشرى لكم} وعطف الكلام الثاني عليه، فوجب أن يكون الثاني كالأول، وأما تقديم (به) في آية الأنفال على الفاعل (قلوبكم) مخالفاً الترتيب فإن المعتمد تحقيقه عند

٥١٨) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ١٩/٦

المخاطبين إنما هو الإمداد بالملائكة، وهو الذي أخبر ا تعالى عنه أنه لم يجعله إلا بشرى[519] ووافقه الخطيب الاسكافي وزاد جواباً آخر وهو التفنن في الكلام [520].

أمـا تعليل الكرماني فيدور حول الازدواج بين الخطابين [521] ويوافقه الأنصاري أن التقديم والتأخير حصل ليزاوج بين الخطابين هنا في (لكم) و (قلوبكم)[522].

ويلقي الغرناطي نظرة في السياق ويقول:(إن آية آل عمران لما تقدم فيها قوله تعالى{ويأتوكم من فورهم} والأخبار عن عدوهم فاختلط ذكر الطائفتين وضمهما كلام واحد فجردت البشارة لمن هدي منهما وأنها لأولياء ا المؤمنين، فجيء بضمير خطابهم متصلاً بلام الجر المقتضية الاستحقاق فقيل: (بشرى لكم) وبين أن قلوبهم هي المطمئنة بذلك فقيل: { ولتطمئن قلوبكم به}، فقدمت القلوب على المجرور أعتناء وبشارة ليمتاز أهلها ممن ليس لهم نصيب . أما آية الأنفال فلم يتقدم فيها ذكر لغير المؤمنين فلم يحتج إلى الضمير الخطابي في لكم، وأيضاً فإن آية الأنفال قد تقدم قبلها قوله تعالى { وإذ يعدكم ا إحدى الطائفتين أنها لكم } فأغنى عن عودته فيما بعده
اكتفاء بما قد حصل مما تقدم من تخصيصهم بذلك)[523].

(الآية ١٠من سورة الأنفال) نزلت في بدر، وما بدر من المؤمنين في بدرٍ من إخلاص تبارك وتعالى فكافأهم على صبرهم وإخلاصهم، فكانت نتيجة استغاثة المسلمين وطلبهم المدد من ربهم أن أرسل ا لهم البشرى، فلعل تقديم الضميرفي (به) الذي يعود على المدد البشرى ناسب مدى تعلقهم به، أما الآية ١٢٦من ال عمران فقد نزلت في أحد[524] فتأخر الضمير المجرور على قلوبكم مناسباً لكون المقام تذكيراً ببدر وتطميناً للمسلمين ومواساةً وعزاء لهم لمصابهم الذي أصابهم من مخالفتهم لأوامر الرسولﷺ . وللزمخشري كلام رائع في هذا الموطن حيث قال: (فإن قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة ؟ قلت: قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى، فلم يصبروا

---

٥١٩) ينظردرة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ٣٩١-٣٩٢

٥٢٠) ينظركشف المعاني لبدر الدين بن جماعة ١٣٢

٥٢١) ينظرالبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ٤٨-٤٩

٥٢٢) ينظرفتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٩٧

٥٢٣) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٣١٤-٣١٥

٥٢٤) أخرج ابن أبي حاتم وأبو يعلي عن المسور ابن مخرمة، قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: أخبرني عن قصتكم يوم أحد، فقال إقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا (ينظر لباب النزول للسيوطي ٤٥) ويذكر أنها تنتهي عند قوله تعالى {ولَقَد كُنتُم تَمنون الْموتَ من قَبل أَن تَلْقَوه فَقَد رأَيتُموه وأَنتُم تَنظُرون }آل عمران١٤٣ .

عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول ا ﷺ فلذاك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت، وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر ا)[525]

ويمكننا ان نقول بعد آراء السادة المفسرين الذين ذكرتُ أقوالهم إن آية الأنفال كانت تتحدث عن أول لقاء بين الإيمان والشرك وأن المعركة ستعزز موقف المسلمين وعقيدتهم، كما هومعلوم في حكمة ا عز وجل، ولذاك جاء القول فيها { وما جعله ا إلا بشرى} أي بشرى عامة دون تخصيص، وهكذا نصر ا عز وجل وإمداده للمقاتلين في سبيله، يكون عاماً في كل زمان ومكان إذا كان القوم مستحقين لنصره عز وجل بايمانهم وثبات عقيدتهم، ولذاك جاء قوله تعالى بعد ذلك { ولتطمئن به قلوبكم } فتقدم (به) على (قلوبكم)، لأنه هو المقصود الآن، أي نصر ا ، ويؤكد هذا كله قوله تعالى ذلك {... وما النصر إلا من عند اللّه إن اللّه عزيز حكيم }

الأنفال: ١٠، أي لكي تعلموا أن العدد والعدد والأموال لا تغني شيئاً إلا إذا كان النصر من عند ا استحقاقاً لأيمانكم وحسن توكلكم على ا .

أما آية آل عمران فانها ـ وعلى الرغم من أنها حديث عن معركة بدر ـ تخاطب المسلمين يوم أحد فتذكرهم بيوم بدر، وتقول إن ما حدث يوم بدر بشرى لكم اليوم بأن ا معكم، وأن نصره يمكن أن يتحقق لكم ـ كما كان يوم بدر ـ وهذه طمأنة لقلوبهم القلقة من لقاء المشركين، فجاء تقدم الجار والمجرور(به) لأن الهدف هو اطمئنان القلوب وثباتها بالاعتبار مما حدث في يوم بدر .

الموضع الحادي عشر

تقدم شبه الجملة (على هؤلاء) على (شهيداً) في قوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ النساء: ٤١

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

---

٥٢٥) الكشاف للزمخشري ٤٩٣/١

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩

وَجِئْنَا	بِكَ	عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ	شَهِيدًا	النساء ٤١
وَجِئْنَا	بِكَ	شَهِيدًا	عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ	النحل ٨٩

وهذه المقابلة هي من انفرادات الغرناطي الذي ألقى نظرة على السياق فرأى أن آية النحل تقدمها قوله تعالى{ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم } فتقدم اسم الشهيد على المشهود عليه، فيأتي {جئنا بك شهيداً على هؤلاء} متوازناً مع قوله {شهيداً عليهم}، أما آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم إشارة، بل في آية النساء داع إلى تقدم المجرور بعلى، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى{والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون با ولا باليوم الآخر} وذلك من صفة المنافقين ، ناسب هذا التقديم المجرور في قوله { وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [٥٢٦] ويعلل كذلك لتأخر (شهيداً) في النساء إلى رعاية الفاصلة فجاء بناء نظمها على فواصل روعي فيها مجيء المنون المنصوب فاستدعى ورودها على ذلك ما تقدمها من الفواصل وما تأخر عنها [٥٢٧]

وأرى أن ترتيب الكلمات في كل آية مناسب تماماً للمعنى والدلالة المقصودة في كل منهما . ففي سورة النساء تساؤلٌ لبيان الحال {فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا من كُل أمة بِشَهِيد... }النساء٤١، إذن هي صورة تدل على تجمع الشهداء، فناسب أن يكون إكمال المشهد تقديم كلمة (على هؤلاء) لأنهم تصدروا المشهد . أما في آية سورة النحل، فقد تقدم في أول الآية قوله تعالى {ويوم نَبعثُ في كُل أُمة شَهيداً علَيهم ... }النحل٨٩، فتقدمت كلمة (شهيداً)على كلمة(عليهم)، فناسب كذلك أن تتقدم كلمة(شهيداً) على كلمة(عليهم)، ليكون المعنى والدلالة متسقين تماماً مع نص الآية .

٥٢٦) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٣٤١

٥٢٧) ينظرالمصدر السابق ٣٤٣

الموضع الثاني عشر

تقدم (الأموال والأنفس) على (في سبيل ا) في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ الأنفال: ٧٢

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ التوبة: ٢٠ وجاءت كذلك في الصف: ١١

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟	بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ	فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ	الأنفال ٧٢
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟	فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ	بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ	التوبة ٢٠

يرى الاسكافي أن الآية الأولى في سورة الأنفال عقيب ما أنكره ا تعالى على من قال لهم { ... تريدون عرض الدنيا وا يريد الآخرة وا عزيز حكيم} الانفال ٦٧ وهوأصحاب النبي { لما أسروا المشركين، ولم يقتلوهم طمعاً في الفداء، فقال تعالى { ولولا كتاب من ا سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم} الأنفال ٦٨ أي فيما أخذتم من هؤلاء الأسرى من الفداء، ثم قال تعالى لما غفر لهم ما كان منهم من ترك القتل إلى الأسرى { فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً..} الأنفال ٦٩ ، فعقب ذلك بهذه الآية التي مدح فيها من أنفق أمواله في سبيل ا ، لا من يجاهد طلباً للنفع العاجل .. ليعلموا ان ذلك يجب أن يكون أهم لهم، وأولى بتقديمه عندهم صرفاً لهم عما حرصوا عليه من فائدة الفداء . ولم تكن كذلك الآية التي في سورة براءة، لأنها بعدما يوجب تقديم قوله { في سبيل ا } على ذكر المال، لأنه قال تعالى { أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم ا الذين جاهدوا منكم} التوبة ١٦ ثم قال في إبطال ما أتى به المشركون من عمارة المسجد الحرام، وسقاية الحاج مع المقام على الكفر {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن با واليوم الآخر وجاهد في سبيل ا ..} ١٩ التوبة فكان المندوب إليه في هذه الآية بعد الإيمان با والجهاد في سبيل ا ، فقال بعده مادحاً لمن تلقى بالطاعة

أمره { الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل ا } ثم ذكر{ بأموالهم وأنفسهم } لما قدم ذكر ما أقتضى الموضع تقديمه، وأن يجعل أهم إليهم من غيره [٥٢٨] جاء توجيهه غاية في الإبداع معتمداً على السياق ليدرك أسرار التقديم والتأخير في الايات المتشابهة لفظاً وقد وافقه مختصرا الكرماني وتبعهم ابن زبير ونقل عن الكرماني ابن جماعة والأنصاري [٥٢٩]

ويقول البقاعي: لربما يناسب تقدم الأموال والأنفس أن المال كان قد كثر، ومواضع الجهاد قد بعدت فناسب الاهتمام بالسبيل فلذا قدم { في سبيل ا }[٥٣٠] وجمع المال من عمل الانسان وبناء على توجيهنا لآيات سبقت في تقدم (بما تعملون) على (بصير) ومرده إلى تقدم عمل الإنسان على ذكر ا فلعل هذا التقديم يشابه ذاك وا أعلم .

الموضع الثالث عشر

تقدم (بالقسط) على( ) في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النساء ١٣٥

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة ٨

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ	كُونُواْ قَوَّٰمِينَ	بِٱلْقِسْطِ	شُهَدَآءَ لِلَّهِ	النساء ١٣٥
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ	كُونُواْ قَوَّٰمِينَ	لِلَّهِ	شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ	المائدة ٨

٥٢٨) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ٦٩٦-٦٩٨

٥٢٩) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ٨٦-٨٧، ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٥٨١-٥٨٢، كشف المعاني لبدر الدين بن جماعة ١٩٢ – ١٩٣، فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٢٢٣ - ٢٢٤

٥٣٠) نظم الدرر للبقاعي ٢٩٠/٣

يرى الاسكافي أن الآية الأولى في الشهادة أمر ا   عز وجل من عنده شهادة أن يقوم بالحق فيها، ويشهد   تعالى على كل من عنده حق لغيره يمنعه إياه حتى يصل إليه، فقال: قوموا (بالقسط) أي بالعدل في حالة شهادتكم   على كل ظالم حتى يؤخذ الحق منه، فقدم (بالقسط) لأنه من تمام(قوامين) إذ فعلُه يتعدى إلى مفعوله بالباء .

وأما (شهداء) فإنها إذا كانت حالاً من الضمير في (قوامين) فإن حقها أن تجيء بعد تمام (قوامين) وكذلك إن كانت خبراً ثانياً، وإن كانت صفة لـ(قوامين) فإن حقها أن تجي بعدها .

وأما قوله( ) بعد(شهداء) فلتعلقه بالشهادة، كأنه قال: كونوا شهداء   ، لا للهو والميل إلى ذوي القربى، والدليل على ذلك أنه قال{ولو على أنفسكم} وشهادة الإنسان على نفسه أن يقر بالحق لخصمه، أي أفعلوا ذلك   وإن كان عليكم أو على الوالدين وذوي القربى منكم.

وأما الآية التي في سورة المائدة فإن فحواها يدل على أنها للولاة فقال: {كونوا قوامين   } لا لنفع، ويكون { بالقسط } متعلقاً بـ {قوامين} أي :كونوا قوامين لأجل طاعة ا   بالعدل والحكم به في حال كونكم { شهداء } أي: وسائط بين الخالق والخلق، أو بين النبي وأمته كما قال تعالى : { وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً } البقرة ١٤٣ وقيل في هذه الآية: أنها أيضاً في الشهادة في الحقوق، وقيل:في الشهادة لأمر ا   تعالى بأنه حق وقيل معناه: قوموا في كل مايلزمكم القيام فيه من الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر وتجنبه[٥٣١] ووافقه الكرماني واستدل بأن الخطاب للولاة قوله تعالى { ولا يجرمنكم شنآن قوم} ٨ الآية [٥٣٢] وتابعه الأنصاري ونقل عنه [٥٣٣]

ويأتي توجيه الغرناطي وابن جماعة في نطاق السياق فرأوا في آية النساء ما يتصل به من الأمر بالعدل والقسط قال تعالى {من يعمل سوءاً يجز به...} النساء ١٢٣، وقال بعد { ويستفتونك في النساء} ثم قال {وإن تقوموا لليتامى بالقسط} تقدمها نشوز الرجال وأعراضهم عن النساء والصلح على المال، وإصلاح حال الزوجين، والإحسان إليهن، وقوله تعالى : { ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء} فوجدا تقدم القسط مناسباً لما ذكر، وأما آية المائدة فثبت قبلها الأمر بالطهارة ثم تذكيره سبحانه بتذكير نعمه والوقوف ما عهد به إلى عباده والأمر بتقواه والوفاء بالعهود والمواثيق لقوله

---

٥٣١) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ٤١٩ - ٤٢٤

٥٣٢) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ٥٤

٥٣٣) ينظر فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ١٢٥ - ١٢٦

تعالى في أول السورة { وأوفوا بالعقود} ولما تضمنته الآيات قبلها من أمر ونهي، فناسب تقديم (ا)
أي: كونوا قوامين بما أمرتم أو نهيتم ، واذا شهدتم فاشهدوا بالعدل لا بالهوى [٥٣٤] وإلى هذا ذهب جملة من المفسرين [٥٣٥]

الموضع الرابع عشر

تقدم (يؤمنون) على (بآياتنا) في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤) ﴾ الأنعام: ٥٤

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى :

﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٦

ٱلَّذِينَ	يُؤْمِنُونَ	بِـَٔايَـٰتِنَا	الانعام ٥٤
وَٱلَّذِينَ هُم	بِـَٔايَـٰتِنَا	يُؤْمِنُونَ	الاعراف ١٥٦

جاء التركيب (يؤمنون بآياتنا) على الأصل وجاء (بآياتنا يؤمنون) بتقديم الجار والمجرور على الفعل المتعلق به لمراعاة الفاصلة (النون) التي تنتهي بها ١٩٩ آية من أصل آيات سورة الأعراف التي تبلغ مئتين وست، ورأيت وبعد استقصاء آيات مماثلة أن المواطن التي يتأخر فيها الفعل على متعلقه تكون في آخر الآي ليس لمجرد رعاية الفاصلة بل ولأن أغلبها تبدأ بضمير،

---

٥٣٤) ينظر ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٣٥٨ ، كشف المعاني لبدر الدين بن جماعة ١٤٢-١٤٣

٥٣٥) ينظر الفخر الرازي مج٢٤١/٤، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٥٥/٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣،٢٦٤/٥، البحر المحيط لابي حيان٤/ ٩٤ .

فأرى وا   أعلم أن الآية ٥٤ الأنعام تتحدث عن حالة تجدد دائماً، ولذلك استعملت الجملة الفعلية التي تدل على التجدد والحدوث المناسب لحالة الغرض والأخبار اللتين تؤديهما الآية .

أمـا الآية ١٥٦ الأعراف فإنها ذكرت الجملة الاسمية{ ورحمتي وسعت كل شيء} لتدل على ثبوت رحمته واتصافه بهذه الصفة للذين ذكرتهم الآية (يتقون، ويؤتون، الزكاة) وبعد ذلك ذكرت الجملة الاسمية { والذين هم بآياتنا يؤمنون } لتدل على ثبوت إيمانهم في المستقبل واستعملت فيها اسلوب الحصر بذكر ضمير الفصل(هم) وتقديم (بآياتنا) على متعلقها (يؤمنون) .

إذن فتقديم (بآياتنا) وذكر ضمير الفصل (هم) هنا في هذه الآية ضروريان حتى تشمل هذا الصنف من المؤمنين الرحمة الواسعة، فسبحان ا   الذي أنزل القرآن بهذه الدقة المعجزة .

الموضع الخامس عشر

تقدم شبه الجملة (بعهد ا) على (أوفوا) في قوله تعالى :

﴿... وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ الأنعام: ١٥٢

وعلى خلاف ذلك في وقوله تعالى :

﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٩١﴾ النحل: ٩١

وقوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ٢٠﴾ الرعد: ٢٠

بِعَهْدِ ٱللَّهِ	أَوْفُواْ	الانعام ١٥٢
وَأَوْفُواْ	بِعَهْدِ ٱللَّهِ	النحل ٩١

جاءت الآية الأولى تأمر المسلمين بالوفاء بالعهود ، وكان العرب يتمادحون به . ومن العهود المقررة بينهم : حلف الفضول، وحلف المطيبين، وكلاهما كان في الجاهلية على نفي الظّلم والجور عن القاطنين بمكّة ، وذلك تحقيق لعهد ا   لإبراهيم عليه السلام أن يجعل مكّة بلداً آمناً ومن دخله كان آمناً، وقد اعتدى المشركون على ضعفاء المؤمنين وظلموهم مثل عمار، وبلال، وعامر بن

فهيرة. وتقديم المجرور على عامله للاهتمام بأمر العهد وصرف ذهن السامع عنده ، ليتقرر في ذهنه ما يرد بعده من الأمر بالوفاء ، أي إن كنتم تَرون الوفاء بالعهد مدحة فعهد ا أولى بالوفاء وأنتم قد اخترتموه [٥٣٦] وفى هذا إشعار بأن هناك عهوداً غير جديرة بأن تنسب إلى ا ، وهى العهود القائمة على الظلم أو الباطل، أوالفساد، فمثل هذه العهود غير جديرة بالاحترام، ويجب العمل على التخاص منها[٥٣٧].

ويعلل الدكتور فاضل السامرائي لتقديم الجاروالمجرور(بعهد ا) على الفعل في آية الأنعام إلى أن العهد هنا عام مطلق يشمل جميع العهود ما عهده ا إلى عباده وما تعاهد عليه الخلق فيما بينهم . ولا شك أن عهد ا بالمعنى العام أعظم من عهود العباد فيما بينهم فقدم المجرور في الأنعام للاهتمام والعناية. ذلك أنه أضاف العهد إلى ا فازداد تفخيماً وكان ذلك أدعى إلى تقديمه، أما آية النحل فقد خصص عهد ا فهو العهد الذي يعقده الشخص باختياره بدليل قوله تعالى { إذا عاهدتم } فناسب ذلك تقدم الفعل[٥٣٨].

أرى أن الآية ١٤٥ الأنعام، تنهى عن بعض الأعمال وتأمر ببعضها، فالنهي والأمر يكونان بأحسن صورة، فبالنسبة للجملة التي نحن بصددها جملة{ وبعهد ا أوفوا} فتقديم (بعهد ا) على (أوفوا) دلالة على عدم الإيفاء بغير عهده .

أما الآية(٩٠) النحل، فقد استعملت الاسلوب الاعتيادي، لأن أسلوب الحصر لا يلائم الإبتداء، ومن جهة أخرى حتى تنسجم مع ما بعدها أمراً ونهياً { وأوفوا بعهد ا إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها } وا أعلم من وراء القصد.

---

٥٣٦) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ١٧٠/٨

٥٣٧) تفسير الوسيط لسيد طنطاوي، ط ٣ ، ١٩٨٧م ، ١٥٧١

٥٣٨) ينظر التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي ٢٨٧

الموضع السادس عشر

تقدم (الذين كفروا) على (من قومه) في قوله تعالى:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٤ وفي مواضع أخرى[٥٣٩]

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٣

فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ	ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ	مِن قَوْمِهِۦ	المؤمنون٢٤
وَقَالَ ٱلْمَلَأُ	مِن قَوْمِهِ	ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ	المؤمنون ٣٣

يقول الاسكافي:(لما أنقطعت صفة الملأ في الآية الأولى إلى المحكي من قولهم قرن الوصف بـ (الذين) إلى الموصوف، ثم جيء بالجار والمجرور فكانا منتهى بيان فاعل(قال) ولم تكن كذلك القصة في الآية الأخيرة، لأنه عددت فيها أفعال عطفت على الفعل الذي هو صلة (الذين) فقدم الجار والمجرور لئلا يحال بين الصلة وماعطف عليها، فقال ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾ المؤمنون ٣٣، فكان كل ذلك ما أتبع قوله (كفروا) ولو قال: **وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذبوا بلقاء الآخرة** لم يكن على النظم المرتضى فيما يستفصح من الكلام وإن كان جائزاً، فلذلك قدم الجار والمجرورفي الأخيرة وأخر في الأولى)[٥٤٠]. أمـا الكرماني فيقول :(قدم (من قومه) في الآية الأخرى، وفي الأولى أخر، لأن صلة (الذين) في الأولى اقتصرت على الفعل وضمير الفاعل، ثم ذكر بعده الجار والمجرور، ثم ذكر المفعول وهو المقول. وليس كذلك في الأخرى، فإن صلة الموصول طالت بذكر الفاعل، والمفعول والعطف عليه مرة بعد

٥٣٩) الأعراف: ٦٦ ، ٩٠، هود٢٧

٥٤٠) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ٩٣٥ – ٩٣٦

أخرى، فقدم الجار والمجرور، ولأن تأخيره ملتبس، وتوسطه ركيك، فخص بالتقديم) [٥٤١]. وإلى ذلك ذهب الغرناطي وابن جماعة والأنصاري [٥٤٢]

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن الآية الأولى في قوم نوح عليه السلام، وأما الآية الأخرى ففي قوم آخرين أشد كفراً؛ يدل على ذلك تتابع الصفات الذميمة فيهم. فقد وصفهم بأنهم كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفهم في الحياة الدنيا ولم يصف قوم نوح بذلك كله . ثم أنه ذكر في قصة نوح ناجين من الغرق فقال ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٧ ولم يذكر ناجين في القصة الأخرى وإنما قال ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٠ – ٤١ فدل على أن هؤلاء أشد كفراً فناسب أن يقول فيها {وقال الملأ من قومه الذين كفروا} بوصف القوم أنهم كفروا بخلاف القصة الأولى [٥٤٣]

والآية ٢٤ المؤمنون التي تتحدث عن أشراف ووجهاء قوم نوح (فقال الملأ)، ثم ياتي (الذين) وصف للملأ، (كفروا) أي الكافرين (من قومه) قوم نوح، فالآية تتحدث عن الأشراف الذين كفروا من قوم نوح، وكذلك الأمر بالنسبة للآيات الأعراف ٦٦ ، ٩٠، هود٢٧ .

أمـا الآية(٣٣) المؤمنون، فجاءت بأسلوب مغاير لأسلوب الآية (٢٤) وغيرها من الآيات في هذا الموضوع، فتقول الآية (وقال الملأ) أي الأشراف (من قومه) أي حال للملأ (الذين كفروا) حال للقوم،أي قوم الرسول الذي أرسل إليهم في الآية(٣٢) المؤمنون .

وعلى هذا فانه يمكن القول: إن الآية الأولى، وهي رقم ٢٤، من سورة(المؤمنون) تصف بعض أفراد الملأ بأنهم كفروا، وهذا يعني أن بعضهم أيضاً لم يكفروا، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك عن سيدنا نوح، حين قال { وما آمن معه إلا قليل} هود٤٠ أما الآية الأخرى، رقم ٣٣، من السورة نفسها فانها تدل على أن كل هؤلاء القوم قد كفروا مثل ما أشار إليه تعليق الدكتور فاضل السامرائي .

---

٥٤١) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ١٣٤ - ١٣٥

٥٤٢) ينظر ملاك التأويل للغرناطي ٨٧٥ – ٨٧٧، كشف المعاني لابن جماعة ٢٦٦- ٢٦٧ ، فتح الرحمن للأنصاري ٣٨٩ .

٥٤٣) ينظر من اسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١٣٠

فرغم اختلاف معنى الآيتين(٢٤) و(٣٣) المؤمنون فإن تقديم(من قومه) على (الذين كفروا) سببه الاهتمام به وأنه مدار البحث كما تدل على ذلك عجز الآية ﴿... ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ... ﴾ المؤمنون: ٣٣ .

الموضع السابع عشر :

تقدم (بآياتنا) على (الى فرعون وملئه) في قوله تعالى

﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

الأعراف: ١٠٣ وبنفس القصة وبنفس الترتيب وردت في مواضع أخرى [٥٤٤]

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ﴾ يونس: ٧٥

ثُمَّ بَعَثۡنَا	مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ	بِـَٔايَٰتِنَآ	إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ	الأعراف ١٠٣
ثُمَّ بَعَثۡنَا	مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ	إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ	بِـَٔايَٰتِنَا	يونس ٧٥

قصة سيدنا موسى عليه السلام واضحة وقد ذكرت في مواضع كثيرة في القرآن، نجد الآية ١٠٣ الأعراف تقدمت فيها (بآياتنا) على (فرعون وملئه) وآيات أخرى، ولكن اللافت للنظر أن الآية ٧٥ يونس تقدمت فيها (فرعون وملئه) على (بآياتنا) ؟!

لم أجد فرقاً بين هذا التقديم وذلك التأخير في تأدية المعنى المطلوب، ولكن لا بد أن هناك سراً وداعياً لهذا التغيير، وبعد أن أنعمت النظر في هذه الآية (٧٥ يونس) وإلى ما يسبقها(٧٤ يونس) هداني ا إلى رابطة عجيبة تقتضي هذا التعبير ولكي نتلمسه بوضوح ندرج الآيتين في الجدول التالي:

٥٤٤) الزخرف ٤٦، هود ٩٦،٩٧، المؤمنون ٤٥،٤٦ ، القصص ٣٢

يونس ٧٤	الرابط	يونس ٧٥
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ	بعثة الانبياء	ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم
رُسُلًا	وهم هنا موسى وهارون	مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ
إِلَىٰ قَوْمِهِمْ	وقومهم هنا هم فرعون وملائه	إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ	الحجج الدالة على صدقهم وهي الآيات المعجزة	بِـَٔايَٰتِنَا
فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۚ	لم يؤمنوا بما كذبوا نتيجة الاستكبار	فَٱسْتَكْبَرُواْ
كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ	يطبع ا على قلوب المجرمين	وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ

فحددت الآية ٧٤ يونس، مسار وترتيب الآية ٧٥ فجاءت على ما هي عليه من تقديم (فرعون وملئه) على (بآياتنا) ، فبين الآيتين ست أفكار ذُكرت متسلسلة كما هو مبين في الجدول أعلاه، ثم إن هذا التطابق العجيب بين هاتين الآيتين يثبت بأن هذا القرآن ليس من تأليف البشر وإنما هو كلام ا الذي أنزله على عبده ﷺ فلا نملك أمام هذا الإعجاز القرآني إلا أن نقول :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ ﴾ الكهف ١.

الموضع الثامن عشر :

تقدم (على ا) على (توكلت) في قوله تعالى :

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ يونس: ٧١

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ هود: ٥٦

فَعَلَى ٱللَّهِ	تَوَكَّلْتُ	يونس ٧١
تَوَكَّلْتُ	عَلَى ٱللَّهِ	هود ٥٦

المتكلم في الآية ٧١ من يونس هوسيدنا نوح { وأتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ..} فقدم في خطابه لفظ الجلالة مجروراً (على ا) على متعلقها (توكلت) بينما جاء على الأصل في آية ٥٦ هود والتي تتحدث عن النبي هود عليه السلام { وإلى عاد أخاهم هودا قال...} وقد جاءت قصته في هذه السورة مباشرة عقب قصة سيدنا نوح التي تبدأ من الآية { ولقد أرسلنا نوحاً...}٢٥ هود وتنتهي في { ...واهبط بسلام منا بركات عليك...} ٤٨ هود .

يقول ابن عاشور أن جملة : (فعلى ا توكلت) (جواب شرط) لـ (إن كان كبر عليكم مقامي) باعتبار أن ذلك الشرط تضمن أن إنكاره عليهم قد بلغ من نفوسهم ما لا طاقة لهم بحمله، وأنهم متهيئون لمدافعته فأنبأهم أنه يستطيع الدفاع منهم، وهم في كثرة ومنعة وهو في قلة وضعف، لا يصده عن استمرار الدعوة، وأنه وإن كان بينهم وحيداً فما كان ذلك ليوهنه لأنه متوكل على ا . ولأجل هذا قدم المجرور على عامله في قوله : (فعلى ا توكلت) أي لا على غيره [٥٤٥]. قبل الدخول في محور الآيتين لا بد من توضيح نقطة مهمة وهي أن سيدنا نوحاً لقى من قومه ما لقى من الإعراض فلم ييأس بل استمر في دعوته لهم ليلاً ونهاراً وعلى مدى ألف سنة إلا خمسين عاماً بينما لم يكن الأمر كذلك مع هود عليه السلام. كما أن منصب سيدنا نوح ـ وهو من أولي العزم ـ في النبوة أعلى من منصب هود عليه السلام، فلربما وا أعلم أن يناسب التقديم في خطابه كناية عن علو همته مع ما يتعرض له ومجيء خطاب سيدنا هود على الأصل كونه لم يبلغ مرتبة سيدنا نوحاً ولم يتعرض لما تعرض له.

وقد جاءت الآية ٧١ يونس تتحدث عن تحدي النبي نوح لقومه، وقال لهم أفعلوا ماشئتم وأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني، وأنا غير خائف منكم لأنني(على ا توكلت) أي عليه وحده وليس على غيره، فاسلوب الحصر هذا جاء في مقابل تهديد قومه له بالرجم كما جاء في آيات أخرى .

---

٥٤٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور التونسي، ص ٢٣٤- ٢٣٨

أما الآية ٥٦ هود، فالموقف مختلف تماماً لأن قوم هود لم يهددوه بالقتل وإنما قالوا له ﴿

قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ ﴾ هود: ٥٣

فاكتفوا بإصرارهم وتوكيدهم لعدم ترك آلهتهم وعدم الإيمان بهود، فلذلك جاءت على الأصل مستعملة الأسلوب الاعتيادي ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ ... ﴾ .

الموضع التاسع عشر :

تقدم (الجار والمجرور(منه)) على (رحمة) في قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٖ ۝٦٣ ﴾ هود: ٦٣

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةٗ مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝٢٨ ﴾ هود: ٢٨

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي	مِنْهُ	رَحْمَةٗ	هود ٦٣
قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي	رَحْمَةٗ	مِّنْ عِندِهِۦ	هود ٢٨

يقول الاسكافي أن تقديم (رحمة) على الجار والمجرور وتأخره عنه جاء ليوافق ما قبله، ففي (هود ٢٨) وهي عن سيدنا نوح لم يفصل بين المفعول به (رحمة) وفعله أي فاصل، وقاس ذلك على ما سبقه من الأفعال المتقدمة (ترى، ونرى، ونظن) وكلها تتعدى إلى مفعولين ولم يفصل بينها وبين مفاعيلها أي جارٍ ومجرور بينما في الآية ٦٣ من السورة نفسها وهي عن قصة سيدنا صالح التي تقدم فيها (منه) على(رحمة) ليفصل بينها وبين فعلها (آتاني) ويقيس ذلك على ما جاء قبله ﴿ قَالُواْ

يَصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ ... ﴾ هود: ٦٢ فخبر كان (مرجوا) هو كالمفعول وقد فُصلَ بينه وبين اسم كان (الضمير المتصل التاء) بالجار والمجرور (فينا) فحجزه عنه وحال دون وصلهما فناسب ذلك كل ما جاء عليه [٥٤٦] ويتبعه في ذلك الكرماني ناقلاً عنه نص كلامه وتابعه كذلك الامام الأنصاري [٥٤٧].

بينما للغرناطي رأي آخر وهو أن قوم صالح، عليه السلام، بالغوا في إساءة الجواب حين قالوا: {قد كنت فينا مرجواً قبل هذا}، فلما بالغوا في إساءة الجواب أجابهم، عليه السلام، رداً لمقالهم الشنيع بقوله {أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ}.. مقيماً الحجة عليهم .. أي كيف ترون إن كنت على واضحة وعلى يقين من ربي وآتاني منه رحمة فعصيته بموافقتكم، فإن فعلت ذلك فمن ينصرني ويمنعني من عذابه، فخاطبهم عليه السلام بطريقة فرض هذا:إن كان كذا، وهو عليه السلام العليم بحاله الجليل، وعلى بينة من ربه، وأكد بتقدم المجرور في قوله:{وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ } لما يحرز تقديمه من التأكيد ويعطيه بمفهومه من إن الرحمة منه سبحانه لا يشرك فيها غيره، وهومخصوص لا يحصل مع تأخيره.

ولما لم يكن في مراجعة قوم نوح مثل هذا في شناعة الجواب، لأن أقصى المفهوم من قولهم { وما نراك إلا بشراً مثلنا} ..فقال: { وَآتَانِي رَحْمَةً من عنده} فأتى بالمجرور مؤخراً في محله على ما يجب، حيث لا يقصد من إحراز المفهوم ما قصده في الآية الأخرى، فورد كل على ما يلائم، وا أعلم [٥٤٨].

يقول ابن عاشور التونسي : وإنّما يتّجه هنا أن يسأل عن موجب تقديم (منه) على (رحمة) هنا ، وتأخير (من عنده) (هود ٢٨) عن (رحمة) في قصة نوح السابقة ؟

فالجواب لأن ذلك مع ما فيه من التّفنن بعدم التزام طريقة واحدة في إعادة الكلام المتماثل ، هو أيضاً أسعد بالبيان في وضوح الدلالة ودفع اللبس، فلما كان مجرور (من) الابتدائية ظرفاً وهو (عند) كان صريحاً في وصف الرحمة بصفة تدلّ على الاعتناء الرباني بها وبمن أوتيها. ولما كان

---

٥٤٦) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ٧٥٦- ٧٥٨

٥٤٧) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ٩٧ ، فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٢٦٢ - ٢٦٣

٥٤٨) ينظر ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٦٥٢-٦٥٤

المجرور هنا ضمير الجلالة كان الأحسن أن يقع عقب فعل (آتاني) ليكون تقييد الإيتاء بأنّه من ا مشيراً إلى إيتاء خاص ذي عناية بالمؤتى [٥٤٩].

وللدكتور فاضل السامرائي توجيه آخر يقول فيه : فقد قدم الرحمة على قوله (من عنده) وذلك لأن الكلام عليها فقد قال { فعميت عليكم } يعني الرحمة وقال (أنلزمكموها) (وأنتم لها كارهون) فالكلام كما ترى على الرحمة فقدمها . في حين قال ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ هود: ٦٣فقدم ضمير المؤتى المجرور بالحرف فقال (وآتاني منه رحمة) وذلك لأن الكلام عليه لا على الرحمة فقد قال (من ينصرني من ا إن عصيته)[٥٥٠]

وأجد توجيه الاسكافي جديراً بالاشادة إليه والذي كان يبنيه غالباً على مراعاة الجانب اللفظي والمناسبة اللفظية أكثر من المعنوية كما مر بنا في توجيهات سابقة، وكذلك توجيه ابن عاشور وكلها اسرار يمكن أن يعلل بها التقديم والتأخير الحاصل، وأراني أميل إلى رأي الدكتور فاضل السامرائي الذي يراعي الجانبين المعنوي واللفظي .

الموضع العشرون :

تقدم (رسلاً) على (من قبلك) في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ الرعد: ٣٨

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ غافر: ٧٨

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

---

٥٤٩) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ١٢/١١١-١١٢

٥٥٠) من أسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١٢٧

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ }

الروم ٤٧

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا	رُسُلًا	مِّن قَبْلِكَ	الرعد ٣٨
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا	مِن قَبْلِكَ	رُسُلًا	الروم ٤٧

وتوجيه هذه المسألة من إنفرادات ابن الزبير حيث يعلل لتقدم ذكر الرسول ظاهراً كان أومضمراً حين يرد اسمه مع غيره من الرسل عليهم السلام كقوله تعالى { إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده } النساء ١٦٣، فيرى تقديم المجرور في قوله: { من قبلك رسلاً إلى قومهم} في سورة الروم لمكان ضميره ﷺ، أما آية الرعد فموازن لها ومناسب ما تقدمها من قوله تعالى { ولقد أستهزئ برسل من قبلك} فتأخر الضمير في الآيتين للموازنة والتقابل، والثانية منهما محمولة على الأولى في رعي ما ذكر[551].

فأرى أن تقدم (رسلاً) في الآية ٣٨ الرعد على (من قبلك) مرده إلى أن مدار البحث في تلك السورة هو الرسل كما هو معلوم، ومن جهة أخرى لأن الرسل كانوا كلهم قبل نبينا ﷺ، ولذلك قدم (رسلا)، وكذلك بالنسبة للآية (٧٨) غافر ، أمـا الآية ٤٧ الروم فقد تقدمت (من قبلك) لأن القصد منها العصور التي قبل رسالة سيدنا محمد ﷺ والتي تحدثت عنه السورة ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ ﴾ الروم: ١ - ٤ ويمتد الحديث عن (من قبل) ليصل إلى قوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ۝٤٢ ﴾ الروم: ٤٢ وهي تسبق شاهدنا وكذلك الآية التي تليها﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ۝٤٩ ﴾ الروم: ٤٩ فناسب السياق ذلك وا أعلم .

551) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٧١٠ - ٧١١

الموضع الواحد والعشرون :

تقدم (مواخر) على (فيه) في قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ النحل: ١٤

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فاطر: ١٢

وَتَرَى ٱلْفُلْكَ	مَوَاخِرَ	فِيهِ	وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ	وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	النحل ١٤
وَتَرَى ٱلْفُلْكَ	فِيهِ	مَوَاخِرَ	لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ	وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	فاطر ١٢

يقول الاسكافي : وأما تقديم (مواخر)[٥٥٢] في هذا المكان على قوله (فيه) فلقوة حكم الفعل الذي أعتد ا تعالى بذكره على عباده في هذه الآية ، لأنها مصدرة بقوله {وهو الذي سخر البحر} وإذا قوي حكم الفعل في مكان وجب أن يرتب ما يتعدى إليه على ما يقتضيه في الأصل، وهو أن يقدم في الفعل المتعدي إلى مفعولين: مفعوله الأول الذي أصله أن يكون معرفة، ثم مفعوله الثاني الذي أصله أن يكون نكرة، ثم الظرف الذي هو كالفضلة فجاء على هذا الأصل . وأما تقديم (فيه) في الآية الأخرى على (مواخر) فلأن الفعل الذي قدم فيها، وعطف هذا عليه بولغ في تقديم الجار والمجرور فيه مبالغة لا مرمى وراءها، ولا زيادة عليها، ألا تراهما قدما على الفعل نفسه، وهو { ومن كل تأكلون لحماً طرياً } فلما عرض قوله { وترى الفلك} بعد فعل هذه صفته، وقد حصل فيه مفعولان، وجار ومجرور قوي تقديم الجاروالمجرور(فيه) على أحد مفعوليه ليعلم أنه من جملة كلام

٥٥٢) يقال مخرت السفينة مخرا ومخورا إذا شقت الماء بجؤجئها مستقبلة له، وسفينة ماخرة والجمع المواخر، (مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٤٦٤) .

بني الفعل فيه على تقديم الجار والمجرور عليه(٥٥٣) ووافقه الكرماني في توجيهه وتبعه الأنصاري (٥٥٤).

ويوافقهم الغرناطي موضحاً أن آية النحل جاءت على الأصل وتأخر المجرور فيها مرده إلى أنها مبنية أساساً على تأخر المجرورات على ما تعلقت به فناسب ذلك {مواخر فيه} وعلى خلاف ذلك في غافر الذي بني على العكس من تقدم المجرورات على متعلقاتها (٥٥٥).

ويوافقهم ابن جماعة قائلاً: أن آية النحل سيقت لتعداد النعم على الخلق بدليل تقديم قوله تعالى { وهو الذي سخر البحر} وآية فاطر: سيقت لبيان القدرة والحكمة بدليل قوله تعالى { وا خلقكم من تراب} الآية، ويرى في تقديم (فيه) على (مواخر) لأن شق الفلك الماء لجريانه فيه آية من آيات ا تعالى فالتقدم فيه أنسب للفلك(٥٥٦) .

وللدكتور فاضل السامرائي توجيه جميل يقول فيه: لما كان الكلام على البحر وأنواعه وما أودع ا فيها من نعم قدم ضمير البحر على المخر فقال { وترى الفلك فيه مواخر} فاطر١٢،ولما كان الكلام على وسائط النقل من الأنعام التي تحمل الأثقال، وذكر الخيل والبغال والحمير لنركبها وزينة، ثم ذكرالفلك وهي واسطة نقل فقدم المواخر لأنها من صفات الفلك { وترى الفلك مواخر فيه} النحل١٤ (٥٥٧)

الموضع الثاني والعشرون

تقدم شبه الجملة (فيها) على الاسم الموصول (ما) في قوله تعالى:

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ النحل: ٣١

﴿ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾ ﴾ الفرقان: ١٦

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

---

٥٥٣) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ٨٢٨ - ٨٣٤

٥٥٤) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ١١٠- ١١١ ، فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٣٠٢

٥٥٥) ينظر ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٧٣٤ - ٧٣٥

٥٥٦) كشف المعاني لبدر الدين بن جماعة ٢٢٦

٥٥٧) التعبير القرآني، فاضل السامرائي ٦٩ – ٧٠، وينظر دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، محمود المسيري ٤٥٦

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ ق: ٣١ - ٣٥

لَهُمْ	فِيهَا	مَا	يَشَآءُونَ	النحل ٣١- الفرقان ١٦
لَهُم	مَّا	يَشَآءُونَ	فِيهَا	ق ٣٥

يعلل لهذا التقديم الدكتور فاضل السامرائي قائلاً: إنه لم يذكر في آيتي النحل والفرقان من صفات أهل الجنة إلا انهم متقون، فقال في النحل ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ النحل: ٣٠ -٣١ ، وقال تعالى في الفرقان ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ الفرقان: ١٥ – ١٦ في حين توسع في ذكر صفات أهل الجنة وتعدادها في (ق) فقال تعالى ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ ق: ٣١ – ٣٥ فذكر من صفة من هو من أهل الجنة في (ق) :

١- أنه متق { وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد }.

٢- أواب .

٣- حفيظ .

٤- خشي الرحمن بالغيب .

٥- ذو قلب منيب .

فلما أفاض في ذكر صفات أهل الجنة قدم مشيئتهم على ضمير الجنة. ولما لم يفض في صفاتهم قدم ما يتعلق بالجنة وأخر مشيئتهم لأنهم دون المذكورين في(ق) ولا يناسب وضع أحدهما مكان الآخر[٥٥٨].

وقد يكون لتأخر(ما يشاؤون) عن (فيها) في النحل توجيه آخر استقيته من محاضرة للدكتور عودة خليل أبوعودة في مادة جماليات النص القرآني مفاده أن الكلام للمتقين يرغبونهم في الجنة وهم في الدنيا ولم يدخلوها بعد بدليل قوله تعالى في الآية التي تسبق شاهدنا ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ النحل: ٣٠ وعد بالخير لهم في الدنيا والحسنة في الآخرة التي لم تأت بعد، وكذلك في الفرقان ﴿ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴾الفرقان:١٥ بينما في آية (ق) فالكلام بعد دخول الجنة يدل عليه قوله تعالى﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ ﴾(ق) فناسب ذلك تقدم (فيها) على (ما) وعلى سبيل المثال لكي أجعل الصورة أكثر وضوحاً أنه حين يريد أحدنا أن يستقدم ضيفاً عزيزاً عليه في زيارة لبلاده ويرغبه في المجيء فإنه يقول له إن في بلادي أماكن سياحية كذا وفيها مواقع أثرية كذا وفيها كذا وكذا، فكذلك الكلام في النحل والفرقان يرغبنا (الودود) في الجنة بوصفها حثاً لنا في الإقبال عليها، أما في سورة (ق) فالحديث بعد دخول الجنة بمعنى أنكم وقد دخلتم الجنة فلكم كل (ما تشاؤون) (فيها) فتقدم (ما يشاؤون) على (فيها) وكذا على سبيل المثال حين جاءك الضيف العزيز فتقول بما أنك وصلت فكل ما أخبرتكم عنه موجود هنا ولكم الحرية في زيارتها كما تشاؤون، فتبين تقديم (فيها) في النحل والفرقان قبل دخول الجنة لتبين الأهمية وا أعلم فتعطي الآية دلالة رائعة من روائع القرآن وتكشف سراً جديداً من أسراره.

---

٥٥٨) من اسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١٣١- ١٣٢

الموضع الثالث والعشرون

تقدم (للناس) على (في هذا القرآن) في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾ ﴾ الإسراء: ٨٩

وعلى خلاف ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ الكهف: ٥٤

وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا	لِلنَّاسِ	فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ	مِن كُلِّ مَثَلٖ	الاسراء ٨٩
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا	فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ	لِلنَّاسِ	مِن كُلِّ مَثَلٖۚ	الكهف ٥٤

يلفت الاسكافي أنظارنا بتأملاته العجيبة في سياق الآيات حيث يوسع نطاقها فيرجع تقدم (للناس) في الاسراء ٨٩ إلى ما يسبقها من آيات عن أمثال ضربت، نحو { ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً} الاسراء٧٢، وبعد تخويف النبي ﷺ، وتحذيره كتحذير الناس كلهم، إذ يقول تعالى { وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره...} إلى قوله تعالى { إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً } الاسراء٧٣-٧٥ فقال بعده، وقدم الناس { ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل} تنبيهاً للناس، وليهتموا بتفهمه، ويعنوا بتدبره، ويقفوا عند أوامره، وينتهوا عن زواجره، فكان موضع الآية يقتضي تقديم (الناس) على عادة العرب في تقديم ما عنايتهم به أتم . أما الآية الثانية فإنها قد وقعت في السورة التي تقدم فيها ذكر أصحاب الكهف، وما سئل النبي ﷺ عن الأخبار به مما لم يقدر عليه إلا بأن يوحى إليه، وكان جميع ذلك من خبر موسى عليه السلام، مع من وعد لقائه، وقصة ذي القرنين بعدهما مما أودع القرآن وتضمنه الكتاب، فقال في هذا المكان { ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل } للدلالة على ما طلبوه من النبي ﷺ، وما قد أوحى ا تعالى به إليه في كتابه، فكان تقديم ذلك في هذا المكان أولى، وا أعلم [٥٥٩] .

٥٥٩) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ٨٥٩ - ٨٦١

ولم يكن للكرماني توجيه مخالف للإسكافي في آية الكهف، ولكن كان له توجيه آخر لآية الإسراء حيث يعلل لتقدم الناس تقدم ذكرهم في الآية السابقة ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ ﴾ الإسراء: ٨٨ فذكر الناس كراهة الالتباس[٥٦٠]

ووافقه الغرناطي مضيفاً أن ا تبارك وتعالى خص الفريقين (الإنس والجن)، وعين ممن ذكر (الناس) اعتناء بهم، أعني بالجنس الإنساني، ليظهر شرفهم على الجن، ..وأيضاً فلثقل التكرر فيما تقارب، ولو قيل: ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً لجاء لفظ الناس كأنه قد أعيد متصلاً، والعرب تستثقل مثل هذا، فقدم المجرور ليستحكم الفصل فلا يستثقل.. وأما آية الكهف فلم يقع قبلها ذكر الثقلين معاً فيحتاج إلى ذكر تقديم (الناس) كما أحتيج في آية الاسراء [٥٦١] ووافق ابن جماعة الكرماني في آية الإسراء ولكن كان له توجيه مستقل في آية الكهف: فوردت بعد ذكر إبليس وعداوته وذم اتخاذه وذريته أولياء، فناسب تقديم ذكر القرآن الدال على عداوته ولعنه [٥٦٢] وللشيخ زكريا الأنصاري توجيه في تقديم (في هذا القرآن) على (للناس) ـ لمناسبة قوله قبل { ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة } الكهف ٤٩[٥٦٣].

وقد يتبادر للذهن أن ذكر القرآن أهم من ذكر الناس، فيجيبنا ابن عاشور بأن : كلاهما ـ (للناس) و(في هذا القرآن) ـ متعلقان بالفعل صرفنا، فتقدم (الناس) أهم في هذا المقام لأجل كون الكلام مسوقاً لتحديهم والحجة عليهم ، وإن كان ذكر القرآن أهم بالأصالة إلا أن الاعتبارات الطارئة تُقدم في الكلام البليغ على الاعتبارات الأصلية؛ لأن الاعتبارات الأصلية لتقررها في النفوس تصير متعارفة فتكون الاعتبارات الطارئة أعز منالاً [٥٦٤].

---

٥٦٠) ينظرالبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ١١٧

٥٦١) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٧٦٥

٥٦٢) ينظر كشف المعاني لبدر الدين بن جماعة ٢٣٢

٥٦٣) فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٣٢٥

٥٦٤) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ٢٠٤/١٥-٢٠٥

أمـأ الدكتور فاضل السامرائي فيقول:(إن تقدم الكلام في (الإسراء) على الانسان ونعم ا عليه ورحمته به ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ الإسراء: ٨٣ مناسباً لتقدم (الناس) ولم يتقدم مثل ذلك في الكهف) [٥٦٥].

وعلل لتقدم (في هذا القرآن) في الكهف إلى إفتتاح السورة بذكر القرآن ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ ﴾ ثم ذكر أصحاب الكهف وموسى والرجل والصالح وغيرهم من الناس ... فكان المناسب أن يتقدم ذكر القرآن على الناس في هذه الآية كما في البدء

وأما سورة الإسراء فقد بدأت بالكلام عن الناس ثم القرآن . فقد بدأت بقوله تعالى ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء: ١ ثم تكلم عن بني اسرائيل، ثم قال بعد ذلك: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩ فكان المناسب أن يتقدم ذكر الناس فيها على ذكر القرآن في هذه الآية وهذا تناسب عجيب بين الآية ومفتتح السورة في الموضعين [٥٦٦]

الموضع الرابع والعشرون :

تقدم (رجل) على (من أقصى المدينة) في :

﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

القصص: ٢٠

وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ يس: ٢٠

---

٥٦٥) التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي ٧٠

٥٦٦) المصدر السابق ٧١

وَجَآءَ	رَجُلٌ	مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ	يَسۡعَىٰ	القصص ٢٠
وَجَآءَ	مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ	رَجُلٌ	يَسۡعَىٰ	يس ٢٠

جاءت آية القصص٢٠، على الأصل حيث تلا الفاعل فعله وجاء بعدهما الجار والمجرور بينما في يس٢٠، تقدم الجار والمجرورعلى الفاعل ليفصل بينه وبين فعله، وهاتان الآيتان من الآيات التي لا تكاد تجد عالماً من علماء المتشابه إلا أدلى بدلوه فيها موجهاً، وعلى رأسهم الخطيب الإسكافي بتوجيه جيد يقول فيه:(إن الفاعل في الموضعين لما كان نكرة فالمعنى جاء جاء وقد دل الفعل على جاء ، ولا يكون الجائي من أقصى المدينة في الأعم الأغلب إلا رجلاً، وكان الذي يفاد المخاطب أن يعلم أنه جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس في القرية وحيث لا يقرب من مجاري القصة ولا يحضر موضع الدعوة ومشهد المعجزة، فقدم ما تبكيت القوم به أعظم، والتعجب منه أكثر، فقال{وجاء من أقصى المدينة رجل} ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم ولا ينصح لهم أقربوهم مع انه لم يحضر جميع ما يحضرونه، ولم يشاهد من كلام الأنبياء ما يشاهدونه، فيحثهم على اتباع الرسل المبعوثين إليهم، وقبول ما يأتون به من عند مرسلهم .

وأما الآية الأولى من سورة القصص فإن المراد: جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاوراً لمكانه، فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدم ما أصله التقديم، وهو الفاعل، إذ لم يكن هنا تبكيت القوم بكونه من اقصى المدينة كما كان ذلك في الآية المتقدمة)[٥٦٧].

أمـا الكرماني فيقول: وخصت هذه السورة(يس٢٠) بالتقديم لقوله قبله { فوجد فيها رجلين يقتتلان} ثم قال { وجاء رجل} وخصت سورة يس بقوله { وجاء من أقصى المدينة } لما جاء في التفسير: أنه كان يعبد ا في جبل، فلما سمع الخبر سعى مستعجلاً[٥٦٨] وقد وافقه الأنصاري ونقل توجيهه [٥٦٩] وذهب ابن جماعة إلى ما ذهب إليه الاسكافي والكرماني[٥٧٠] ووافق الغرناطي توجيه الاسكافي القيم وجعل أخبار هذه الآيات مثالاً لحال كفار قريش من أهل مكة، وحال الأنصار من

٥٦٧) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ١٠٨٣ - ١٠٨٥

٥٦٨) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ١٤٤

٥٦٩) فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٤٢٩

٥٧٠) ينظركشف المعاني لبدر الدين بن جماعة ٢٨٤ – ٢٨٥، ٣٠٤

أهل المدينة، حين جاء هؤلاء وآمنوا به ﷺ مع بعد دارهم، وعاند عتاة قريش فكفروا مع الالتحام في النسب واتحاد الدار، .. ثم قال تعالى : { إنما تنذر من اتبع الذكر} الآية، أي من انقاد وأصغى إليك وإن بعدت داره وهذا حال الأنصار(٥٧١)

ثم يبين كيف أنه في آية يس مجيئ الرجل من أقصى المدينة مثال لمن بعد فلم يضره بعده، وذكر المراجعين للرسل من أصحاب القرية مثال لمن قرب وطالت مباشرته وشاهد الآيات فلم ينفعه قربه، فلما قصد في آية يس مثال من ذكر من الفريقين خصت من تقديم المجرور على الفاعل ما يحرز المعنى المقصود، فهو من قبيل ما قدم للاعتبار والتهمم،.. فلإحراز هذا المعنى قدم هذا المجرور وتأخر الفاعل. أما آية القصص فلم يقصد فيها شيء من هذا فجاءت على ما يجب من تقديم الفاعل، وتناسب هذا كله، ووضح أن كلاً من الموضعين لا يناسبه ولا يلائمه غير الوارد فيه، وا أعلم بما أراد(٥٧٢).

ويرى ابن عاشور أن في الاختلاف بين الآيتين وخصوصاً المتقدم فيها الجار والمجرور دعوةً إلى الاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة على قاب المدينة حيث مسكن حكامها وأحبار اليهود وهم أبعد عن الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إليه الرسل، بينما قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة، إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة، وأما قوله تعالى في سورة القصص {وجآء رجلٌ مّن أَقْصا الْمدينَة يسعى } فجاء النظم على الترتيب الأصلي إذ لا داعي إلى التقديم إذ كان ذلك الرجل ناصحاً ولم يكن داعياً للإيمان(٥٧٣).

ويؤكد الدكتور فاضل السامرائي قضية التركيز على مكان الرجل وأنه محور الدلالة ضارباً مثلاً توضيحياً مهماً وهو (جاء من القرية) رجل بمعنى أن مجيئه كان قطعياً من القرية وهذا تعبير قطعي أما إذا قلنا : "جاء رجل من القرية" فهذا تعبير احتمالي قد يكون جاء من القرية أو يكون رجلاً قروياً ولم يجيء من القرية كأن نقول : "جاء رجل من سوريا" فهذا لا يعني بالضرورة أنه جاء من سوريا ولكن قد تعني أنه سوري. وإذا قلنا : "جاء رجل من أقصى المدينة يسعى" تحتمل أن يكون من سكان أقصى المدينة وتحتمل أن مجيئه كان من أقصى المدينة. وفي سورة يس (وجاء من أقصى

---

٥٧١) ينظر ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٩٠٦

٥٧٢) المصدر السابق ٩٠٧

٥٧٣) ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ٣٦٥/٢٢ - ٣٦٦

المدينة رجل يسعى) تعني أنه جاء قطعياً من أقصى المدينة لأن مجيء صاحب يس كان لإبلاغ الدعوة لأن الرسل في السورة قالوا { وما علَيْنَا إِلا الْبلاَغُ الْمبِين }١٧[٥٧٤]

وكون الرجل من المدينة وإن كان أقصاها يوضح فكرة مهمة وهي أن أهل المدينة لم يكونوا كلهم على حد سواء من تكذيب الرسل وإلى هذا التوجيه الحسن يحاول السكاكي أن يلفت نظرنا إليه ولا يقل رأيه جودةً عن رأي الإسكافي وإن كان الأخير هو الأول، فيقول رحمه ا في الآية ٢٠ من يس: (فقدم لما كان أهم، يبين ذلك أنه حين أخذ في قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة أصحاب القرية الرسل، وأنهم أصروا على تكذيبهم وانهمكوا في غوايتهم مستمرين على باطلهم فكان مظنة أن يلعن السامع على مجرى العادة تلك القرية قائلا: ما أنكدها تربة وما أسوأها منبتا، ويبقى مجيلا في فكره أكانت تلك المدرة بحافاتها كذلك، أم كان هناك قطر دانٍ أو قاصٍ منبت خير منتظراً لمساق الحديث، هل يلم بذكره فكان لهذا العارض مهماً)[٥٧٥] فتقدم الرجلُ للاهتمام به ومبرهناً أن كل من في المدينة لم يكونوا منبت سوء بل كان فيهم منبت خير.

ويخلص الدكتور مشهور موسى إلى أن تقديم الجار والمجرور في سورة يس يرسم جانباً من جوانب الدعوة الإسلامية، في مرحلة من مراحلها؛ ففي التقديم بشارة في نصرة ا لدينه، وتجاوز القوانين البشرية إلى القوانين الربانية. ففي العرف البشري أن التعزيز يولد القبول والغلبة، ولذلك أراد ا سبحانه وتعالى أن يؤكد لخاصة الدعاة، فضلاً عن عامتهم، أن الإستجابة منوطة بهداية ا وحده، وما جهد الدعاة إلا وسيلة في سبيل هذا المقصد، ودليل ذلك إيمان هذا الذي جاء من أقصى المدينة، من غير جهد بشري يذكر. وفي سورة القصص جاء النظم القرآني وفق الأصل في التقديم والتأخير، ودلالة ذلك هو أن المقام مقام نصح وإعلام، وفيه التركيز على
نصرة ا لأوليائه، بغض النظر عن جهة القدوم[٥٧٦].

وأوافق الاسكافي ومن تبعه في تقديم الجار والمجرور لأهمية كون الرجل على بعد داره فإن ذلك لم يحل دون تبليغ رسالته لعلو همته، فأصحاب الرسالات هم الذين يتقدمون حين يتأخر غيرهم سعياً لمرضاة ا ، ولايضرهم من خذلهم فيرافقون الحق إينما كان، لأنهم وجدوا ما فقده غيرهم (وجدوا ا) فوجدوا كل شيء .

---

٥٧٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ٥٨٧/١

٥٧٥) مفتاح العلوم للسكاكي ٢٤٨

٥٧٦) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم : اعداد مشهور موسى مشاهرة (رسالة علمية) دكتوراه، الجامعة الاردنية ٢٤٠ -٢٤١

الموضع الخامس والعشرون :

تقدم (الذكر) على (عليه) في قوله تعالى :

﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ القمر: ٢٥

وعلى خلاف ذاك

﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾ ص: ٨

أَءُلْقِىَ	ٱلذِّكْرُ	عَلَيْهِ	مِنۢ بَيْنِنَا	بَلْ هُوَ ...	القمر ٢٥
أَءُنزِلَ	عَلَيْهِ	ٱلذِّكْرُ	مِنۢ بَيْنِنَاۚ	بَلْ هُمْ ...	ص ٨

انفرد الكرماني عن سلفه بتوجيه هذه المسألة، ولكن لم يلتفت الى التقديم بل حصر اهتمامه بمسألة الاستبدال (ألقي) (أنزل) فيقول : (ما في هذه السورة ـ سورة (ص) ـ حكاية عن كفار قريش يجيبون محمدا ﷺ حين قرأ عليهم { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم } فقالوا {أنزل عليه الذكر من بيننا}ص ٨ ومثله {الحمد الذي أنزل على عبده الكتاب} ١٨: ١ و{ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده} ٢٥ :١ وهو كثير. وما في القمر حكاية عن قوم صالح، وكان يأتي الأنبياء يومئذ صحف مكتوبة، وألواح مسطورة، كما جاء إبراهيم وموسى، فلهذا قالوا { أألقى الذكر عليه} ٢٥ مع أن لفظ الإلقاء يستعمل لما يستعمل له الإنزال) [٥٧٧].

ووافق الأنصاري الكرماني في مسألة (أنزل) بـ (ألقي) في ص، ولكنه أنفرد بتوجيه يعلل في تقديم(الذكر) على (عليه) في (القمر) وتأخره عنه في (ص)، فقال رحمه ا **وقدم** الجار والمجرور على الذكر هنا، موافقة لما قرأه النبي ﷺ على المنكرين، وعكس في القمر جرياً على الأصل، من تقديم المفعول بلا واسطة على المفعول بواسطة[٥٧٨].

أراد الكفار إثارة شبهة كبيرة متعلقة بنبوة سيدنا محمد ﷺ مفادها أنه لما كان مساويا لغيره في الذات والصفات والخلقة الظاهرة والأخلاق الباطنة فكيف يعقل أن يختص هو بهذا الدرجة العالية والمنزلة الشريفة؟ فقالوا { أأنزل عليه الذكر من بيننا } فإنه استفهام على سبيل الإنكار، بمعنى ما

٥٧٧) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ١٦٥

٥٧٨) فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٤٨٦ – ٤٨٧

أنزل عليه الذكر والنفي بطريق الاستفهام أبلغ لأن من قال: ما أنزل عليه الذكر ربما يعلم أو يظن أو يتوهم أن السامع يكذبه فيه فإذا ذكر بطريق الاستفهام يكون معناه أن السامع يجيبني بقوله: ما أنزل فيجعل الأمر حينئذ منفيا ظاهرا لا يخفى على أحد[٥٧٩]

الموضع السادس والعشرون :

تقدم (في الدنيا) على (الخزي)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ البقرة: ١١٤

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ المائدة: ٤١

﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ الحج: ٩

وعلى خلاف ذاك:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ المائدة: ٣٣

لَهُمْ	فِي ٱلدُّنْيَا	خِزْيٌ	البقرة ١١٤ ، المائدة ٤١/ وفي الحج (له)
لَهُمْ	خِزْيٌ	فِي ٱلدُّنْيَا	المائدة ٣٣

ولم أجد للمقابلة بين الآيتين توجيهاً إلا عند الدكتور فاضل السامرائي فيعلل لتقدم الخزي على الدنيا في آية المائدة، وتأخره عنها في آيتي البقرة والحج، أن الخزي المذكور في آية المائدة ثابت لا يزول

٥٧٩) ينظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٢ / ١٤٤ ، ١٠٢/١٥

بخلاف وهو أظهر للعيان مما في آيتي البقرة والحج، فإنهما غير ظاهرين ذلك الظهور ولا ثـابتين ذلك الثبات [٥٨٠]

وسأحاول أن أقدم تعليل السامرائي ـ لتقديم وتأخير الآيات ـ في جدول لدرجات الخزي المتباينة بين آية المائدة ٣٣ وآيات البقرة والحج وآية أخرى وجدتها هي في المائدة نفسها ٤١ تؤكد التوجيـه السابق للدكتور فاضل السامرائي .

{.. لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ..} البقرة١١٤، المائدة٤١ وفي الحج ٩ (له)	{..لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ..} المائدة ٣٣
درجة الخزي أخفى وأخف	درجة الخزي أظهر وأشد
البقرة= خزيهم أنهم فقط {..ما كـان لهـم أن يدخلوها إلا خائفين..} أي لا يدخلون المسـاجد إلا خائفين، فالخوف مقارن للدخول فإذا أنتفـى الدخول أنتفى الخوف، ثم إن الخوف أمر قلبي غير ظاهر للعيان .	المائدة٣٣= { إنما جزاء الـذين يحـاربون ا ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقَتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم}
الحج ٩= قال تعالى { ومن الناسِ من يجـادلُ في الله بِغَيرِ علْمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منيـرٍ{٨} ثَاني عطْفه لِيضل عن سبِيل الله له في الـدنْيا خزي ونُذيقُه يوم الْقيامة عذَاب الْحرِيق{٩} ولم يذكر الخزي الذي سيلحقهم في الدنيا .	

فتكون النتيجة النهائية أن التقتيل والتصليب وقطع الأيدي والأرجل من خلاف والنفي مـن الأرض أظهر خزياً وأشد عقوبة في الدنيا مما ذكره في الآيتين الأخريين. فناسب تقديمه في آية المائـدة[٥٨١] وكذلك ما جاء في آية المائدة٤١ أكتفى ا تبارك وتعالى بأن وصفهم بـ{ .. أُولَـئِك الذين لَم يـرِدِ اللّه أَن يطَهر قُلُوبهم لَهم في الدنْيا خزي..} وتطهير القلوب ـ مع عظمتـه ـ الـذي أنتفـى عـن الكافرين هو أدنى درجات الخزي عندهم وهو مخفي غير ظاهرٍ مقارنة مع التقتيل والتصليب وقطع

٥٨٠) أسئلة بيانية في القرآن الكريم فاضل السامرائي ١٥- ١٦

٥٨١) المصدر السابق ١٦

الأيدي والأرجل من خلاف والنفي من الأرض، فناسب ذلك تقديم (في الدنيا) على (الخـزي) وا أعلم .

الموضع السابع والعشرون :

تقدم (النصح) على (لكم)

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ الأعراف: ٦٢

وعلى خلاف ذلك:

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأعراف: ٦٨

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي	وَأَنصَحُ	لَكُمْ	الاعراف ٦٢
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي	وَأَنَا۠ لَكُمْ	نَاصِحٌ	الأعراف ٦٨

هاتان الآيتان من الآيات التي لم أجد لهما تعليلاً عند علماء المتشابه اللفظي سوى الكرماني الذي لم يعلل التقديم والتأخير، وإنما ألتفت إلى استعمال القرآن للنصح بصيغة الفعل تارة والاسم تارة أخرى فيرى أن (أنصح) للمستقبل وأنه عطفَ على (أبلغكم) أي عطف فعل على فعل ويسندها بقوله تعالى﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأعراف: ٩٣ ، في عطف (نصحت) على (أبلغتكم)، أما(ناصح) فقد قابل باسم الفاعل على قولهم {وإنا لنظنك من الكاذبين} ٦٦ الأعراف، ليقابل الاسم بالاسم[٥٨٢]

والفرق بين مجيء صيغة فعل(النصح) بالفعلية تارة على لسان سيدنا نوح، والاسمية على لسان سيدنا هود مرده ما في الجملة الفعلية من دلالة حدوث وتجدد[٥٨٣] يتناسب مع درجة سفاهة قوم نوح الذي كانت دعوته لهم في تجدد مستمر يوماً بعد يوم بليلها ونهارها {... إني دعوتُ قومي ليلاً ونَهاراً } نوح٥، فذكر دعوته لقومه بصيغة الفعل (أنصح) بينما جاءت الجملة الاسمية على لسان

٥٨٢) ينظرالبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ٧٦

٥٨٣) والفرقُ بينهما أن الشيخَ عبد القاهرِ الجرجاني ذكر في كتاب " دلائِل الإعجازِ " أن صيغة الفعل تدل على التجدد ساعةً فساعةً .

هود (وَأَنَا۠ لَكُم نَاصِح أَمين) لتدل على الثبوت والاستقرار ويرى الرازي أن صيغَةُ اسم الفاعل (ناصح) دالةٌ على الثبات ، والاستمرار على ذلك الفعل[٥٨٤]، وأن سيدنا هوداً مستقر في تلك النصيحة ، وليس فيها إعلام بأنه سيعود إليها حالاً فحالاً ، ويوماً فيوماً [٥٨٥] أو أنه

عليه السلام لم يلح ويكرر على قومه في دعوتهم إلى الإيمان كما كان يفعل نوح عليه السلام [٥٨٦].

ثم يبحث الرازي في الفرق بين قول نوح عليه السلام (وَأَعلَم من الله ما لاَ تَعلَمون) ، وهود الذي وصف نفسه بكونه أميناً، فالفرق أن نوحاً عليه السلام كان أعلى شأناً وأعظم منصباً في النبوة من هود، فلم يبعد أن يقال إن نوحاً كان يعلم من أسرار حكم ا وحكمته ما لم يصل إليه هود فلهذا السبب أمسك هود لسانه عن ذكر تلك الكلمة واقتصر على أن وصف نفسه بكونه أميناً ومقصوداً منه أمور: أحدها الرد عليهم في قولهم { وإنا لَنَظُنك من الْكَاذِبين} وثانيها: أن مدار أمر الرسالة والتبليغ عن ا على الأمانة فوصف نفسه بكونه أميناً تقريراً للرسالة والنبوة، وثالثها: كأنه قال لهم كنت قبل هذه الدعوى أميناً فيكم ما وجدتم مني غدراً ولا مكراً ولا كذباً واعترفتم لي بكوني أميناً فكيف تنسبتموني الآن إلى الكذب ؟! [٥٨٧]

أرى وا أعلم أنه وقياساً على مسألة سابقة وخطاب دار على لسان النبيين نوح (على ا توكلت) وهود (توكلت على ا) أن لكل مقام مقال، والخطاب ينم عن المخاطب، فنوح عليه السلام مع رحلته الطويلة في الدعوة وما لاقاه فيها لم يزد إلا تثبيتاً وإيماناً برسالته وكأنه المخاطب بقوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ ﴾ آل عمران: ١٧٣، فناسب ذلك تقدم الفعل على متعلقه ليبين الواجب الأهم وهو النصح وتجديده مهما قوبل بالسفاهة إلى أن (جاء أمر ا) الطوفان العظيم ، أمّا في خطاب هود عليه السلام { وأنا لكم ناصح} فتقدم (لكم) لبيان أهميتهم له فيرى ابن عاشور أن تقديم (لكم) على عامله للإيذان باهتمامه بما ينفعهم [٥٨٨] فجاء كل على ما يناسب وا أعلم .

---

٥٨٤) كلام نرد فيه نظرية الدمشقي بان اسم الفاعل صفة غير ثابتة ولا تحمل دلالة الثبات وان كانت عند الكوفيين الفعل الدائم

٥٨٥) ينظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٤ / ١٢٧ دار الكتب العلمية بيروت ط١/ ٢٠٠٠ .

٥٨٦) ينظر تفسير الشعراوي ٢٩٣١/١

٥٨٧) ينظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٤ / ١٢٧ .

٥٨٨) ينظر التحرير والتنوير ابن عاشور التونسي ٢٠٣/٨

الفصل الرابع

التقديم والتأخير في التوابع

التقديم والتأخير في التوابع

في هذا الفصل سنتناول تقديماً وتأخيراً مخالفين لما عرضنا له في الفصول السابقة التي تركزت في العلاقة أو الرابطة النحوية بين لفظ وعامله من خلال مجموعة علاقات أو روابط، ولا يخفى ما للعلاقة النحوية من تأثير مهم في تغير الدلالة. يقول الدكتور أحمد مختار عمر:(لو لم يـؤد تغيـر مكان الكلمات في الجملة (تغير الوظيفة النحوية) إلى تغير المعنى ما كان هناك فرق بـين قولـك : طارد الكلب القط، وطارد القط الكلب[589].

يتمركز التقديم والتأخير في التوابع حول تتالي اسمين يتقدم أحدهما في موضع ويتأخر في آخـر تكون دلالته معنوية بحتة، فالنعت والعطف والتوكيد والبدل قرائن معنوية أشهر مـا تكـون فيهـا المطابقة بين التابع والمتبوع، أي هو العلامة الإعرابية، كما أن هناك قرينة أخرى توجد فيها جميعاً هي الرتبة، إذ رتبة التابع هي التأخر عن المتبوع دائماً أياً كان نوعها[590].

تكمن أهمية دراستنا للتوابع، وقبل ذلك الفضلات، في أنهما من العناصر غير الإسنادية التي بها تطول الجملة وتخرج معه من مفهوم الجملة القصيرة المتمثلة في المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل، حيث يصفها الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف بأنها "عناصر غير إسنادية يتم بها إطالة عنصر إسنادي أو غير إسنادي في الجملة، بحيث يكون التابع مع متبوعه "مركبا" واحداً يمثل عنصراً واحداً في الجملة سواء أكان هذا العنصر إسنادياً أم غير إسنادي" [591]

قسم الزمخشري التوابع إلى خمسة أضرب: هي التأكيد، والصفة، والبدل، وعطف البيان، والعطف بحرف . وعرفها بأنها الأسماء التي لا يمسها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها[592] وشرح ابن يعيش كلامه فقال: إنها الثواني المساوية للأول في الإعراب بمشاركتها له في العوامل،

---

589) علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ، ط5 / 1998 عالم الكتب ، القاهرة ، ص 13 .

590) ينظراللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان 204

591) التوابع في الجملة العربية للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، الناشر مكتبة الزهراء، القاهرة، 1991م، . ص 6 .

592) ينظرالمفصل في صنعة الاعراب للزمخشري 143

ومعنى قولنا (ثوان) أي فروع في استحقاق الإعراب لأنها لم تكن المقصود، وإنما هي من لوازم الأول كالتتمة له، وذلك نحو قولك زيد العاقل، فزيد ارتفع بما قبله من الفعل المسند
إليه والعاقل ارتفع بما قبله أيضاً من حيث كان تابعاً لزيد كالتكملة له [٥٩٣]

والتوابع لا تثبت على حالة إعرابية واحدة كالرفع أو النصب أو الجر بل تخضع لحكم متبوعها فالتابع هو المشارك لما قبله في إعرابه الحاصل والمتجدد [٥٩٤]

يقسم الدكتور فاضل السامرائي أحوال التقديم والتأخير قسمين: أحدهما تقديم اللفظ على عامله، ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما، والقسم الثاني: تقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل[٥٩٥]، وقد قدمنا للقسم الأول في الفصل الثاني، والثالث . أما القسم الثاني الذي يتقدم اللفظ فيه على غير العامل فهو ما سنتناوله في هذا الفصل إن شاء ا . ويتركز في تقدم كلمة في موضع وتأخرها في موضع آخر لما يقتضيه السياق ويستوجبه المقام من اهتمام بالمقدم وعناية تستدعي ذلك التقديم، وليس السامرائي أول من تنبه إلى هذا التقسيم، فقد سبقه ابن الأثير الذي قسم التقديم والتأخير إلى ضربين: يختص الأول منهما بدلالة الألفاظ على المعاني .. والثاني يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك[٥٩٦]، وهو عين ما تطرق إليه الدكتور فاضل السامرائي وستتضح دلالاته أكثر من خلال تعدد أمثلته من الآيات المتشابهة لفظاً في هذا الفصل.

الموضع الأول

تقدم (القلوب) على (السمع والأبصار) في قوله تعالى :

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ البقرة: ٧

وعلى خلاف ذلك :

---

٥٩٣) شرح المفصل لابن يعيش ٣ / ٣٨

٥٩٤) ينظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) ، دار إحياء الكتب العربية، ١٨٨/١

٥٩٥) التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي ٤٩ ، ٥٢

٥٩٦) المثل السائر لابن الأثير ٣٥/٢

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الجاثية: ٢٣

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ	قُلُوبِهِمْ	وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ	وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ	البقرة: ٧
وَخَتَمَ عَلَىٰ	سَمْعِهِۦ	وَقَلْبِهِۦ	وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً	الجاثية ٢٣

يعلل الدكتور فاضل السامرائي لتقدم القلوب على السمع في البقرة أنه ذكر للقلوب المريضة ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠، أما تقدم السمع على القلوب في الجاثية فلأن فيه ذكر الأسماع المعطلة فقال ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ الجاثية: ٧ – ٨ ومما يفيد توكيد الختم في آية البقرة تكرار حرف الجر(على) {على قلوبهم وعلى سمعهم} ولم يقل مثل ذلك في الجاثية ، بل انتظم الأسماع والقلوب بحرف جر واحد {على سمعه وقلبه}، كما أن قوله تعالى في الآية من البقرة { وعلى أبصارهم غشاوة} بالجملة الاسمية تفيد الدوام والثبات، ومعنى ذلك أن هؤلاء لم يسبق لهم أن أبصروا وإنما هذا شأنهم وخلقتهم فلا أمل في إبصارهم في يوم من الأيام، في حين قال في الجاثية {وجعل على بصره غشاوة} بالجملة الفعلية التي تفيد الحدوث، وكون (جعل) فعلاً ماضياً يعني أن الغشاوة لم تكن قبل الجعل بدليل قوله تعالى { وأضله ا على علم} واختتام الآية في البقرة بـ { ولهم عذاب عظيم } دون الجاثية دليل على أن صفات الكفر في البقرة أشد تمكناً فيه فناسب كل ذلك تقديم القلب وتأخر السمع في البقرة وعلى خلافه في الجاثية[٥٩٧].

ويضيف الدكتور السامرائي في موضع آخر على تقدم (السمع) على (البصر) في البقرة أن المقام كان فيه إنذار ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ البقرة: ٦ ، والإنذار يحتاج إلى إسماع أولاً فقدم السمع لذلك[٥٩٨].

٥٩٧) بتصرف من التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي ٦٥-٦٦

٥٩٨) من اسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١١٩

أما السيد شيخون فيقول : (قدم السمع على القلب في آية الجاثية، وعكس في البقرة، لأن كفار مكة، كانوا يبغضونه بقلوبهم، وماكانوا يستمعون إليه، وكفار المدينة، كانوا يلقون على الناس أن النبي ﷺ شاعر وكاهن، وأنه يطلب الملك والرياسة، فالسامعون إذا سمعوا ذلك أبغضوه، ونفرت قلوبهم عنه، ففي هذه الصورة على هذا التقدير، كان الأثر يصعد من البدن إلى جوهر النفس، وفي الصورة الأولى كان الأثر ينزل من جوهر النفس إلى قرار البدن، فورد ما في كل سورة على ترتيبه) [٥٩٩].

ولم يأت الختم على القلوب في هذه الآية فقط بل جاء في { أُولَـئِكَ الذين طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } النحل١٠٨ وبنفس الترتيب ولكن بـ(الطبع) والختم هو الطبع[٦٠٠] وأرى أن الخطاب شديد في البقرة لأنها في أصناف من الكافرين بلغوا مبلغاً كبيراً من الضلال لم يبلغه المقصود بالذكر في آية الجاثية، وكما هو واضح فقد أتى بصيغة الإفراد كونها نزلت في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزئين، لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه[٦٠١] .

الموضع الثاني

تقدم (صم) على (بكم وعمي) في

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ البقرة: ١٨

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة: ١٧١

وعلى خلاف ذلك :

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ الإسراء: ٩٧

٥٩٩) أسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم : محمود محمد السيد شيخون، ط١ ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ص ١٢١-١٢٢

٦٠٠) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ١٤٢

٦٠١) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٧/١٦

صُمٌّ	بُكْمٌ	عُمْيٌ	البقرة ١٨ - ١٧١
عُمْيًا	وَبُكْمًا	وَصُمًّا	الاسراء ٩٧

مناط الادراك في الدنيا هوالسمع لذا يتقدم في البقرة وكذلك نجد في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٦

بينما مناط الادراك في الآخرة هو البصر لذا يتقدم في الإسراء وكذلك نجد في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ السجدة: ١٢ وخلص الدكتور فاضل السامرائي من هذه الآية إلى تعليل رائع لتقدم البصر على السمع يقول فيه : (قالوا (ربنا أبصرنا وسمعنا) وذلك أنهم في الدنيا كانوا يسمعون عن جهنم وعذابها في الآخرة، أمَّا الآن فأبصروا ذلك وعاينوه فقدم حالتهم التي هم فيها، وكذلك فإنَّ الإبصار والمشاهدة هنا أهم من السمع لأن السمع قد يدخل في باب الظن والشك أمَّا الإبصار والمشاهدة فهو حال اليقين، ولذلك قالوا (إنا موقنون) وهذا إنما يكون عند الإبصار لا الإسماع) [٦٠٢].

ولهول المطلع حينها والكشف عن ذلك الغيب العظيم الذي طالما حدثَ عنه ليكون محفزاً للإنسان لفعل الخيرات ورادعاً له عن ارتكاب المعاصي و لما فيه من نعيم الجنة وعذاب النار فلا يمكن للسمع أن يفيد الانسان لإدراك تلك الحقيقة العظيمة .

ولا بد له من أجل ذلك ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ق: ٢٢ أي تملك بصراً حاداً تدرك به ما كنت تنكره في الدنيا من البعث والجزاء [٦٠٣] وبعد ذلك سيرون النار ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الكهف: ٥٣ رؤية بصرية لا قلبية حيث يتعدى الفعل (رأى) لمفعول واحد، ثـم أن النار كذلك ستراهم ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا

٦٠٢) من اسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١١٦

٦٠٣) أيسر التفاسير، ط ٥ , جابر بن موسى أبو بكر الجزائري،الناشر مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، ٢٠٠٣م ، ج٢٦٥/٨

﴿ تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ الفرقان: ١٢، ولا داعي لأن تسمعهم النار فإنها مأمورة من ربها ولكنهم سيرونها ويسمعونها ليزدادوا رعباً بما كانوا يكفرون بها، ويمن ا ُ على الإنسان بما وهبه من نعم السمع والأبصار فنرى التقدم الملحوظ للسمع على الأبصار :﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ النحل: ٧٨

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٨

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ السجدة: ٩

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الملك: ٢٣

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الإنسان: ٢

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ يونس: ٣١

﴿ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ هود: ٢٠

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦

وأرى أن ا تبارك وتعالى قدم وصف نفسه بالسميع البصير لنا لأن إدراكنا في الدنيا مناطه السمع ثم البصر، لذا تجد سيدنا ابراهيم ينهى أباه عن عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ مريم: ٤٢، بل ولا يعقل أيضاً بدليل (ما) الموصوله التي هي لغير العاقل، وعليه فالسميع والبصير الذي يسمع كلامنا ويبصر حالنا أولى بالعبادة لذا وردت هكذا دائماً كصفة تبارك وتعالى في ستة مواضع من القرآن [٦٠٤]

٦٠٤) سميعاً بصيراً (النساء ٥٨، ١٣٤) السميع البصير (الاسراء١، غافر٢٠، ٥٦ ، الشورى ١١)

ومن العلماء من علل لتقدم السمع على البصر للأفضلية[٦٠٥] وأنه أشرف لأن به تثبت النبوات، وأخبار الله تعالى، وأوامره، ونواهيه، وأدلته وصفاته تعالى، بخلاف البصر. وكذلك لم يبعث الله نبياً أصم أصلاً، وفي الأنبياء من كان مكفوفاً[٦٠٦].

ويرى السامرائي أن السمع أفضل وهو أهم في مجال الدعوة لأن الأصم أبعد عن الفهم من الأعمى [٦٠٧].

الموضع الثالث

تقدم (النصارى) على (الصابئين) في :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ البقرة: ٦٢

وعلى خلاف ذلك :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ المائدة: ٦٩

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الحج: ١٧

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ	وَٱلَّذِينَ هَادُواْ	وَٱلنَّصَٰرَىٰ	وَٱلصَّٰبِـِٔينَ	البقرة: ٦٢
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ	وَٱلَّذِينَ هَادُواْ	وَٱلصَّٰبِـُٔونَ	وَٱلنَّصَٰرَىٰ	المائدة: ٦٩
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ	وَٱلَّذِينَ هَادُواْ	وَٱلصَّٰبِـِٔينَ	وَٱلنَّصَٰرَىٰ	الحج ١٧

٦٠٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٥٣١/٢

٦٠٦) كشف المعاني لابن جماعة ٨٩ ، ويقصد بالمكفوف النبي يعقوب الذي كُف بصره لفقد ولده يوسف عليهما السلام .

٦٠٧) ينظر التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي ٥٥ - ٥٦

وللإسكافي تعليل طويل في هذه المسألة مفاده أن الترتيب في آية البقرة هو بحسب ترتيب الكتب السماوية المنزلة على كل أمة ١- (الذين آمنوا) بما أنزل على ابراهيم ـ الصحف ـ عليه السلام- ٢- (الذين هادوا) أهل التوراة -٣- (النصارى) أهل الانجيل -٤- (الصابئون) لا كتاب لهم ولا يثبتون على دين .

أما في آية المائدة والحج فرد الترتيب إلى الأزمنة، حيث تقدم (الصابئون) على النصارى لكونهم أسبق منهم زمناً حيث كانوا قبل عيسى عليه السلام[٦٠٨].

ويرجع رفع (الصابئون) وتقديمه إلى النية به التأخير وإنما قدم في اللفظ وأخر في النية، لأن التقديم الحقيقي التقديم لكتب ا المنزلة على الأنبياءعليهم السلام.

وأما الترتيب الثالث في سورة الحج فترتيب الأزمنة الذي لا نية للتأخير معه، لأنه لم يقصد في هذا المكان أهل الكتب، إذ كان أكثر من ذكر ممن لا كتاب لهم، وهم الصابئون والمجوس والذين أشركوا عبدة الأوثان [٦٠٩] ووافقه الكرماني وابن جماعة [٦١٠]

ولم يختلف توجيه ابن زبير عن من قبله في تأخر(الصابئن) أما تقديمه في سورة المائدة فيرى أنه زيادة بيان للغرض المذكور من انه لا ترتيب في الغاية الأخروية إلا بنظر آخر لا بحسب دنيوي والاشتراك فيما قبل الموافاة، بل المستجيب المؤمن من الكل مخاص والمكذب متورط ثم مراتب الجزاء بحسب الأعمال[٦١١]، ويعلل عدم تقدم النصارى على اليهود في سورة المائدة والحج بأنهم أولى الناس أن يكونوا في رعيل المستجيبين ومعهم جرى الكلام قبل هذا نعياً عليهم (وبياناً لمرتكباتهم) ولعظيم ما جرى على من لم يؤمن منهم وترددت فيهم عدة آيات وذلك مما يوجب تقديم ذكرهم على من عدا المؤمنين.   وأما تقدمهم على النصارى فلأنهم أقرب إليهم من حيث التثليث وسوء نظرهم في ذلك وتصورهم، ثم إنهم لم يجر لهم ذكر فيما تقدم هذه الآية بخلاف يهود فبان من هذه الجهة تقديم يهود عليهم وإن كان يهود شر الطائفتين[٦١٢]

---

٦٠٨) ينظر درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٢٥١ - ٢٥٢

٦٠٩) ينظر درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٢٥٣ ، ٢٥٧

٦١٠) البرهان للكرماني ٣١ ، كشف المعاني لابن جماعة ١٠٠ - ١٠١

٦١١) ينظر ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٢٢٠

٦١٢) المصدر السابق ٢٢٠

يقول الدكتور تمام حسان عن رفع (الصابئون) :(وحقها النصب إن هذا يعود إلى الترخص اللفظي وأنه ـ الترخص اللفظي ـ ليس في الشعر والنثر فقط بل في آيات القرآن والحديث النبوي ويكون في القرائن اللفظية بتجاهل وظيفة الأداة أو البنية الصرفية أو إهمال الافتقار أو الاختصاص أو المناسبة المعجمية بين مفردات النص أو الرتبة أو المطابقة بين لفظ ولفظ أو الربط بواسطة الإحالة) [613] فيمكن الترخص في الإعراب إذا اتضح معنى العطف بقرينة غير الاعراب[614] فوضوح قرينة التبعية أغنت عن قرينة العلامة الإعرابية[615]

وأرى أن سبب تأخر (الصابئين) ـ رغم تقدم زمنهم ـ عن (النصارى) في البقرة ٦٢، على يعود لعدم الاهتمام بهم وقلة عددهم ولم يكن لهم دور في تأخير الأديان بعكس اليهود والنصارى، أما سبب تقدم (الصابئون، والصابئين) في آيتيي(المائدة٦٩،الحج١٧) فيعود إلى تقدم عهدهم تأريخياً على عهد النصارى .

أما سبب رفع (الصابئون) في المائدة٦٩ فأرى أن الآيات الثلاث السابقة تدل على عدالة ا في يوم الآخرة حيث إن آية البقرة ٦٢ تدل على أن ا تبارك وتعالى يؤكد على إيمان المؤمنين من أمة محمدﷺ وغيرهم ممن سبقوهم من الأمم السابقة وإيمان اليهود والنصارى والصابئين، فالمعطوفات (والذين هادوا،والنصارى،والصابئين) تعطف كلها على(الذين) ويشمل التوكيد الجميع، كل أمة من هؤلاء إذا آمنوا في زمنهم .

أمـا الآية ٦٩ من سورة المائدة فتدل على أن (والذين هادوا ، والصابئون ، والنصارى) معطوفات على (إن) التي تفيد التوكيد، وذلك حتى لا يجري التوكيد عليهم، حيث إن الآية تتحدث عن إيمان هؤلاء القوم في العهد الإسلامي، ولذلك قد يكون إيمان من آمن منهم خوف الجزية أو خوف القتل أو لأي سبب آخر، إذ من المستحيل أن يكون إيمان من آمن منهم كإيمان الصحابة الكرام رضي ا عنهم .

أمـا آية الحج١٧ فالمعطوفات(والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) تعطف على (الذين) حيث التوكيد يشملهم، فالآية تتحدث عن يوم القيامة حيث أن عدالة ا تقتضي جمع جميع الأمم، المؤمنين فيهم وغير المؤمنين ثم بعد ذلك {...الله يفْصلُ بينَهم يوم

٦١٣) اجتهادات لغوية ، الدكتور تمام حسان، ط1, عالم الكتب القاهرة , ٢٠٠٧م ، ص ١١٦

٦١٤) ينظر البيان في روائع القرآن للمؤلف نفسه ٢٥٢

٦١٥) اللغة العربية مبناها ومعناها للمؤلف نفسه ٢٣٥

القيامة..}الحج١٧، فالتأكيد في الآية يدل على تأكيد الفصل بينهم ولا يدل على تأكيد الإيمان، لأنه لم يذكر الإيمان في هذه الآية كما ذكر في الآيتيين السابقتين وا اعلم .

الموضع الرابع

تقدم (الضر) على (النفع) في :

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يونس: ٤٩ وفي مواضع أخرى [٦١٦]

وعلى خلاف ذلك:

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٨ وفي موضعين أخرين [٦١٧]

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي	ضَرّٗا	وَلَا نَفۡعًا	إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ	يونس ٤٩
قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي	نَفۡعٗا	وَلَا ضَرًّا	إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ	الاعراف ١٨٨

قال الاسكافي رحمه ا : آية الأعراف جاءت بعد قوله تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٧ وفيه بيان أنه لا يملك تعجيل ثواب ولا عقاب، وأنه ﷺ لا يعلم الغيب وإلا لأستكثر من الخير والنفع لنفسه، فناسب ذلك تقدم النفع على الضر. أما آية يونس فلما استعجله الكفار من عذاب ا تعالى بدليل الآية التي تسبقها ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ

---

٦١٦) طه ٨٩ ، الفرقان ٣ ، الفتح ١١

٦١٧) الرعد ١٦ ، سبأ ٤٢

بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يونس: ٤٦ وقوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ يونس: ٤٨ فخرج الكلام إلى ذكر العذاب فناسب ذلك تقدم الضر على النفع[٦١٨] ووافقه ابن زبير في ذلك والغرناطي وابن جماعة[٦١٩]

ويرى الكرماني أن تقدم الضر على النفع هو الأصل لكون العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولا ثم طمعاً في ثوابه ثانياً، مستدلاً بقوله تعالى{ يدعون ربهم خوفا وطمعا } أما آية الأعراف فقد نظر فيها إلى السياق في نطاق أوسع، فعلل لتقدم النفع فيها على الضر تقدم قوله تعالى ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٨، وجاء بعده قوله تعالى ﴿... لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ ...﴿١٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٨[٦٢٠] ووافقه في ذلك الأنصاري[٦٢١] وفي المقابلة بين قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ الرعد: ١٦ وقوله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ الفرقان: ٣ ، يعلل الكرماني لتقدم النفع على الضر في الرعد قائلاً :إن ا تبارك وتعالى قدم فيها الأفضل على الأنقص، لأن اجتلاب النفع أشرف من استدفاع الضر، وهو رتبة فوقه، فمن فاته ذلك طلب دفع الضر فهو على وجهه في الترتيب، أما تأخره عن الضر في الفرقان بني على ما قبله وهو{لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون} وقوله{لا يخلقون شيئاً} نفي وقوله {وهم يخلقون} إثبات، فقدم النفي على الاثبات، وكان الضر نفياً، والنفع اثباتاً، إذ النفع إثبات المصالح وإيجادها، والضر نفيها،

٦١٨) درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٦٨٣ - ٦٨٥

٦١٩) ينظر ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٥٧٧ ، كشف المعاني لابن جماعة ١٨٨

٦٢٠) ينظرالبرهان في توجيه القرآن للكرماني ٨٤-٨٥

٦٢١) ينظر فتح الرحمن للأنصاري ٢١٣

فكما قدم فيما قبله ما نفى على ما أثبت حمل المعطوف عليه ليكون مشاكلاً له[٦٢٢] ووافقه في ذلك الكرماني والغرناطي[٦٢٣] أما الأنصاري فيرى تقدم الضر على النفع لمناسبة ما بعده، من تقدم الموت على الحياة [٦٢٤]

وكما بدا واضحاً فإن تقدم (النفع) على (الضر) أو تأخره عنه يرجع غالباً إلى سياق الآيات فحيث يكثر ذكر الخير وما يفيد معناه يتقدم (النفع) وعلى خلاف ذلك يتقدم(الضر) فعليه أرى آية يونس٤٩، في مقام التحدي، حيث إن الآيات السابقة وخاصة الآية التي قبلها { ويقُولُون متَى هـذَا الْوعد إِن كُنتُم صادقين } يونس ٤٨ تدل على ذلك، فا سبحانه وتعالى يأمر نبينا محمداً ﷺ أن يقول: أنا لا أملك لنفسي الضر الذي يستطيع كل إنسان أن يقوم به، وكيف استطيع أن أنفع نفسي مع العلم أن النفع صعب الإتيان به ولا يستطيع كل إنسان ذلك . أما آية الاعراف(١٨٨) فهي في موضع التمني إذ الإنسان لا يتمنى لنفسه الضر حتى يقدم على النفع، وا أعلم .

الموضع الخامس

تقدم (بشير) على (نذير) في

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ البقرة: ١١٩

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٥

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ المائدة: ١٩

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨

---

٦٢٢) درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٩٥٧

٦٢٣) ينظرالبرهان في توجيه القرآن للكرماني ١٣٩، ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٧٠٢

٦٢٤) فتح الرحمن للأنصاري ٤٠٣

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ ﴾ فاطر: ٢٤

﴿ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ ﴾ فصلت: ٤

وعلى خلاف ذلك

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ ﴾ هود: ٢

نَذِيرٞ	وَبَشِيرٞ	هود ٢
بَشِيرٗا	وَنَذِيرٗاۖ	البقرة١١٩، فصلت ٤
وَمُبَشِّرٗا	وَنَذِيرٗا	الأحزاب ٤٥

ولم أجد لهذه الآية توجيها عند علماء المتشابه اللفظي إلا ابن جماعة الذي يقابل بين الآية ٢ من سورة هود التي تقدم فيها (نذير) على (بشير) وعلى خلافها بين الآيات من سور البقرة ١١٩ والأحزاب ٤٥ وفصلت ٤ فيقول: أنه لما قال هنا { أن لا تعبدوا إلا ا } هود٢ ناسب تقديم النذارة على عبادة غير ا ، وفي الأحزاب والبقرة كان الخطاب له، فناسب كرامته تقديم البشارة، وكذلك في (فصلت) ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ ﴾ فصلت: ٣ ناسب ذكر الرحمة ووصف الكتاب تقديم البشارة وا أعلم[٦٢٥].

أما الدكتور فاضل السامرائي فيرى أن الكلام في سورة هود موجه إلى الكافرين قال تعالى ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥ ﴾ هود: ١ – ٥ ثم أنه كرر وصف الإنذار فقال ﴿ ...إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢ ﴾ هود: ١٢ ولم يذكر التبشير[٦٢٦].

---

[٦٢٥]) كشف المعاني لابن جماعة ٢٠٨

٦٢٦) من اسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١٣٧

ويرى السامرائي كذلك أنَّ جو السورة تشيع فيه عقوبات الأمم البائدة كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ومدين وغيرهم وهذا ما يستدعي تقديم الإنذار ومما ناسب ذلك أيضاً ذكر عذاب الآخرة﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ هود: ١٠٣ - ١٠٥ وهو تخويف يستدعي الإنذار وقدم فيها الشقي على السعيد والأشقياء أولى بالإنذار، ووجه الكلام في آخر السورة إلى غير المؤمنين﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ هود: ١٢١ - ١٢٢ ، فناسب كل هذا تقديم الإنذار.

وعلى النقيض قال في الأحزاب موجهاً الكلام إلى المؤمنين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٤١ – ٤٧، فقال تعالى(وبشر) ولم يقل (وأنذر الكافرين) فناسب تقديم التبشير[٦٢٧]

وفي غير المواضع المذكورة تقدم (النذير) على (البشير) في الأعراف في قوله تعالى﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٨ويقول ابن عاشورعنها وإنما قدم وصف النذير على وصف البشير،هنا: لأن المقام خطاب المكذبين المشركين، فالنذارة أعلق بهم من البشارة [٦٢٨]

---

٦٢٧) المصدر السابق ١٣٨

٦٢٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٠٩/٩

ويوافقه أبو السعود أن المقام مقام الإنذار، وقوله تعالى (لقوم يؤمنون) إما متعلق بهما جميعا لأنهم ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالبشارة، وإما بالبشير فقط، وما يتعلق بالنذير محذوف أي نذير للكافرين أي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون أي في أي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في إحداث الإيمان وتحذير عن الإصرار على الكفر والطغيان [٦٢٩].

وأرى أن تقدم (بشير) على (النذير) هو الأصل وهو وظيفة الأنبياء والمرسلين، حيث يبشرون أممهم أولاً وبعد ذلك ينذرونهم إذا أبوا أو قصروا{..فبعث ا النبين مبشرين ومنذرين..} البقرة٢١٣ ، أمـا الآية هود٢ فهي في مخاطبة الذين كفروا وتمردوا، ولذلك أنذرهم بالعذاب الشديد، ثم بشرهم إذا عادوا إلى الصواب وآمنوا .

الموضع السادس

تقدم (موسى) على (هارون) في :

﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٠ - ١٢٢، ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الشعراء: ٤٦ - ٤٨

وعلى خلاف ذلك:

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ طه: ٧٠

فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ	قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	رَبِّ مُوسَىٰ	وَهَٰرُونَ	الشعراء٤٦-٤٨
فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا	قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ	هَٰرُونَ	وَمُوسَىٰ	طه ٧٠

تطرق الخطيب الاسكافي إلى هاتين الآيتين من باب تكرار (رب) مرتين في (الأعراف) و(الشعراء) وعدم حصول ذلك في (طه)، ولم يلتفت إلى السر الكامن وراء تقدم موسى على هارون وتأخره عنه في آية (طه) سوى تعزيزه المسألة إلى رعاية الفواصل[٦٣٠] وإلى موافقة الفواصل ذهب كل من ابن جماعة والأنصاري[٦٣١] .

---

٦٢٩) تفسير ابي السعود ١٨٣/٤

٦٣٠) ينظر درة التنزيل للخطيب الاسكافي ٦٦٦-٦٦٧

٦٣١) ينظر كشف المعاني لابن جماعة ١٨٧ ، وينظر مفتاح العلوم للسكاكي ٢٣٩، فتح الرحمن للأنصاري ٣٦٥

بينما التفت الآلوسي إلى هذه القضية وجمع في تفسيره آراء أغلب المفسرين حيث يرى أن تقدم هارون مرده إلى ألا يتوهم أنهم أرادوا فرعون؛ لأنه ربى موسى صغيراً، فلما أتبعوا ذكر موسى بهارون { رب موسى وهارون } زال هذا التوهم. ولم يبق تقديم (هارون) في آية (طه) أثراً لهذا التوهم. وقيل قدم هارون لأنه أكبر سناً وتأخر موسى لرعاية الفاصلة، وقدم موسى عليه السلام لشرفه[٦٣٢] ولا يرى ابن عاشور قصداً للأفضلية لا دلالة فيه على تفضيل ولا غيره ، لأن الواو العاطفة لا تفيد أكثر من مطلق الجمع في الحكم المعطوف فيه ، فهم عرفوا ا بأنه رب هذين الرجلين ؛ فحكي كلامهم بما يدلّ على ذلك[٦٣٣]

وجاء الدكتور فاضل السامرائي بملحظ آخر يقتضي تقديم ما قدم وتأخير ما أخر غير قضية الفاصلة وأواخر الآي، حيث يفاضل بين الآيات في سورتي (طه) و (الشعراء) مفاده أن تكرار ذكر هارون كثيراً في سورة طه ـ الآيات ٤٢ - ٤٧ ، ٤٩، ٦٣، ٩٠، ٩٢-٩٣ ـ وكون الخطاب موجه إلى موسى وهارون دائماً أدى إلى أن تكون القصة في سورة طه مبنية على الثنائية، وفي سورة طه أيضاً أدرك موسى الضعف البشري كما أدرك أبو البشر آدم؟ (فَأَوجس في نَفْسه خيفَةً موسى {٦٧}) ولم يذكر الخيفة لهارون. أما في سورة الشعراء فلم يرد ذكر هارون إلا مرتين فقط ـ الآيتين ١٣ ، ١٥ ـ والخطاب في السورة كان موجهاً إلى موسى وحده ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الشعراء: ٢٩ وكذلك الحال في كل السورة فهي مبنية على الوحدة غالباً، كما أن ا تبارك وتعالى في سورة الشعراء أورد عناصر القوة في موسى ولم يذكر عناصر الضعف ولهذا السبب اختلف السياق واقتضى التقديم والتأخير كما جاء في آيات كل من السورتين[٦٣٤].

---

٦٣٢) ينظر روح المعاني للآلوسي ٢٦/٩ ، البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي ١٩٠/٦، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٧٥/٢٢ ، اللباب في علوم الكتاب ٢٦٥/٩ .

٦٣٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦٢/١٦

٦٣٤) ينظر التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي ٢٢٦- ٢٢٧

ويرى الدكتور فاضل أمراً آخراً في سورة طه، (طه) فيها حرف من حروف هارون وليس فيها حرف من حروف موسى (وكل سورة تبدأ بالطاء تحوي قصة موسى؟) أما سورة الشعراء (طسم) ففيها حرفان من حروف موسى وليس فيها حرف من حروف هارون[٦٣٥].

وقد يكون لتقدم هارون على موسى تعليلات أخرى كعامل الفصاحة الذي تميز به هارون عن موسى بشهادة موسى عليه السلام ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّى لِسَانًا ... ﴾ القصص ٣٤ فأدى كل هذا وا أعلم إلى أن تتعدد مقالات السحرة لاستماعهم إلى هارون من جهة ومن جانب آخر رؤيتهم لمعجزة سيدنا موسى عليه السلام، وللدكتور عبد الكريم الخطيب تعليل لطيف لاختلاف مقولات السحرة التي حكاها القرآن بين (رب العالمين)(رب موسى وهارون)(رب هارون وموسى) وهم في حالة واحدة تحمل دلالة الايمان با قالوها بأساليب مختلفة وبصور متباينة بين الجهر والسر وينفي أن تكون مقالتهم على صورة واحدة لعدم تناسب ذلك مع جمعهم الكبير ولا يشهد له واقع الحياة، وكان الذي حكاه القرآن من مقولاتهم هو الوجه الغالب فيها[٦٣٦]

ولا يرى محمد الحسناوي تأخر موسى عن هارون في الفاصلة إغفالاً لأفضليته على هارون إن كان ثمة مفاضلة، لأن مقاطع الكلام ـ كما هو معلوم ـ في القافية والفاصلة والسجع، من نقاط الارتكاز في الكلام من جهة، وآخر ما يقع في السمع والنفس من جهة ثانية، ويرى وجهاً بيانياً يعده بعيداً نوعاً ما، وهو أن سبب تقدم هارون على موسى لربما يرجع الى الحالة النفسية التي كان عليها السحرة، لما ظهرت معجزة موسى فألقوا سجدا يتلعثمون بالشهادة، كحال العبد الذي فرح بلقاء راحلته بعد ضياعها[٦٣٧]، جاء في صحيح مسلم (أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من احدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلّها ـ قد أيس من راحلته ـ فبينا هو كذلك، إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك،أخطأ من شدة الفرح)[٦٣٨]

---

٦٣٥) المصدر نفسه ٢٢٧

٦٣٦) اعجاز القران لعبد الكريم الخطيب ٢١٩/٢-٢٢٠ ..دار الفكر العربي بالقاهرة ط١٩٦٤/١

٦٣٧) الفاصلة في القرآن محمد الحسناوي ، دار عمار ط٢٠٠٠/٢ الأردن، ١٢٠ -١٢١

٦٣٨) صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل+دار الآفاق الجديدة بيروت، ٩١/٨ - ٩٣

ومما لا يخفى أن لمراعاة الفاصلة أهمية كبرى حيث جعلها الزركشي من أغراض التقديم والتأخير[٦٣٩]. وسبق أن ذكرنا آراء لغويين كبار قدامى ومحدثين لم يروا لكثير من التقديمات في القرآن العظيم إلا رعاية الفاصلة علةً وغرضاً، بينما تصدى لهم من يرفض هذه الفكرة لما فيها من تسطيح لفكرة البلاغة وإخفاء لدلالات بلاغية تقف وراء مخالفة الترتيب[٦٤٠]. ولا يقلل هذا من أهميتها لما لا يخفى من الوظيفة الصوتية الكبرى التي تؤديها. وفي هذا يقول الدكتور تمام حسان : والفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة مهمة تراعي في كثير من آيات القرآن، وربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة، كما ويعتب على البلاغيين تعليل التقديم والتأخير لأسباب تدور حول رعاية المعنى ولكنه لا يعلم أحداً منهم جعل من أغراض التقديم والتأخير الانتفاع بجرس اللفظ ، ويسميها الدكتور تمام بالرتبة المشوشة من أجل الفاصلة، وقد لا تدل الفاصلة القرآنية بالضرورة على تمام المعنى، ومن ثم تصبح وظيفتها في القرآن غير نحوية ولا دلالية فيكون غرضها جمالي صرف وإن توافقت أحياناً مع تمام المعنى [٦٤١].

أرى أن تقدم موسى على هارون في الآيات ذات الشأن يعود إلى كون موسى نبياً وهارون وزيراً له فتقديمه على هارون هو الأصل . أمـا في الآية طه٧٠ فقد تقدم هارون على موسى للأسباب الآتية :

١- لما خاف موسى من سحرهم {فَأَوجس في نَفْسه خيفَةً موسى } طه٦٧ قَدم هارون عليه.

٢- جاءت بعد الآية (٧٠) الآية (٧١) {قَالَ آمنتُم لَه قَبلَ أَن آذَن لَكُم ...} طه٧١ حتى يرجع الضمير إلى أقرب اسم مذكور في الآية وهو موسى .

٣- لما رأى السحرة معجزة موسى تيقنوا أنه ليس بساحر وإنما هو نبي مرسل ولذلك تحدوا فرعون وقالوا نحن نؤمن بهارون الذي لم يأت بآية معجزة قبل موسى الذي جاءت المعجزة على يديه .

٤- لمناسبة أواخر الآيات .

---

٦٣٩) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٣٣/٣

٦٤٠) ينظر هذا البحث الفصل الثالث، ص ١٢١

٦٤١) ينظر البيان في روائع القرآن للدكتور تمام حسان ٢٨١ – ٢٨٢، ٢٨٥

الموضع السابع

تقدم (الأرض) على (السماء) [٦٤٢] في :

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ يونس: ٦١

وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ سبأ: ٣

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ سبأ: ٢٢

هذه الآيات الثلاث التي يقابل بينها الخطيب الإسكافي، وقد وردت اللفظتان بصيغة الافراد والجمع في مواضع كثيرة، وقد وردت السماوات وحدها في بضعة مواضع أخرى، وقد قمت بوضع إحصائية تشمل المواضع التي ذكرت فيها السماوات والأرض ووضعتها في الجدول التالي لتكون أكثر وضوحاً :

تقدم (السماء) على (الأرض)	تقدم (الأرض) على (السماء)
١٣٣ مرة بصيغة { السماوات والأرض } [٦٤٣]	مرة واحدة{الأرض والسماوات } طه ٤
٤ مرات بصيغة{ في السماوات ولا في الأرض }	لم يرد
٤ مرات بصيغة {من في السماوات ومن في الأرض}	لم يرد
٤ مرات بصيغة { السماوات ولا في الأرض}	أربع مرات{الأرض ولا في السماء}
١٥ مرة بصيغة { السماء والأرض }	لم يرد
٢٧ مرة بصيغة{ما في السماوات وما في الأرض }	لم يرد

٦٤٢) الآيات المتشابهات للدكتور عبد ا الطيار ١٨٣

٦٤٣) كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة ٢٥٠

مرة واحدة بصيغة{في السماوات وفي الأرض}الانعام ٣	لم يرد
١١ مرة بصيغة {ما في السماوات والأرض }	لم يرد
مرتين بصيغة {السماوات السبع }	لم يرد
مرة واحدة بصيغة {في السماوات أو في الأرض} لقمان١٦	لم يرد
مرة واحدة بصيغة { سبع سموات } الطلاق ١٢	لم يرد
مرة واحدة بصيغة {تكاد السماوات} مريم ٩٠	لم يرد
المجموع = ٢٠٤	**المجموع = ٥ مرات**

نعود للمقابلة بين الآيات ونضعها كالمعهود في الجدول التالي ليكون التقديم أكثر وضوحاً :

وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ	فِي ٱلۡأَرۡضِ	وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ	وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ	يونس: ٦١
لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ	فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ	وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ	وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ	سبأ: ٣
لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ	فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ	وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ	وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ	سبأ: ٢٢

يقول الخطيب الإسكافي : قدم ذكر (السماوات) على (الأرض)في سورة سبأ، لأن هذه الآية مبنية على مفتتح السورة، وهو{الحمد الذي له ما في السماوات وما في الأرض...} سبأ١، فقدم ذكر (السماوات) لأن ملكها أعظم شأناً وأكبر سلطاناً، وكذلك الآية التي بعدها من سورتها .

وأما التي في سورة يونس فإنها جاءت عقب قولـه﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ ... ﴾ يونس: ٦١ القصد إلى ذكر علمه بما يتصـرف فيـه

العباد من خير أو شر، وذلك في الأرض، فأتمه بقوله﴿ ...وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ ... ﴾ يونس: ٦١ فاستوعب جميع ما في الأرض، ثم أتبعه ذكر السماء، لأن الابتداء وقع بما يتعلق بها، وما يعمل العباد فيها، فلذلك قدمت(الأرض) عليها[٦٤٤] ووافقه ابن جماعة [٦٤٥]

أمـا الكرماني فعلل تقدم (الأرض) على (السماء) في يونس٦١ إلى كون المخاطبين فيها، ومثله في ال عمران وابراهيم وطه والعنكبوت، بينما تقدم (السماوات) على (الأرض) في سبأ مرتين لتقدم ذكر السموات في أول السورة ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ...١ ﴾ سبأ: ١ [٦٤٦].

بينما يرى الغرناطي أن تقدم الأرض على السماء مرده إلى أن السماء مصعد الأمر ومصدره ومحل العلو ومسكن الملائكة، وهي مشاهدة لهم، ومستقبل الداعين، منها ينزل الأمر ورزق العباد، وفيها الخزنة من الملائكة، وإليها يصعد بأرواح المؤمنين...فكان العلم بما فيها أجلى وأظهر، وكان العلم بما في الأرض أخفى[٦٤٧] ووافقه ونقل عنه جملة من المفسرين[٦٤٨].

ويعلل الزمخشري لتقدم (الأرض) على (السماء) بخلاف قوله في سبأ فيقول: حق السماء أن تقدم على الأرض، ولكنه لما ذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم، ووصل بذلك قوله { لاَ يعزب عنْه } سبأ : ٣ ، لائـم ذلك أن قدم الأرض على السماء[٦٤٩].

أرى أن تقدم (الأرض) على (السماء) في يونس مرده وا أعلم أن الآية تتحدث عن {وما تَكُون في شأْنٍ وما تَتْلُو منْه من قُرآنٍ ولاَ تَعملُون من عملٍ إلا كُنا علَيكُم شُهوداً إِذْ تُفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثْقَال ذَرة في الأَرضِ ولاَ في السماء ولاَ أَصغَر من ذَلك ولاَ أَكْبر إِلا في كتَابٍ مبِينٍ } يونس٦١، هذه الأمور تحدث في الأرض ولذلك تقدمت كلمة الأرض على السماء في هذه الآية. أما آيتا سبأ ٣ ، ٢٢ فقد تقدمت (السماء) على (الأرض) وذلك لأن السماء أوسع من الأرض بملايين المرات لا يعلمها إلا ا ، فالسر في السماء أخفى من الأرض، لذلك تقدمت (السماء) على (الأرض) في مجال معرفة السر من قبل ا .

---

٦٤٤) درة التنزيل للخطيب الاسكافي ١٠٧٥ - ١٠٧٦

٦٤٥) كشف المعاني لابن جماعة ٢٠٦

٦٤٦) ينظرالبرهان في توجيه القرآن للكرماني ٩٥ ، ١٥٧

٦٤٧) ملاك التأويل للغرناطي ٦٢٧

٦٤٨) ينظر مفاتيح الغيب الرازي١٧ /٩٩، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٧٤/٥، روح المعاني للآلوسي ١٣٧/٦، التحرير والتنوير لابن عاشور ١١ / ٢١٤

٦٤٩) الكشاف للزمخشري ٢ / ٣٣٨

الموضع الثامن

تقدم (لعب) على (لهو) في :

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنعام: ٣٢

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ... ﴾ الأنعام: ٧٠

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ محمد: ٣٦

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ ... ﴾ الحديد: ٢٠

وعلى خلاف ذلك:

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الأعراف: ٥١

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت ٦٤

وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا	لَعِبٌ	وَلَهْوٌ		الانعام ٣٢
إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا	لَعِبٌ	وَلَهْوٌ		محمد ٣٦
ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا	لَعِبٌ	وَلَهْوٌ		الحديد ٢٠
وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ	لَعِبًا	وَلَهْوًا	وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا	الانعام ٧٠
وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا	لَهْوٌ	وَلَعِبٌ		العنكبوت ٦٤
ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ	لَهْوًا	وَلَعِبًا	وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا	الاعراف51

ومن خلال قوله تعالى ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٣)﴾ الأنبياء: ٢ – ٣، يتبين لنا معنى اللهو واللعب بشكل أوضح فقد اجتمع أغلب المفسرين على أن (لاهية قلوبهم) تعني شاغلة وغافلة[٦٥٠] ، وأجد أن معنى تشاغلَ هو الأقرب للهو بدليل قوله تعالى لنبيه محمد { فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهى } عبس١٠، أي تتشاغل فالنبيﷺ لا يلهو ولم يكن كذلك قط .

ويوافقهم الشربيني وينبه إلى أن الجملة الاسمية (هم يلعبون) و(لاهية قلوبهم) حالان مترادفان، أو متداخلان [٦٥١] مما يعني تقارب اللفظين ولكن من خلال نظرة في لسان العرب نجد أنه يقال لكل من عمل عملاً لا يجدي عليه نفعاً : إنما أنت لاعب.. ورجلٌ لُعبةٌ: كثير اللعب.. واللعبة:جرم ما يلعب به كالشطرنج ونحوه [٦٥٢] أما اللهو: ما لهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما...إذا لعبت به وتشاغلت وغفلت به عن غيره ..[٦٥٣]

وللاستزادة من التفريق بين اللفظين نقرأ في كتاب الفروق اللغوية أن كل لهو لعب وليس العكس، كذلك لان اللعب يكون للتأديب كاللعب بالشطرنج وغيره ولا يقال لذلك لهو، وإنما اللهو لعب لا يعقب نفعا وسمي لهوا لانه يشغل عما يعني من قولهم ألهاني الشئ أي شغلني ومنه قوله تعالى " ألهاكم التكاثر " واللعب: طلب المزح بما لا يحسن أن يطلب به، قيل واشتقاقه اللعاب، وهو المرور على غير استواء كلعاب الطفل[٦٥٤].

علل الاسكافي لتقدم اللعب على اللهو في الأنعام قائلاً : أنه خاصة بقوم حضروا النبي وسمعوا القرآن وعبثوا عند سماعه ولعبوا بآياته، وأجروها مجرى أفعال يستروح إليها، ولا نفع في عقباها ثم شغلوا بدنياهم عن التدبر وألهتهم حلاوتها عن الفكر في صحتها، فأول أفعالهم لعب، وثانيها لهو، واللعب في غاية الجهل تتعجل منه المسرة .

---

٦٥٠) التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ،دار الصحابة للتراث بطنطا ـ مصر ط١٩٩٢/١ ، تحقيق الدكتور فتحي أنور الدابولي ٢٩٣، وينظر تفسير الطبري ٤١٠/١٨، تفسيرالنكت والعيون للماوردي ٤٣٦/٣ الدر المنثور للسيوطي ٦١٦/٥ ، تفسير مقاتل بن سليمان البلخي، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١/ ٢٠٠٣ ، ٢ /٣٥١ .

٦٥١) تفسيرالسراج المنير للشربيني ٢ / ٣٨٩ .

٦٥٢) لسان العرب لابن منظور ١/ ٧٣٩

٦٥٣) المصدر السابق ٢٥٨/١٥

٦٥٤) الفروق اللغوية لابي هلال العسكري (ت محمد ابراهيم سليم) ، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص ٢٥٤

وفي آية الأعراف تقدم اللهو على اللعب ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الأعراف: ٥٠ – ٥١

فالكلام عن الكافرين بشكل عام وليس مختصاً بمن سمع الآيات فقط، فقدم فعل أكثرهم على فعل أقلهم وهم الذين شغلتهم الحياة الدنيا .

أما آية الحديد التي تقدم فيها اللعب على اللهو فلأن معناه الحياة الدنيا لمن اشتغل بها ولم يتعب لغيرها من أعمال الآخرة مقسومة من الصبا، وهو وقت اللعب، وبعده اللهو وهو الترويح عن النفس بملاعبة النساء .. أما في العنكبوت {وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب} فليس المراد به أن الحياة الدنيا كلها لهو ولعب بل أراد المبالغة في وصف قصر مدة الدنيا بالإضافة إلى مدة الآخرى فقدم اللهو هنا على اللعب لأن الأزمنة التي يقصرها اللهو أكثر من الأزمنة التي يقصرها اللعب، لأن التشاغل به أكثر، فلما كانت معظم ما يستقصر وجب تقديم ما يكثر على ما هو دونه في الكثرة [٦٥٥] ووافقه الكرماني مختصراً كلامه[٦٥٦] ووافقهما ابن جماعة والأنصاري[٦٥٧] ووافق الغرناطي سلفه (الاسكافي) في توجيه معظم الآيات إلا أنه ذكر أن آية الأعراف من قول المؤمنين أهل الجنة إخبار عن حال الكافرين الموجبة لتعذيبهم، فقدموا في الذكر اللهو الشاغل عن الاستجابة الجاري مع سن التكليف، ولم يذكر اللعب أولاً، لأنه جار في البداءة وحين لا تكليف، أما آية العنكبوت فقد تقدمها قوله{ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض..} الآيات٦١-٦٣، ولا يسأل عن هذا ويجيب إلا من جاوز سن اللعب التي يتعلق فيها التكليف بالمخاطب، ويصح خطابه وعتابه على تفريطه فناسب ذلك ذكر الحياة الدنيا وتقديم ما يساوق تلك السن فقدم ذكر اللهو على اللعب[٦٥٨].

ويجعل ابن عاشور لوجود اسم الاشارة (هذا) في آية العنكبوت محوراً مهماً لتوجيه الآية وليعلل فيها تقديم اللهو على اللعب وهذا ما لم يلتفت إليه علماء المتشابه اللفظي من قبل فيقول رحمه ا (وأمر تقديم ذكر اللهو هنا وذكر اللعب في سورة الأنعام فلأن آية سورة الأنعام لم تشتمل على

٦٥٥) ينظردرة التنزيل للخطيب الاسكافي ٥١٧- ٥٢٥
٦٥٦) البرهان للكرماني ٦٢ - ٦٣
٦٥٧) كشف المعاني لابن جماعة ١٧٥ – ١٧٦ ، ينظر فتح الرحمن للأنصاري ١٦٤
٦٥٨) ملاك التأويل للغرناطي ٤٤٤ – ٤٤٧

اسم إشارة يقصد منه تحقير الحياة الدنيا فكان الابتداء بأنها لعب مشيراً إلى تحقيرها لأن اللعب أعرق في قلة الجدوى من اللهو . ولما أشير في هذه الآية إلى الحياة الآخرة في قوله {فأحيا به الأرض من بعد موتها} [العنكبوت : ٦٣] زاده تصريحاً بأن الحياة الآخرة هي الحياة الحق)[٦٥٩]

أرى أن تقدم كلمة (لعب) على (لهو) في الأنعام٣٢ ، ٧٠ ، محمد ٣٦، الحديد ٢٠ وذلك لأن هذه الآيات تحذير للناس أن يقضوا حياتهم دون الإلتفات إلى سر هذه الحياة والغرض منها وأخذ العبرة منها فناسبه ذلك التقديم، أمـا الآيتان العنكبوت ٦٤، والاعراف ٥١ فهما تتحدثان عن الذين نسوا أنفسهم وغرتهم الحياة الدنيا بمباهجها وأنغمسوا في الملذات فأصبحوا كالسكارى، لم ينتبهوا إلى ما أوجب ا عليهم من تعمير الأرض والمشي في مناكبها فناسب ذلك تقدم اللهو على اللعب وا أعلم

.

الموضع التاسع

تقدم (الحكمة) على (العلم) في :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأنعام: ٨٣

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٨

﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٩ وفي مواضع أخرى[٦٦٠]

وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ يوسف: ٦ ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى

٦٥٩) التحرير ولتنوير لابن عاشور التونسي ٣١/٢١

٦٦٠) الحجر ٢٥ ، النمل ٦،الزخرف٨٤، الذاريات ٣٠

ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ يوسف: ٨٣ ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يوسف: ١٠٠، وفي مواضع أخرى[٦٦١] إضافة إلى ورودها نكرةً مرفوعةً ١٥ مرة [٦٦٢] و نكرةً منصوبةً ١٠ مرات[٦٦٣]

إِنَّ رَبَّكَ	حَكِيمٌ	عَلِيمٌ	الانعام٨٣
إِنَّكَ أَنتَ	ٱلۡعَلِيمُ	ٱلۡحَكِيمُ	البقرة٣٢

لكثرة الآيات التي ورد فيها صفتا ا تبارك وتعالى (الحكيم والعليم) متعاقبتين فقد لانستطيع إلا حصر الآيات إحصائياً ووضع توجيهات للخاص القليل منها بما يفتحه ا علينا.

هذان الاسمان هما من اسماء ا الحسنى التي ترددت في مواضع عديدة في القرآن الكريم، ووردت اسماء ا الحسنى كلها في رواية للترمذي قال[٦٦٤] قال رسول ا ﷺ «إن للّه تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخَلَ الجنةَ ، ... » ويقسمها الدكتور محمد الحسناوي إلى ثلاثة اقسام: أقل من الثلث ـ٢٧ـ لم يرد في القرآن، وثلث ـ٣٦ ـ ورد في مواضع متفرقة في القرآن، وثلث ـ٣٦ـ ورد في فواصل آي الذكر الحكيم (٤٦٥) خمساً وستين وأربع مئة مرة [٦٦٥] ووجدت أن اسمي (العليم) و(الحكيم) كانا الأكثر وروداً في فواصل الآي بعد اسم ا (الرحيم) فلا عجب أن يتقدم أحدهما على الآخر أو يتأخرا مع مراعاة السياق .

ولا بد قبل توجيه تقدم أوتأخر الصفتين أحدهما على الآخر أن نعرف المقصود منهما، فيذهب بعض المفسرين إلى أن العلم أعم من الحكمة، فيرى الرازي أن الحكمة هي العلم بالأمور العملية

٦٦١) البقرة٣٢ ، النساء١١،١٧،٢٤،٢٦،٩٢،١٠٤،١١١،١٧٠، الأنفال٧١، التوبة١٥،٢٨،٦٠،٩٧،١٠٦،١١٠، الحج٥٢ ، النور١٨، ٥٨،٥٩، الأحزاب١،الفتح٤، الحجرات٨ ، الممتحنة١٠ ، التحريم٢،الإنسان٣٠ .

٦٦٢) النساء ٢٦، الانفال٧١، التوبة١٥، ٢٨، ٦٠، ٩٧، ١١٠،١٠٦ ،يوسف ٦،الحج٥٢، النور١٨ ،٥٨، ٥٩، الحجرات٨، الممتحنة١٠

٦٦٣) النساء ١١ ،١٧، ٢٤، ٩٢، ١٠٤، ١١١، ١٧٠، الاحزاب ١ ، الفتح ٤، الانسان ٣٠ .

٦٦٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، ط ١، (تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط) : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ج١٧٣/٤

٦٦٥) ينظر الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط٢, دار عمار, الأردن , ٢٠٠٠م، ص ٣١٢ - ٣١٣

فقط والعلم أعم منه، لأن العلم قد يكون عملياً وقد يكون نظرياً والعلوم النظرية أشرف من العلوم العملية، فذكر الحكمة المشتملة على العلوم العملية، ثم ذكر العليم وهو البالغ في كمال العلم وكمال العلم يحصل من جهات ثلاث: وحدته وعموم تعلقه بكل المعلومات وبقاؤه مصوناً عن كل التغيرات، وما حصلت هذه الكمالات الثلاثة إلا في علمه سبحانه وتعالى(٦٦٦)

وذهب ابو السعود الى أن دخول العلم في الحكمة هو لعموم العلم ودلالة الحكمة على إتقان الفعل وللإشعار بأن ما في القرآن من العلوم منها منا هو حكمة كالعقائد والشرائع(٦٦٧)

وينشئ فهد الحبيشي مقابلة بين الآيات الثلاث أعلاه من سورة الانعام التي تقدم فيها الحكمة على العلم وبين الآيات الثلاث في سورة يوسف التي جاءت على خلاف ذلك، ويرى أن الحكمة في تقديم الحكمة على العلم أن الآيات الثلاث السابقة تتحدث عن حكمة ا أولا وعلمه ثانيا: حكمة ا في إيتاء إبراهيم عليه السلام حجته على قومه ورفعه درجات، وعلمه سبحانه أن إبراهيم يستحق ذلك.وحكمته في خلق الجن والإنس وتقرير الصلة بينهما وعلمه باستحقاق الكافرين منهم العذاب الأبدي وحكمته سبحانه في إلغاء أحكام الجاهلية في التحليل والتحريم وعلمه بجرائمهم ومحاسبتهم عليها يوم القيامة. لكن وردت { عليم حكيم } ثلاث مرات في سورة يوسف عكس ما في الأنعام، كما في الآيات التالية ، قدم "عليم" على "حكيم" في الأولى، لأن موضوعها هو العلم، فا يجتبي يوسف بعلمه، ويعلمه من تأويل الأحاديث بعلمه. وفي الثانية لأن الأب يعقوب لا يعلم أين يوجد أبناؤه الثلاثة، ولكن ا يعلم أين يوجدون، وهو يرجو ا أن يأتي بهم جميعا لعلمه بهم، وفي الثالثة لأن يوسف يقرر فيها تأويل رؤياه، فا أراه الرؤيا لأنه عليم، وا جعلها حقا لأنه عليم. كما أن موضوع سورة يوسف هو العلم حيث ابتدأت بالعلم: { وكَذَلِكَ يجتَبِيكَ ربك ويعلمك من تَأْوِيل الأَحاديث } واختتمت بالعلم: { رب قَد آتَيتَني من الْملْك وعلمتَني من تَأْوِيل الأَحاديث } (٦٦٨).

معنى الحكمة هو وضع الشيء في مكانه المناسب، ولما كان(حكيم عليم) في آية الأنعام(٨٣) قد تقدمها قوله تعالى {وتلْك حجتُنَا آتَينَاها إِبراهيم علَى قَومه نَرفَع درجات من نشَاء إِن ربك حكيم عليم } الأنعام٨٣ أرى أنه كان من الأنسب أن يتقدم (حكيم) على(عليم) لأن البحث رفع درجات، فا هو الذي بحكمته يرفع درجات من يشاء، وكذلك آية الأنعام١٢٨ فقد تقدمتها قوله تعالى {قال النار مثواكم} وهي بمثابة الدرجة أيضاً وهكذا بالنسبة للآيات الأخرى في هذا المجال . أمـا آية يوسف

٦٦٦) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٦/١٢

٦٦٧) تفسير ابي السعود ٢٧٣/٦

٦٦٨) ري الظمآن في بيان القرآن المصدر: فهد بن عبد ا الحزمي الحبيشي . موقع مكتبة صيد الفوائد www.saaid.net

(٦) فهي تتحدث عن أمور تحتاج إلى العلم {وكذلك يجتبيك ربك **ويعلمك** من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم } يوسف٦ وكذلك الأمر بالنسبة لبقية الآيات التي بلغت (٢٩) موضعاً مقابل (٧) مواضع لتقدم (الحكمة) فيها على (العلم) فالعلم مؤد إلى الحكمة وناتج له فناسب ذلك التقديم والتأخير الحاصل وا أعلم .

الموضع العاشر

تقدم الجملة (أنزلناه) على (مبارك) [٦٦٩]

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ... ﴾ الأنعام: ٩٢

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٥

وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٥٠

وَهَٰذَا	كِتَٰبٌ	أَنزَلْنَٰهُ	مُبَارَكٌ	الأنعام: ٩٢، ١٥٥
وَهَٰذَا	ذِكْرٌ	مُّبَارَكٌ	أَنزَلْنَٰهُ	الأنبياء: ٥٠

وهذه المسألة تعد من انفرادات ابن جماعة حيث يقول : قدم الإنزال في الأنعام ٩٢ رداً على قول فنحاص بن عازوراء ﴿ ...إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ... ﴾ الأنعام: ٩١، فبدأ به اهتماماً به، ولأن الكتب سماوية فناسب البداءة بالإنزال . وآية الأنبياء في الذكر، فجاءت على الأصل في تقديم الوصف المفرد في النكرة على الجملة [٦٧٠] وتبعه الزركشي في ذلك حيث رأى أن تقدم (أنزلناه) على (مبارك) من تقديم الجملة على المفرد[٦٧١]

---

٦٦٩) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٨٢/٤ ، ٢٩٥/٦

٦٧٠) كشف المعاني لابن جماعة ١٧١، وينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤٤٤/٢

٦٧١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤٤٤/٢

وإلى هذا ذهب بعض المفسرين فقالوا : وقدم هنا وصفه بالإنزال على وصفه بالبركة بخلاف قوله " وهذا ذكر مبارك أنزلناه " لأن الأهم هنا وصفه بالإنزال ، إذ جاء عقيب إنكارهم أن ينزل الله على بشر من شيء بخلافه هناك . ووقعت الصفة الأولى جملة فعلية لأن الإنزال يتجدد وقتا فوقتا ، والثانية اسمية لأن الاسم يدل على الثبوت والاستقرار وهو مقصود هنا أى : أن بركته ثابتة مستقرة [٦٧٢]

ولنا وقفات من خلال النظر في السياق نوجزها كما يلي :

١- ورود مشتقات الفعل الثلاثي (نزل) (١٧) مرة في سورة الانعام[٦٧٣] مقابل مرتين في سورة الانبياء ـ الآيتان ١٠، ٥٠ ـ فربما ناسب هذا والله أعلم أن يتقدم الوصف الجملة (أنزلناه) على الوصف المفرد(مبارك) في الأنعام وتأخرها عنه في الانبياء.

٢- ذكر (الكتاب) بدل(الذكر) في الانعام (٩٢) و(١٥٥) فلقد وجدت كلمة(الكتاب) مذكورة في سورة الأنعام إثنتي عشْرةَ مرة، وهذه الحالة نجدها غير اعتيادية إذ لا نجد في بقية السور ـ عدا البقرة و آل عمران والنساء ـ ذكراً للكتاب بهذه الكثرة، ولم يذكر سوى مرة واحدة في سورة الأنبياء (الآية ١٠)، فلا عجب إذن أن تتقدم كلمة (كتاب) على (ذكر) في هذه السورة { وهـذَا كتَاب أَنزلْنَاه مبارك مصدقُ...}الأنعام٩٢ .

أما في سورة الأنبياء٥٠ فقد ذكرت كلمة (ذكر) تسع مرات بمعناه الذي لم يذكر في سورة الانعام ، فربما ناسب ذلك والله أعلم ذكر كلمة (ذكر) بدلاً عن كلمة (كتاب) {وهذَا ذكْر مبارك أَنزلْنَاه أَفَأَنتُم لَه منكرون }الأنبياء٥٠

٣- من الناحية البلاغية والجمالية والمعنوية ينبغي أن تتقدم (انزلناه) على(مبارك) لأن (أنزلناه) جملة فعلية في محل رفع صفة (للكتاب) تدل على الاستمرار، أي استمرار نزول(الكتاب) كما هو مذكور في آية الأنعام (٩٢) و(١٥٥) أما آية الأنبياء(٥٠) فتقدمت فيها كلمة (الذكر) على كلمة (كتاب) وهي كلمة عامة تدل على معانٍ كثيرة وليس من الفصاحة وصف (ذكر) بالإنزال قبل وصفه بـ(مبارك) كما هو في الآية .

٦٧٢) التفسيرالوسيط لمحمد سيد طنطاوي ١٥٠٠/١ ، وينظر الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، ،(تحقيق علي معوض وآخرون)، دار الكتب العلمية ، بيروت ,١٩٩١م، ص ١٦٨٢/١

٦٧٣) وذلك متفرقاً على الآيات ٧ ، ٨ ،٣٧، ٨١ ، ٩١ ، ٩٢ ،٩٣ ، ٩٩، ١١١، ١١٤ ، ١٥٥ ،١٥٦ ، ١٥٧ .

الموضع الحادي عشر

تقدم (الشمس) على (القمر) في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ يونس: ٥ وفي مواضع كثيرة[٦٧٤] وهناك آية أخرى مماثلة تقدم (الشمس) وعدم ذكر اسمه هو قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ الفرقان: ٦١

وعلى خلاف ذلك ذكر تقدم (القمر) على (الشمس) في آية واحدة فقط

﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ نوح: ١٦

ربما تتقدم الشمس لضرورتها للحياة أكثر من ضرورة القمر، لأن الشمس لما كانت أكبر وأعظم كانت أعجب، والنفس تطلب سبب الأمر العجيب أكثر مما تطلب سبب الأمر الذي لا يكون عجيبا[٦٧٥] أو أن الشمس قُدم على القمر لأنه قبله في الوجود[٦٧٦] وربما يتقدم الشمس لأن نوره أقوى ومنه يستمد القمر نوره فتجد تقديم الشمس أكثر على القمر، ومنه تقديم الشمس على القمر في قوله تعالى { وجعل فيها سراجا وقمرا منيراً } ولهذا قال تعالى {الشمس ضياء والقمر نورا ...}

واما قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾

نوح: ١٥ - ١٦ فيحتمل وجهين: مناسبة رءوس الآي أو أن انتفاع أهل السموات به أكثر، قال ابن الأنباري: يقال إن القمر وجهه يضئ لأهل الشمس وظهره إلى الأرض ولهذا قال تعالى (نوراً) لما كان أكثر نوره يضئ إلى أهل السماء الثامن[٦٧٧]وقوله في جانب الشمس : " ضياء " ؛ لأن الضوء أقوى من النور[٦٧٨] وجاء عند أبي هلال العسكري في الفرق بين الضياء والنور: هما مترادفان لغة[٦٧٩]. وقد يفرق بينهما بأن الضوء: ما كان من ذات الشئ المضئ، والنور: ما كان مستفادا من غيره. وعليه جرى قوله تعالى: " هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا " وقال الراغب: النور

---

٦٧٤) الأنعام ٩٦، الأعراف٥٤، يونس٥، يوسف٤، الرعد٢، إبراهيم٣٣، النحل١٢، الأنبياء٣٣، الحج١٨، العنكبوت٦١، لقمان٢٩، فاطر١٣، يس٤٠، الزمر٥، فصلت٣٧، الرحمن٥، القيامة٩

٦٧٥) مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ج٢٦ / ٢٦٣

٦٧٦) التعبير القرآني ، فاضل السامرائي، ص ٥٤

٦٧٧) البرهان في علوم القران للزركشي ٢٦٠/٥ ، ينظر الاتقان لعلوم القرآن للسيوطي ٩٧/٢

٦٧٨) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٢٦٦/١٠، ينظر تفسير ابي السعود ١٢٠/٤

٦٧٩) ليسا مترادفين لغة؛ وهذا باب كبير أثبت أنه لا ترادف تاماً في اللغة على الأغلب .

الضوء المنتشر الذي يعين على الابصار.وهو ضربان: دنيوي وأخروي.والدنيوي ضربان: معقـول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الانوار الآلهية كنور العقل ونور القرآن.ومنه: " قد جاءكم من ا نور " ومحسوس بعين التبصر وهو ما انتشر من الاجسام النيرة، كالقمرين والنجوم النيرات، ومنه: " هو الذي جعل الشمس ضياء

والقمر نورا " ومن النور الاخروي قوله تعالى: " يسعى نورهم بين أيديهم " [٦٨٠]

وأرى أن تقدم (الشمس) على (القمر) وهو الأغاب شيء اعتيادي وذلك لأن الحياة كلها تتوقف على وجود (الشمس) ولكن في الآية الوحيدة في سورة نوح١٦ تقدمت (القمر) على (الشمس) لأن المقام مقام التعجب، إذ كيف يكون للقمر نور وليس فيه أي مصدر للنور؟ أما الشمس فليس فيها العجب مثل القمر لأنها كتلة ملتهبة وهي مصدر النور وهذه الآية إحدى معجزات القرآن العظيم .

الموضع الثاني عشر

تقدم (الإنس) على (الجن) في :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١١٢ وفي مواضع أخرى[٦٨١] وعلى خلاف ذلك:

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٠

وفي مواضع أخرى[٦٨٢] .

ٱلْإِنسِ	وَٱلْجِنِّ
ٱلْجِنِّ	وَٱلْإِنسِ

٦٨٠) الفروق اللغوية لابي هلال العسكري ٣٣٢ -٣٣٣

٦٨١) الإسراء٨٨، الجن٥، الجن٦ / الرحمن ٣٩،٥٦،٧٤

٦٨٢) الأعراف٣٨، هود ١١٩، الأعراف١٧٩، النمل١٧، السجدة١٣، فصلت٢٩،٢٥، الأحقاف١٨، الذاريات٥٦، الرحمن٣٣ ، الناس ٦

ولكثرة الآيات التي ورد فيها (الانس) و(الجن) مجتمعين وإن بدا واضحاً من الإحصائية كثرة تقدم (الجن) على (الانس)، ويكشف الدكتور فاضل السامرائي بيان القرآن الرائع من خلال تقديم وتأخير الجن والإنس في آيتي الإسراء والرحمن :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ الرحمن: ٣٣ ، قدم في الأولى الإنس وقدم في الثانية الجن لأن مضمون الآية هو التحدي بالإتيان بمثل القرآن ، ولا شك أن مدار التحدي على لغة القرآن ونظمه وبلاغته وحسن بيانه وفصاحته.

والإنس في هذا المجال هم المقدمون ، وهم أصحاب البلاغة وأعمدة الفصاحة وأساطين البيان ، فإتيان ذلك من قبلهم أولى ، ولذلك كان تقديمهم أولى ليناسب ما يتلاءم مع طبيعتهم.

أما الآية الثانية فإن الحديث فيها عن النفاذ من أقطار السموات والأرض ، ولا شك أن هذا هو ميدان الجن لتنقلهم وسرعة حركتهم الطيفية وبلوغهم أن يتخذوا مقاعد في السماء للاستماع ، كما قال تعالى على لسانهم : " وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع " الجن ٩،فقدم الجن على الإنس لأن النفاذ مما يناسب خواصهم وماهية أجسامهم أكثر من الإنس[٦٨٣]

ويعلل الرزكشي لغلبة تقدم الجن إلى كونهم الأقدم في الخلق ويعزز التحكيم الى الزمن لما ظهر في آية الحجر الذي صرح بالقبلية بذكر الانسان [٦٨٤] ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحجر: ٢٦ – ٢٧، وأجاز الزركشي أن يكون تقدم الجن من باب تقدم الأعجب أو الأقوى[٦٨٥] وكما يبدو واضحاً أن الأغلب هو تقدم الجن على الإنس، وقالوا إن تقدم الإنس على الجن هو لشرفهم لأن منهم النبيين والرسل وعلى رأسهم رسولنا محمد ﷺ .

---

٦٨٣) اسرار البيان في التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي ٧٠

٦٨٤) البرهان في علوم القران للزركشي ٢٥٨/٣

٦٨٥) ينظر المصدر السابق ٢٥٨/٣.

وقيل أن لفظ الإنس أخف لمكان النون الخفيفة والسين المهموسة فكان الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف لنشاط المتكلم وجمامه، وأما في القرآن فلحكمة أخرى سوى هذه قدم الجن على الإنس في الأكثر والأغلب[٦٨٦]

وللفخر الرازي مسائل في رؤيته للآيات القرآنية، ففي قوله تعالى {وما خلقْتُ الْجِن والْإِنْس إِلا لِيعبدون} (٥٦) يقول : المسألة الثانية : تقديم الجن على الإنس لأية حكمة؟ نقول فيه وجوه الأول : بعضها مر في المسألة الأولى الثاني : هو أن العبادة سرية وجهرية ، وللسرية فضل على الجهرية، لكن عبادة الجن سرية لا يدخلها الرياء العظيم ، وأما عبادة الإنس فيدخلها الرياء فإنه قد يعبد ا لأبناء جنسه ، وقد يعبد ا ليستخبر من الجن أو مخافة منهم ولا كذلك الجن [٦٨٧].

وفي قوله تعالى { قُل لئِنِ اجتمعت الإنس والجن على أَن يأْتُواْ بِمثْلِ هذا القرءان لاَ يأْتُون بِمثْله } [الإسراء : ٨٨ يسأل الرازي عن الحكمة في تقديم الإنس على الجن ؟ فيجيب قائلاً : النفوذ من أقطار السموات والأرض بالجن أليق إن أمكن ، والإتيان بمثل القرآن بالإنس أليق إن أمكن ، فقدم في كل موضع من يظن به القدرة على ذلك [٦٨٨]

الموضع الثالث عشر

تقدم (الأموال) على (الأنفس)[٦٨٩] في :

﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ ... ﴾ النساء: ٩٥

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾التوبة ٢٠

﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ ... ﴾ التوبة: ٤٤

﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾ التوبة: ٨١

٦٨٦) بدائع الفوائد لابن القيم، ط١،(تحقيق هشام عبد العزيز عطا وآخرون)، مكتبة نزارمصطفى الباز، مكة المكرمة, ١٩٩٦م، ٦٥/١

٦٨٧) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٤ /٣٢٨

٦٨٨) ينظر المصدر السابق ٨٧/١٥ ، وينظر تفسير اللباب لابن عادل .

٦٨٩) البرهان في علوم القران للزركشي ٢٥٦/٣ ، وينظر الفتح القدير للشوكاني، (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) , ط١, مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده , مصر، ١٣٤٩هـ ، ج ٩٢/٥ .

﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ.. ﴾ التوبة: ٨٨

﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الصف: ١١

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ... ﴾ الأنفال: ٧٢

وعلى خلاف ذلك : وفي موطن واحد فقط [٦٩٠]

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ التوبة: ١١١

بِأَمْوَٰلِهِمْ	وَأَنفُسِهِمْ	التوبة ٢٠
أَنفُسَهُمْ	وَأَمْوَٰلَهُم	التوبة ١١١

يرى الزركشي في تقديم الأموال على الانفس في سورة الأنفال في قوله تعالى {بأموالهم وأنفسهم في سبيل ا } أن وجه التقديم هنا أن الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأموال فهو من باب السبق بالسببية [٦٩١]

ويقول الآلوسي : (وإنما قدم سبحانه وتعالى هنا ذكر الأموال على الأنفس وعكس في قوله عز شأنه : { إن ا اشترى من المؤمنين أَنفُسهم وأموالهم } [التوبة : ١١١] لأن النفس أشرف من المال فقدم المشتري النفس تنبيهاً على أن الرغبة فيها أشد وأخر البائع تنبيهاً على أن المماكسة فيها أشد فلا يرضى ببذلها إلا في فائدة . وعلى ذلك النمط جاء أيضاً قوله تعالى : { فَضلَ ا المجاهدين } في سبيله { بأموالهم وَأنفُسهم علَى القاعدين } من المؤمنين غير أولي الضرر { درجةً } لا يقادر

٦٩٠) شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية : محمود توفيق محمد سعد ١٠٠ ،
٦٩١) ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٥٦/٣

قدرها ولا يبلغ كنهها، وهذا تصريح بما أفهمه نفي المساواة فإنه يستلزم التفضيل إلى أنه لم يكتف بما فهم اعتناء به وليتمكن أشد تمكن)[٦٩٢]

ولأبي حيان الاندلسي توجيه، وفي قوله تعالى : {إِنّ اللّه اشْتَرى من الْمؤْمنين َأنفُسهم وَأموالَهم} فيقول : تقديم الأنفس على الأموال لتباين الغرضين، لأن المجاهد بائع، فأخر ذكرها تنبيهاً على أن المضايقة فيها أشد ، فلا يرضى ببذلها إلا في آخر المراتب. والمشتري قدمت له النفس تنبيهاً على أن الرغبة فيها أشد ، وإنما يرغب أولاً في الأنفس الغالي. {فَضّلَ اللّه الْمجـاهدين بِأَموالِهم وَأنفُسهم علَى الْقَـاعدين درجةً} الظاهر : أن المفضل عليهم هم القاعدون غير أولي الضرر ، لأنهم هم الذين نفى التسوية بينهم ، فذكر ما امتازوا به عليهم ، وهو تفضيلهم عليهم بدرجة ، فهذه الجملة بيان للجملة الأولى جواب سؤال مقدر ، كان قائلاً قال : ما لهم لا يستوون ؟ فقيل : فضل ا المجاهدين ، والمفضل عليهم هنا درجة هم المفضل عليهم آخراً درجات ، وما بعدها وهم القاعدون غير أولي الضرر. وتكرر التفضيلان باعتبار متعلقهما ، فالتفضيل الأول بالدرجة هو ما يؤتى في الدنيا من الغنيمة ، والتفضيل الثاني هو ما يخولهم في الآخرة ، فنبه بإفراد الأول ، وجمع الثاني على أن ثواب الدنيا في جنب ثواب الآخرة يسير) [٦٩٣]

ويرى الرازي التباين بين آيتي التوبة وآية النساء ٩٥ أن النفس أشرف من المال ، فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيهاً على أن الرغبة فيها أشد ، والبائع أخر ذكرها تنبيهاً على أن المضايقة فيها أشد ، فلا يرضى ببذلها إلا في آخر المراتب)[٦٩٤]

الموضع الرابع عشر

تقدم (لأواه) على (حليم) [٦٩٥] في :

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ التوبة: ١١٤

وعلى خلاف ذلك :

٦٩٢) تفسيرروح البيان للآلوسي ١٩٠/٤

٦٩٣) البحر المحيط لابي حيان ٢٧٠/٣

٦٩٤) ينظرمفاتيح الغيب للفخر الرازي ٨/١١

٦٩٥) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لآبن الجوزي ١٥٥ .

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ هود: ٧٥

إِنَّ	إِبْرَٰهِيمَ	لَأَوَّٰهٌ	حَلِيمٌ		التوبة ١١٤
إِنَّ	إِبْرَٰهِيمَ	لَحَلِيمٌ	أَوَّٰهٌ	مُّنِيبٌ	هود ٧٥

لم يجدالكرماني لتأخر(حليم) عن (لأواه) إلا مراعاة الفاصلة سبباً [٦٩٦]، والمقابلة بين هاتين الآيتين من انفرادات الغرناطي كما أشار هو لها(غ) فيقول عن تقدم الوصف بأواه في التوبة وبالحليم في هود أن وجه ذلك عنده أن الأواه الكثير التأوه، وفي كتاب ابن عطية أن التأوه التفجع، فالمراد بالآية أن ابراهيم، عليه السلام، مع غلاظة أبيه وقساوته حتى قال له ﴿ ... لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ... ﴾ مريم: ٤٦ وابراهيم، عليه السلام، مع ذلك يتأوه تأسفاً وتحسراً على رفض أبيه عن اجابته واتباعه مع تلطف إبراهيم عليه السلام، في قوله دعاء لأبيه إلى الايمان في أخبار ا تعالى عنه﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ مريم: ٤٢ إلى قوله ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ مريم: ٤٥ فكان، عليه السلام، لفرط ترحمه ورأفته وحلمه يتعطف على أبيه ويستغفر له، ولم يزل على ذلك إلى أن قطع من حاله وتبين له أنه عدو ا فتبرأ منه، فأخبر ا تعالى نبيه محمداًﷺ بما كان من أبيه ابراهيم في ذلك ليقتدي به ويهتدي بهديه، فقال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ التوبة: ١١٣ وأعلمه تعالى بعذر ابراهيم في استغفاره، وان ذلك كان عن موعدة تقدمت منه لأبيه، فتقدم وصف ابراهيم، عليه السلام، في هذه الآية بأنه أواه، وذلك مناسب لما بيناه، أما آية هود فمنزلة على ما ذكر سبحانه من مجادلته في قوم لوط جرياً على ما وصفه

٦٩٦) البرهان للكرماني ٩٨

سبحانه به من الحلم، فكان تقديم وصفه هنا بالحلم أنسب وأجرى على ما بني عليه، فوضح ورود كلا الموضعين على ما يجب ويناسب، ولا يمكن عكس الوارد على ذلك، وا أعلم[٦٩٧].

الموضع الخامس عشر

تقدم (الغفور) على (الرحيم) في :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يونس: ١٠٧

وفي مواطن أخرى[٦٩٨].

وعلى خلاف ذلك تقدم (الرحيم) على (الغفور) في موطنٍ واحد فقط

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ سبأ: ٢

وَهُوَ	ٱلْغَفُورُ	ٱلرَّحِيمُ	يونس١٠٧
وَهُوَ	ٱلرَّحِيمُ	ٱلْغَفُورُ	سبأ ٢

يقول الزركشي : المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، وإنما تأخرت فـي آية سبأ في قوله: {الرحيم الْغَفُور} لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيـرهم وهو قوله: {ما يلج في الأرض وما يخْرج منْها وما ينْزِلُ من السماء وما يعرج فيها وهـو الـرحيم الْغَفُور} فالرحمة شملتهم جميعا والمغفرة تخص بعضا والعموم قبل الخصوص بالرتبة [٦٩٩]

بعد أن يبين الدكتور فاضل السامرائي أن آية سبأ ٢، هي الموطن الوحيـد الـذي يتقـدم فيـه (الرحيم) على (الغفور) فيما اجتمع فيه هذان الاسمان الكريمان، وأما المواطن الأخرى فجاءت كلها بتقديم (الغفور) على (الرحيم) يقول وذلك أنه لم يتقدم الآية ما يتعلق بالمكلفين وإنما تقدمها أمر عام مما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها .

٦٩٧) ملاك التأويل لابن زبير الغرناطي ٦٠٤ - ٦٠٥

٦٩٨) ، يوسف٩٨، الحجر٤٩، القصص١٦، الزمر ٥٣، فصلت٣٢، الشورى٥، الأحقاف٨

٦٩٩) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٤٩/٣ ، وينظر بدائع الفوائد لابن القيم ٦٧/١ .

وقد تأخر ذكر المكلفين إلى ما بعـد فقـال ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ... ﴾ سبأ: ٣ والمكلفون هم الذين بهم الحاجة الى المغفرة. وأما الرحمة فأمر عام تعم المكلفـين وغيرهم . فهي كما تشمل المكلفين تشمل البهائم وسائر الأحياء الأخرى .

فلما كان ما تقدم الآية أمراً عاماً قدم الرحمة التي هي أعم من المغفرة . ولما أخّر ذكر المكلفـين أخر المغفرة لأنها تخصهم . يدلك على ذلك أن جميع المواطن التي تقدم فيها اسمه(الغفـور) علـى (الرحيم)تقدم فيها ذكر المكلفين وذلك نحو قوله تعالى ﴿ ...فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣ ﴾ البقرة: ١٧٣ وقولـه ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ ﴾ البقرة: ١٩٩ وقوله ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤ ﴾ المائدة: ٧٤ وقوله ﴿ ۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ الزمر: ٥٣ [٧٠٠]

الموضع السادس عشر

تقدم (كتاب) على (القرآن) [٧٠١] في :

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ ﴾ الحجر: ١

وعلى خلاف ذلك :

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ ﴾ النمل: ١

الٓر	تِلۡكَ ءَايَٰتُ	ٱلۡكِتَٰبِ	وَقُرۡءَانٖ	مُّبِينٖ	الحجر ١
طسٓ	تِلۡكَ ءَايَٰتُ	ٱلۡقُرۡءَانِ	وَكِتَابٖ	مُّبِينٍ	النمل ١

٧٠٠) من أسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ٧١ ، ١٣٨

٧٠١) لمسات بيانية من نصوص التنزيل للدكتور فاضل السامرائي المسألة ٣٣٥ ص ٧٣٨ .

انفرد الانصاري بملاحظته لتقدم الكتاب على القرآن في الحجر وتأخره عنه في النمل، ولكنه لم يوجهه سوى بأنه جاء جرياً على قاعدة العرب في تفننهم في الكلام [٧٠٢] ولم يجد الزمخشري وأبو حيان فرقاً بينهما فهما كالمتعاطفين في نحو : جاء زيد وعمرو، فتارة يظهر الترجيح وتارة لا يظهر[٧٠٣] وقال بعض الأجلة : قدم الوصف الأول ههنا نظرا إلى حال تقدم القرآنية على حال الكتابية وعكس هنالك لأن المراد تفخيمه من حيث اشتماله على كمال جنس الكتب الألهية حتى كأنه كلها ومن حيث كونه ممتازا عن غيره نسيج وحده بديعا في بابه، والاشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب أدخلُ في المدح لئلا يتوهم من أول الأمر أن امتيازه عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتماله على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة، وفي هذا حمل (أل) على الجنس في الكتاب والظاهر أنها في القرآن للعهد، فيختلف معناها في الموضعين واليه يشير ظاهر كلام الكشاف كما قيل، واعتذر له بأنه إذا رجع المعنيان إلى التفخيم فلا بأس بمثل هذا الاختلاف. وجوز أن تكون في الموضعين للعهد وأن تكون فيهما للجنس فتأمل. وقيل : إن اختصاص كل من الموضعين بما اختص به من تعيين الطريق [٧٠٤]

وقيل : قدّم الكتاب في الحجر؛ لأن الغالب في هذه السورة القطع، الذي هو من لوازم الكتاب، وذلك أن قطع بالأجل، والملائكة وحفظ الكتاب والرمي بالشهب وكفاية المستهزئين. وقدم القرآن في النمل؛ لأن العناية في السورة بالنشر، الذي هو من لوازم الجمع في مادة(قرأ) أكثر، ويدل عليه انتشار أمر موسى عليه السلام في أكثر من قصة[٧٠٥].

وقد يكون سبب تقدم القرآن على الكتاب ورود لفظ القرآن في سياق النمل كقوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ النمل: ٦ ،﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ النمل: ٧٦ ،﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ النمل: ٩٢ ،بيد أن لفظ الكتاب ورد أكثر في هذه السورة :

١ - { اذْهب **بكتَابِي** هذَا فَأَلْقه إِلَيهِم ثُم تَول عنْهم فَانظُر ماذَا يرجِعون } النمل٢٨

---

٧٠٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للشيخ زكريا الأنصاري ٤١٧

٧٠٣) ينظر الكشاف للزمخشري ١٣٤/٣ ، البحر المحيط لابي حيان الاندلسي ٥٣/٧

٧٠٤) روح المعاني للآلوسي ١٩ / ١٥٥

٧٠٥) نظم الدرر للبقاعي ٣/ ١١ ، ٢٠٠/٤

٢ - { قَالَتْ يا أَيها الملأُ إِني أُلْقي إِلَي **كتَابٌ** كرِيم } النمل٢٩

٣ - { قَالَ الذي عنده علْم من **الْكتَاب** أَنَا آتيك بِه قَبلَ أَن يرتَد إِلَيك طَرفُك فَلَما رآه مستَقراً عنده قَالَ هذَا من فَضل ربي لِيبلُوني أَأَشْكُر أَم أَكْفُر ومن شَكَر فَإِنما يشْكُر لِنَفْسه ومن كَفَر فَإِن ربي غَني كرِيم } النمل٤٠

٤ - { وما من غَائِبة في السماء والْأَرضِ إِلا في **كتَابٍ** مبِينٍ } النمل٧٥

كما أننا لو قلنا إن سبب تقدم الكتاب على القرآن في سياق سورة الحجر هو ورود لفظ الكتاب كقوله تعالى :﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ ﴾ الحجر: ٤، سيتعارض مع حقيقة أن لفظ القرآن ورد أكثر هنا أيضاً :

{ولَقَد آتَينَاك سبعاً من الْمثَاني **والْقُرآن** الْعظيم }الحجر٨٧

{الذين جعلُوا **الْقُرآن** عضين }الحجر٩١

وقد يكون تقدم (الكتاب)على(القرآن) في الحجر مرده وا أعلم إلى أن سورة (ابراهيم) التي تسبق (سورة الحجر) تبدأ بلفظ الكتاب {الَر **كتَابٌ** أَنزلْنَاه إِلَيك لِتُخْرِج الناس من الظُّلُمات إِلَى النورِ بِإِذْنِ ربهِم إِلَى صراط الْعزِيزِ الْحميد }إبراهيم١.

ولكن الدراسات القرآنية الحديثة التي أصبحت تهتم بدراسة السياق القرآني والتحديق فيه في ضوء ما توصلت إليه الدراسات السياقية من قواعد وأحكام توصلَتْ إلى رأي جديد في دلالة الكتاب والقرآن في السياق القرآني، ومن ذلك بحث قرآني ألقاه د. عودة أبو عودة في اليوم العلمي لكلية الشريعة في الجامعة الاردنية، ثم نشرها فيما بعد في كتاب(دراسات اسلامية وعربية) [٧٠٦]

قال فيه : إن الكتاب مصطلح على ما أنزله ا عزوجل على الرسل والأنبياء، كل في زمنه، وكل وفق ما أراده ا عزوجل له ولأمته في شرع {.. لِكُل جعلْنَا منكُم شرعةً ومنْهاجاً.. } المائدة٤٨، وكان كل نبي منهم يؤيد بمعجزة أو أكثر تؤيد دعوته، وكانت المعجزات تختلف عن الكتب السماوية التي تتنزل على الأنبياء والرسل. أما في حالة سيدنا محمد ﷺ فقد شاءت حكمة ا البالغة، وقضاؤه الحكيم أن يكون الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ هو في الوقت نفسه معجزته التي تؤيد دعواه. فنزل الكتاب قرآناً يتلى على الناس، قال تعالى {الر تلْك آياتُ الْكتَابِ الْمبِينِ۝ إِنا أَنزلْنَاه قُرآناً عربِياً لعلَّكُم تَعقلُون } يوسف ١-٢ .وورد قبل هذا في سورة الزخرف والواقعة وغيرها . ومن أجل

٧٠٦) الكتاب والقرآن في السياق القرآني، بحث منشور في كتاب (دراسات اسلامية وعربية) أشرف على إعدادها وتحريرها د.جمال أبو حسان ، دار الرازي، عمان- الأردن، ٢٠٠٣م .

هذا قرن الله عزوجل بينهما في آيتي سورة الحجر وسورة النمل، مع اختلاف في تقديم أو تأخر أحد المصطلحين عن الآخر ليبلغ الناس أنهما في الحقيقة شيء واحد، ولكن الكتاب نزل قرآنا يتلى لتتوحد طريقة قراءته على الناس جميعاً إلى يوم الدين وهذه معجزة خلود القرآن الكريم دون أي تحريف أو تغيير، قال تعالى {ورتل الْقُرآن تَرتيلاً} المزمل٤ ، أو قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْنَاه فَاتبِع قُرآنَه }القيامة١٨، وقد توصل الدكتور عودة أبو عودة أيضاً في بحث آخر[٧٠٧] أن الترتيل القرآني الذي أمر به رسول الله ﷺ في سورة المزمل وهي من أول ما نزل من القرآن إن هو إلا منهاج إلهي لحفظ القرآن الكريم، فتوحيد طريقة قراءة القرآن الكريم، وفق القراءة التوقيفية التي قرأ به جبريل عليه السلام بأمر من ربه، إضافة إلى انزال(الكتاب) مقروءاً بصورة صوتية قرآنية موحدة، كان ذلك سبباً في حفظ القرآن الكريم وانتشاره في الناس جميعاً إلى يوم الدين . ودليل هذا وجود مئات الملايين من البشر يقرأون القرآن وهم لا يعرفون اللغة العربية . فالترتيل القرآني ـ إذن ـ هو المنهاج الذي حفظ به القرآن الكريم وما كان ذلك ليكون لو نزل الكتاب كتاباً في ألواح تقرأ أو صحف تلقى على الناس، وهذا هو سر الجمع بين الكتاب والقرآن أو القرآن والكتاب في آية واحدة، وهذا أيضاً سر الأمر بترتيل القرآن الكريم في صورة صوتية موحدة إلى يوم الدين .

الموضع السابع عشر

تقدم (خضر) على (سندس) في :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ الكهف: ٣١

وعلى خلاف ذلك:

﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ الإنسان: ٢١

وَيَلْبَسُونَ	ثِيَابًا	خُضْرًا	مِّن سُندُسٍ	وَإِسْتَبْرَقٍ	الكهف: ٣١
عَٰلِيَهُمْ	ثِيَابُ	سُندُسٍ	خُضْرٌ	وَإِسْتَبْرَقٌ	الإنسان: ٢١

٧٠٧) أبوعودة، عودة خليل: **الترتيل القرآني أول درس صوتي في تاريخ اللغات**، بحث ألقي في مؤتمر جامعة آل البيت بعنوان، العربية والدرس الصوتي عام ٢٠٠٩ ثم نشر فيما بعد في مجلة مجمع اللغة العربية في الخرطوم- السودان .

يقول ابن عاشور عن أصل السندس أنه معرب عن اللغة الهندية وأصله (سندون) بنون في آخره ، قيل : إن سبب هذه التسمية أنه جلب إلى الإسكندر، وقيل له : إن اسمه (سندون) فصيره للغة اليونان سندوس (لأنهم يكثرون تنهية الأسماء بحرف السين) وصيره العرب سندساً . وفي اللسان (: أن السندس يتخذ من المرعزى (كذا ضبطه مصححه) والمعروف المرعز كما في (التذكرة) و (شفاء الغليل) . وفي (التذكرة) المرعز : ما نَعم وطال من الصوف . فلعله صوف حيوان خاص فيه طول أو هو من نوع الشعر ، والظاهر أنه لا يكون إلاّ أخضر اللون لقول يزيد بن حذاق العبدي يصف مرعى فَرسه :

وداويتُها حتى شَتَتْ حبشيةً كأن عليها سندساً وسدوساً[٧٠٨]

أي في أرض شديدة الخضرة كلون الحبشي [٧٠٩]

وقد قسم الفيروز آبادي للثياب في القرآن الكريم حديثاً فجعلها على ثمانية أوجه، جاء منها :

السابع: لأهل الإيمان ثوب العز والكرامة {عالِيهم ثياب سندسٍ خُضر وإستَبرقٌ}.

الثامن: للخواص ثياب النصرة والخُضرة فى الحضرة {ويلْبسون ثياباً خُضراً من سنْدسٍ}.[٧١٠]

والغرض من الآيتين يستوجب هذا التقديم والتأخير، ففي آية الكهف٣١ يوجد صنف من المسلمين يلبسون ثياباً لونها خضر وهذه الثياب من سندس، هنا تعني البعضية أن هذا اللباس ليس كله من سندس خالص، أما الآية ٢١ الانسان فإنها تدل على أن الثياب كلّها من سندس خالص، فالثواب في هذه السورة أعظم من سورة الكهف، لأنه في هذه السورة {... وسقَاهم ربهم شَراباً طَهوراً }الإنسان٢١ .

الموضع الثامن عشر

تقدم (فجاجا) على (سبلا) [٧١١] في :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأنبياء: ٣١

وعلى خلاف ذلك:

---

٧٠٨) البيت من الطويل، ليزيد بن خذاق العبيدي ، أنظر المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ، اعداد الدكتور أميل يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت ط ١ / ١٩٩٦، ٣٥/٤

٧٠٩) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٩٩/٢٩

٧١٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب ا العزيز ٥٩٧/١

٧١١) التقديم والتاخير في القرآن الكريم للدكتور عز الدين الكوردي ١١٩

﴿ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ نوح: ٢٠

وَجَعَلْنَا	فِيهَا	فِجَاجًا	سُبُلًا	الانبياء٣١
لِّتَسْلُكُواْ	مِنْهَا	سُبُلًا	فِجَاجًا	نوح ٢٠

يقول الدكتور فاضل السامرائي عن تقديم الفجاج على السبل في الآية الأولى: إن الفج في الأصل هو الطريق في الجبل أو بين الجبلين، فلما تقدم في آية الأنبياء ذكر الرواسي وهي الجبال قدم الفجاج لذلك، بخلاف آية نوح فإنه لم يرد فيها ذكر للجبال فأخرها. فوضع كل لفظ في الموضع الذي تقتضيه[٧١٢] .

وفي المقابلة بين الآيتين يقول الزمخشري : فإن قلت : في الفجاج معنى الوصف، فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى { لِّتَسلُكُواْ منْها سبلاً فجاجاً } نوح ٢٠، قلت : لم تقدم وهي صفة ، ولكن جعلت حالاً كقوله :"لِعزةَ موحشاً طلَلٌ [٧١٣]

موحشاً طلل....يعني أنها حال من سبل وهي نكرة ، فلو تأخر {فجاجا} لكان صفة كما في تلك الآية ولكن تقدم فانتصب على الحال قال : فإن قلت : ما الفرق بينهما من جهة المعنى ؟ قلت : وجهان أحدهما إعلام بأنه جعل فيها طرقاً واسعة ، والثاني بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة انتهى[٧١٤]. يعني بالإبهام أن الوصف لا يلزم أن يكون الموصوف متصفاً به حالة الإخبار عنه ، وإن كان الأكثر قيامه به حالة الإخبار عنه ، ألا ترى أنه يقال : مررت بوحشي القاتل حمزة ، فحالة المرور لم يكن قائماً به قتل حمزة ، وأما الحال فهي هيئة ما تخبر عنه حالة لإخبار {لَّعَلَّهم يهتَدون} في مسالكهم وتصرفهم[٧١٥].

٧١٢) التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي ٦٣

٧١٣) البيت لكثير عزة وعجزه: يلوح كأنه خلل (أنظر المعجم المفصل في شواهد العربية، اعداد د. أميل يعقوب ٢٦٦/٦) وهذا شاهد نحوي على جواز مجيء الحال من المبتدأ إذا تقدم عليه " فموحش" نَعت لـ " طَلَل" وصار حالاً لما تَقدم عليه لِأن الصفةَ لا تَتَقَدم على الموصوف، أنظر الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي ط ٥ ، (تحقيق دكتور فخر الدين قباوة)، ١٩٩٥م، ص١٠٣ ، وينظر شرح قطر الندى لابن هشام الانصاري ٢٣٧ .

٧١٤) الكشاف للزمخشري ١١٦/٣

٧١٥) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٢٦/٦ ، وينظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢٢/ ١٤٢

الموضع التاسع عشر

تقدم (الأولى) على (الأخرة) في

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ القصص: ٧٠

وعلى خلاف ذاك:

﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ النجم: ٢٥ ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾ النازعات: ٢٥

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ الليل: ١٣ ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ الضحى: ٤

ٱلۡأُولَىٰ	وَٱلۡأٓخِرَةِ	القصص ٧٠
ٱلۡأٓخِرَةُ	وَٱلۡأُولَىٰ	النجم٢٥، النازعات٢٥، الليل١٣، الضحى ٤

ويجعل الزركشي والسيوطي تقدم الآخرة لما هو متأخر في الزمان ولمراعاة الفواصل وقدمت كلمة "الأولى" كما في قوله تعالى: (له الحمد في الأولى والآخرة) [القصص٧٠] [٧١٦].

ويقابل الدكتور فاضل السامرائي بين الآيات في سورة القصص وسورة الليل موجهاً الفرق بينها من حيث التقديم والتأخير : في سورة القصص سياق الآيات (٧٠ - ٧٣) هو في نعم الدنيا من الآية: (وهو ا لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون، قل أرأيتم إن جعل ا عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير ا يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل ا عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير ا يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) فالسياق كله في الدنيا وما أودع ا تعالى من النعم في الأولى. فلذا ناسب تقديم الأولى على الآخرة في سورة القصص. وقال تعالى: (وله الحمد) أيضاً الذي يدل على أن النعم يجب أن تقابل بالحمد والشكر والاختيار ناسب السياق للآيات وهو تذكير للإنسان بنعم ا تعالى في الدنيا، أما في سورة الليل فقال تعالى (إن لنا للآخرة والأولى) لم يذكر الحمد وقدم الآخرة [٧١٧]

---

٧١٦) ينظر الاتقان في علوم القران ٩٨/٢، البرهان في علوم القرآن ٢٦٤/٣

٧١٧) لمسات بيانية في نصوص من الترتيل للدكتور فاضل السامرائي ٣٧٩

الموضع العشرون

تقدم (قارون) على (فرعون وهامان)[718]

﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ ﴾ العنكبوت: ٣٩

وعلى خلاف ذلك:

﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤ ﴾ غافر: ٢٤

وَقَٰرُونَ	وَفِرۡعَوۡنَ	وَهَٰمَٰنَ	العنكبوت ٣٩
فِرۡعَوۡنَ	وَهَٰمَٰنَ	وَقَٰرُونَ	غافر ٢٤

يقول ابن جماعة :لما قال تعالى في الآية السابقة لآية العنكبوت ٣٩ {وعاداً وثمود وقد تبين لكُم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانُوا مستبصرين }العنكبوت٣٨، وكانوا مستبصرين، وكان قارون أشدهم بصيرة لحفظه التوراة، وقرابة موسى، ومعرفته ناسب تقديم ذكره . وفي المؤمن: سياق الرسالة وكانت إلى قارون ومخالفته وعداوته بعد فرعون وهلاكه[719]. وقالوا تقدم قارون لشرف نسبه [720]

ويحدثنا الدكتور فاضل السامرائي عن اللمسات البيانية في ترتيب الأسماء أن الفكرة العامة أولاً في طريقة القرآن في الآيتين أن ما أخّره لا يأتي على ذكره في السورة ففي سورة العنكبوت أخّر هامان ؛ وهامان لم يذكر في السورة إلا في هذه الآية ، وفي آية سورة غافر أخّر قارون الذي لم يذكر في السورة إلا في هذه الآية.

ثم إن هناك أمراً آخر وهو أن في سورة العنكبوت قدم قارون على فرعون لماذا؟ لأنه إذا لاحظنا السياق في السورة في الآية التي سبقت الآية موضع السؤال (وعادا وثمود وقد تبين لكُم من مساكنهم

٧١٨) إسئلة بيانية في القرآن الكريم ،فاضل السامرائي ص ١٤٥

٧١٩) ينظر كشف المعاني لابن جماعة ٢٩٠

٧٢٠) تفسير أبي السعود ٤٠/٧ ، تفسير البيضاوي ٣١٦/٤ ،روح البيان، دارأحياء التراث العربي، ج ٣٤٠/٦ ، باظافة (فيه تنبيه لكفار قريش أن شرف النسب لا يخلص من العذاب كما لم يخلص قارون)، التفسير المنير للزحيلي، ط ٢ , دار الفكر المعاصر ، بيروت ,١٩٩٧م ، ج ٢٣٧/٢٠

وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (٣٨)) نجد أنه ورد في آخرها كلمة (مستبصرين) عن قوم عاد وثمود، وقارون كان مستبصراً فقد كان من قوم موسى فبغى عليهم أي أنه كان يعرف الحق مستبصراً به فجاء ذكره أولاً لأنه يدخل مع المستبصرين في الآية التي سبقت.

ثم إن الترتيب جاء مناسباً لترتيب العقوبة في السورة عقاب قارون أولاً (ومنهم من خسفنا به الأرض) ثم فرعون (ومنهم من أغرقنا) فالعقوبات ترتبت بموجب الذكر فالسياق إذن مناسب للعقوبات التي ذكرها ولا يصح غير هذا الترتيب من الناحية الفنية.

أما في سورة غافر فقد جاء قوله تعالى : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٢٣)) لمن أرسل موسى؟ لفرعون فناسب أن يكون فرعون أول المذكورين في الآية التي بعدها (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب (٢٤)) والسياق في السورة يدور حول فرعون (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد (٢٦)) (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦)) أما قارون فهو خارج السياق[٧٢١].

أرى وا أعلم أن ما جاء في غافر هو الأصل حيث كانت رسالة سيدنا موسى إلى فرعون أولاً { ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين } غافر٢٣، وأتفق مع الدكتور فاضل السامرائي في الشق الأول، وكما جاءت آيات كثيرة بهذا الأسلوب، فذكرت تسلسل هؤلاء المجرمين حسب درجات إجرامهم (فرعون، هامان، قارون) أما في سورة العنكبوت (الآية ٣٩) فقد ذكر قارون أولاً لأن الآية ذكرت المجيء(لقد جاءهم) ولم يذكرالإرسال(أرسلنا) حيث أن مجيء سيدنا موسى كان أولاً لقريبه قارون فالرسل كانوا ينذرون ويبشرون أقاربهم أولاً كما فعل سيدنا محمدﷺ {وأنذر عشيرتك الأقربين }الشعراء٢١٤، ثم أن تقدم قارون على فرعون وهامان جاء كإثبات لسنة كونية أن ما يفعله المقربون من النظام الفاسد إبتغاء القرب منه وإعلاء منزلتهم أشد مما يفعله النظام نفسه فيكثر الحديث عن أذناب النظام ويقول الباحث قاسم توفيق (..نرى أذناب النّظام أشد شراسة من النّظام نفسه، يبتغون عنده القرب والمنزلة، ويحاولون بمثل هذا أن يثبتوا جدارتهم كي يعتمد النّظام عليهم!)[٧٢٢]

---

٧٢١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل للدكتور فاضل السامرائي ٨٩٩ - ٩٠٠

٧٢٢) شخصية فرعون في القرآن ١٤٠، رسالة ماجستير لقاسم توفيق قاسم ، جامعة النجاح الوطنية- نابلس، فلسطين ٢٠٠٣

الموضع الواحد والعشرون

تقديم (الضلال) على (التكذيب) في :

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝٥١ ﴾ الواقعة: ٥١

وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ ﴾ الواقعة: ٩٢

ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا	ٱلضَّآلُّونَ	ٱلۡمُكَذِّبُونَ	الواقعة ٥١
وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ	ٱلۡمُكَذِّبِينَ	ٱلضَّآلِّينَ	الواقعة ٩٢

وهؤلاء هم من الأزواج الثلاثة الذين أخبرتنا الآية الكريمة عنهم بعد الصنفين الأولين (أصحاب اليمين، أصحاب الشمال) ويقول الدكتور فاضل السامرائي عن تقديم الضالين على المكذبين فلإنه تقدم في الآيات التي قبلها ذكر أصحاب الشمال وذكر أنهم كانوا قبل ذلك مترفين وأنهم كانوا يصرون على الحنث العظيم، وهذا من الضلال ثم ذكر بعد ذلك تكذيبهم بيوم البعث فقال ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٤٨ ﴾ الواقعة: ٤٧ - ٤٨ ، فناسب تقديم الظالين على المكذبين وأما قوله في آخر السورة ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ ﴾ الواقعة: ٩٢ ، بتقديم المكذبين على الضالين فلأن الآية وقعت في سياق التكذيب فقد ورد قبلها ذكر التكذيب قال تعالى: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ ﴾ الواقعة: ٨١ – ٨٢، ومن معاني الإدهان التكذيب والغش وإظهار خلاف ما يضمر. جاء في (معاني القرآن) للفراء (أنتم مدهنون) مكذبون كافرون. كل قد سمعته [٧٢٣] وجاء في (لسان العرب)(المداهنة والإدهان المصانعة واللين...والإدهان الغش... أدهن أظهر خلاف ما أضمر فكأنه بين الكذب على نفسه[٧٢٤] فناسب تقديم المكذبين على الضاليين ههنا[٧٢٥]

---

٧٢٣) معاني القرآن ١٢٠/٣

٧٢٤) من أسرار البيان القرآني للدكتور فاضل السامرائي ١١٩ – ١٢٠

٧٢٥) لسان العرب (باب دهن)

ويقول الرازي : قال ههنا : { الضالون المكذبون } بتقديم الضال وقال في آخر السورة : { وَأَما إِن كَان من المكذبين الضالين } [الواقعة : ٩٢] بتقديم المكذبين ، فهل بينهما فرق؟ قلت : نعم ، وذلك أن المراد من الضالين ههنا هم الذين صدر منهم الإصرار على الحنث العظيم ، فضلوا في سبيل ا ولم يصلوا إليه ولم يوحدوه ، وذلك ضلال عظيم ، ثم كذبوا رسله وقالوا : { أَءِذَا مِتْنَا } فكذبوا بالحشر ، فقال : { أَيها الضالون } الذين أشركتم : { المكذبون } الذين أنكرتم الحشر لتأكلون ما تكرهون ، وأما هناك فقال لهم : { أَيها المكذبون } الذين كذبتم بالحشر : { الضالون } في طريق الخلاص الذين لا يهتدون إلى النعيم ، وفيه وجه آخر وهو أن الخطاب هنا مع الكفار فقال : يا أيها الذين ضللتم أولاً وكذبتم ثانياً ، والخطاب في آخر السورة مع محمد ﷺ يبين له حال الأزواج الثلاثة فقال : المقربون في روح وريحان وجنة ونعيم ، وأصحاب اليمين في سلام ، وأما المكذبون الذين كذبوا فقد ضلوا فقدم تكذيبهم إشارة إلى كرامة محمد ﷺ حيث بين أن أقوى سبب في عقابهم تكذيبهم والذي يدل على أن الكلام هناك مع محمد ﷺ قوله : { فسلام لك من أصحاب اليمين } الواقعة ٩١ (٧٢٦).

ويرى ابن عاشور أنه تبارك وتعالى قّدم وصف (الضالون) على وصف (المكذبون) مراعاة لترتيب الحصول لأنهم ضلّوا عن الحق فكذبوا بالبعث ليحذروا من الضلال ويتدبروا في دلائل البعث وذلك مقتضى خطابهم بهذا الإنذار بالعذاب المتوقع (٧٢٧)

ويرى الباحث أنه في آية الواقعة (٥١) استعمل أسلوب النداء، واستعمل فيها (هاء)التنبيه، فالتنبيه يكون لمن لم يسلك الطريق الصحيح لذلك تقدمت كلمة (الضالون) .

أمـا آية الواقعة٩٢ فإنها تتحدث عن أقسام الناس في يوم القيامة {فَأَما إِن كَان من الْمقَربين } الواقعة٨٨، {وَأَما إِن كَان من الْمكَذبين الضالين }الواقعة٩٢ ، فالمكذب نوع يكون مقابل مصدق، ولكن الضال ليس بنوع ولذلك حقه التأخير ليكون صفة للنوع لا موصوفاً وا أعلم .

---

٧٢٦) مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ج ٢٩ / ٤١٦

٧٢٧) التحرير التنوير، ابن عاشور، ج ٢٧/ ٣٠٩

الموضع الثاني والعشرون

تقدم (هدى) على (نور)

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤

وعلى خلاف ذلك:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

الأنعام: ٩١

إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا	هُدًى	وَنُورٌ	المائدة: ٤٦
قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ	نُورًا	وَهُدًى	الأنعام: ٩١

وجاءت المقابلة بين هاتين الآيتين عند السيوطي في باب تقديم بعض الألفاظ وتأخيرها في مواضع ولكنه لم يوجهها وأكتفى بعلة التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب[٧٢٨]

وقد ورد في آيات من القرآن إطلاق النور على ما هو أعم من الهدى كما في قوله تعالى : { إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور} (المائدة ٤٤) وقوله : { قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس } (الأنعام٩١) فعطف أحد اللفظين على الآخر مشعر بالمغايرة بينهما وليس شيء من معاني لفظ النور الوارد في هذه الآيات بصالح لأن يكون هو الذي جعل وصفاً تعالى لا حقيقة ولا مجازاً فتعين أن لفظ (نور) في قوله : (مثل نوره كمشكاة (غير المراد بلفظ نور في

٧٢٨) معترك الاقران جلال الدين السيوطي ١٢٩/١ ، الاتقان في علوم القرآن ،ج ٤٠/٢

قوله : (ا   نور السماوات والأرض (فالنور لفظ مشترك استعمل في معنى وتارة أخرى في معنى آخر[729].

ويرى الباحث أنه في المائدة(٤٤) تقدمت كلمة(هدى) على(نور) وذلك لأن (فيها هدى) جملة اسمية في محل نصب حال من التوراة أي أن وظيفة التوراة الهداية وليس النور، ولا يستقيم معنى الآية إذا قدمت (نور) على(هدى) هنا .

أمـا آية الأنعام (٩١) فتقدمت فيها كلمة (نور) على (هدى) وذلك لأن كلمة (نور) حال مفردة من الضمير(هاء) في جملة(جاء به) أي أن هذا الكتاب حين مجيئه كان نوراً ثم هدى به الناس بعد ذلك .

الموضع الثالث والعشرون

تقدم (نحن وآبائنا) على (هذا) في :

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٣

وعلى خلاف ذلك:

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ النمل: ٦٨

لَقَدْ وُعِدْنَا	نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا	هَٰذَا	مِن قَبْلُ	إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ	المؤمنون٨٣
لَقَدْ وُعِدْنَا	هَٰذَا	نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا	مِن قَبْلُ	إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ	النمل ٦٨

بنى الاسكافي توجيهه للآيتين على أن آية المؤمنين أسندت الأفعال فيها إلى فاعليها بدون فصل، فجاء على القياس بإعتبار أن الضمير المرفوع المتصل(نا) في وعدنا لا يمكن العطف عليه باسم آخر حتى يؤكد بالضمير المنفصل (نحن) فجاءت على الترتيب والقياس (وعدنا.. ..نحن... هذا) أما آية النمل فقد علل لتقدم اسم الاشارة قياساً على الآية السابقة لها { وقَالَ الذين كفَروا أَئِذَا كُنا تُراباً وآباؤُنَا أَئِنا لَمخْرجون }النمل٦٧، الذي تقدم فيه (تراباً) على (آبائنا) المعطوف عليه حيث رأى أن القياس كان يجب أن يكون(..كنا نحن وآبائنا تراباً..) فعليه جاءت الآية التي تلتها على ذلك القياس .

729) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي ١٨ / ٢٣٣

يقول الاسكافي:(أنه لما كان الأول في حكاية تظاهرت فيها أفعال أُسندت إلى فاعليها متصلة بها، وهي { بل قالوا مثل ما قال الأولون } فهذان فعلان تعلّق بهما هذا المحكي، وكل واحد منهما جاء بعده فاعله مواصلاً له غير منفصل عنه، ثم بعده{ قالوا أئذا متنا} فكل هذه الأفعال قصد بها حكاية ما جاء بعدها، فلما كان { لقد وعدنا} وجب في البناء على الأفعال المتقدمة أن يتمم حكم الفاعل، وهو توكيده، والعطف عليه، فقدم {نحن وآبائنا} على المفعول الثاني، وهو {هذا} لذاك، ولأن الأصل إذا أُجرى عليه الشيء أولى من غيره .

وأما الآية الثانية من سورة النمل فإن الذي تقدمها { وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآبائنا} فأخرالمعطوف على اسم (كان) الذي هو كالفاعل لها، وهو قوله { وآبائنا} عن المنصوب الذي هو كالمفعول لها، وهو قوله {تراباً} فصار ما هو كالمفعول مقدماً على ما هو معطوف على الفاعل، فاقتضى البناء عليه تقديم المفعول ثم العطف على الفاعل المضمر فجاء { لقد وعدنا هذا نحن وآبائنا من قبل..} لذاك) [(٧٣٠)] ووافقه كل من الكرماني وابن جماعة والأنصاري [(٧٣١)]

أما الغرناطي فكان له توجيهه الخاص فقد وسع نطاق السياق في آية المؤمنين ليعود إلى الآية {أَفَلَمْ يدبروا الْقَولَ أَم جاءهم ما لَم يأْت آباءهم الْأَولين }المؤمنون٦٨ ، فيبني تعليله على أساس أن تقدم (نحن وآبائنا) مرده هو سبق آبائهم بالانذار ولم يذكر ذلك في آية النمل فتقدم الأهم(هذا) يقول الغرناطي :(أنه لما تقدم قبل آية المؤمنين قوله تعالى { أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آبائهم الأولين} فتقدم التعريف في هذه الآية أن آباءهم قد جاءتهم الرسل، وأنذروا كما أنذر هؤلاء، لهذا قالوا: { لقد وعدنا نحن وآباءنا هذا من قبل إن هذا الا أساطير الأولين}، ولما لم يتقدم في آية النمل ذكر إنذارهم كان أهم شيء ذكر الموعود به الذي هو (هذا) فقالوا { لقد وعدنا هذا}) [(٧٣٢)]

تفاوت الاسكافي والغرناطي في تحكيمهم السياق القريب عند الاول الذي حكم الآية ٦٧ النمل ليوجه الآية ٦٨ النمل بينما عاد ابن الزبير إلى الآية ٦٨ المؤمنون ليوجه الآية ٨٣ من السورة نفسها وعلى الرغم من ذلك فهناك عامل مشترك بين الآيتيين اللتين أحتكما إليهما، فالأولون هو

---

٧٣٠) درة التنزيل للإسكافي ٩٤٣ - ٩٤٥

٧٣١) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ١٣٥ – ١٣٦، كشف المعاني لبدر الدين بن جماعة ٢٦٨ – ٢٦٩، فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصاري ٣٩١ - ٣٩٢

٧٣٢) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ٨٨٠

(آبائنا) مما يجعل المراد واحداً ويؤكد توجيههما اللذين يصبان في قالب واحد وهو إثبات إعجاز القرآن العظيم .

ويرى الزمخشري أن التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر ، وإن الكلام إنما سيق لأجله ، ففي إحدى الآيتين دلّ على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام ، وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد[٧٣٣] ووافقه أبوحيان في ذلك [٧٣٤].

ويلتفت الخطيب القزويني إلى السياق القبلي ويقول: أن ما قبل الأولى { وقَالَ الذين كفَروا أَإِذَا كُنا تُراباً وآباؤُنَا أَإِننا لَمخْرجون } النمل٦٧، وما قبل الثانية { قَالُوا أَإِذَا متْنَا وكُنا تُراباً وعظَاماً أَإِننا لَمبعوثُون } المؤمنون٨٢ فالجهة المنظور فيها هناك كونهم أنفسهم وآباؤهم تراباً . والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً. ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم في تبعيد البعث[٧٣٥].

أما فاضل السامرائي فيرى أن البلى في الحالة الأولى أكثر وأشد ذلك أنهم أصبحوا تراباً مع آبائهم . وأما في الآية الثانية فالبلى أقل وذلك أنهم تراب وعظام فلم يصبهم ما أصاب الأولين من البلى. ولذا قدم (هذا) في الآية الأولى لأنه ادعى إلى العجب والتبعيد[٧٣٦].

---

٧٣٣) ينظرالكشاف للزمخشري ٣٨٥/٣ .

٧٣٤) البحر المحيط لابي حيان ٧٠/٧

٧٣٥) الايضاح للخطيب القزويني ١/ ١١٦

٧٣٦) ينظرالتعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي ٦٦ - ٦٧

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة التي عشت فيها مع القرآن الكريم دراسةً وتحليلاً يمكنني أن أوجز اهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي :

١- التقديم والتأخير من أهم الظواهر الأسلوبية التي تكسب اللغة مرونة عجيبة تسمح بتجاوز الرتب المحفوظة دون حصول خال مع وجود الاعراب أو القرائن الأخرى، فتصبح للتراكيب معاني جديدة مختلفة عما هي عليه عندما تأتي على الأصل .

٢- جاءت هذه الدراسة في مزاوجة بين معطيات علم النحو بعلم المعاني والاقتران بينهما من خلال النماذج التطبيقية في الآيات المتشابهة لفظاً .

٣- لا يصل درس العربية الفصحى إلى قمة الأداء إلا حين يمزج بين علمي النحو والمعاني والأخير جزء لا يتجزأ من الدرس النحوي .

٤- مع كثرة الدراسات البيانية واللغوية في القرآن الكريم يبقى كتاب ا معيناً لا ينضب، ونبعاً يروي الجميع، ولا ينقص منه شيء، وفي تجدد مستمر؛ لكونه كلام ا المعجز الذي يعلا ولا يعلا عليه .

٥- سيبويه وإن كان الرائد في الكشف عن بلاغة التقديم والتأخير إلا أن الجرجاني تمكن من ربط القواعد النحوية بالمعاني والدلالات منطلقاً من رأيه القائل أن النحو هو العلم بالمعنى.

٦- الجملة الاسمية ـ التي يكون خبرها فعلاً ـ متنوعة في دلالتها بين مسألة الثبات والتجدد وهذا ما لا تتميز به الجملة الفعلية التي تكتفي بالتجدد فقط .

٧- من خلال دراسة التقديم والتأخير في الآيات المتشابهة لفظاً يتضح لنا تركيب الجملة قبل العدول عن الأصل وبعده، بينما في المواضع الأخرى في غير آيات المتشابه اللفظي كقوله تعالى { وجعلُواْ لِلّه شُركاء الْجِن ...} الأنعام١٠٠، ستجعل الباحث يتصور حسب قوانين النحو الترتيب الأصلي للتركيب فيلحق كلام ا بقياس البشر والأصل أن يكون العكس .

٨- بدأت أصول الكتابة في المتشابه اللفظي كتصنيف لا توجيه للإعانة على حفظ كتاب ا ، وانتهت رداً على الطاعنين الملحدين في القرآن، فجاءت ثمرة إخلاص العلماء العاملين أروع التصانيف في التفسير وعلوم القرآن وباباً في إعجاز الذكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بيد يديه ولا من خلفه.

٩- هناك كتب مختصة بالمتشابه اللفظي وتوجيه آياتها ورائدها الخطيب الاسكافي ثم الكرماني ويليهم الغرناطي والأنصاري، بينما نجد كتباً أخرى تضم في ثناياها معالجة آيات المتشابه اللفظي فتدرج في كتب التفسير نحو كتاب (كشف المعاني لابن جماعة) أو في علوم القرآن فقط نحو (كتاب قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي) .

١٠- رغم تميز الاسكافي والكرماني والغرناطي بإحصائاتهم وتوجيهاتهم المميزة للآيات المتشابهة لفظاً فلا بد من ذكر فضل ابن جماعة والأنصاري حيث كانت لهم انفراداتهم أيضاً وإن قلت، فضلاً عن المحدثين من المفسرين كابن عاشور وعلماء اللغة كفاضل السامرائي وغيرهم والباب مفتوح دائماً من هذا المعين الثر والمأدبة عامرة وستبقى لمن أخلص النية تبارك وتعالى .

١١- الفضلة وإن كانت خارج ركني الإسناد الرئيسين فهذا لا يعني جوازالاستغناء عنها فغيابها أحياناً فضلاً عما يسببه من خلل في صحة المعنى قد يتجاوز إلى أن لا يحصل إكتمال للمعنى بدونه ، فيتطلب ذلك وجوب وجودها في الجملة .

١٢- الآراء التي تنادي بجعل الغرض من التقديم والتأخير الذي يأتي في أواخر الآي محصورة في قضية رعاية الفاصلة تفرغ فكرة هذه الظاهرة الأسلوبية من مقاصدها، فالغاية لبيان الأهمية وللحصر والتخصيص أقرب من أن تكون محصورة ومخصوصة برعاية الفاصلة .

١٣- ثبت أن غرض التقديم للاهتمام الذي فتح سيبويه بابه وكشف عنه هو أهم أغراض التقديم والتأخير ويتضح هذا جلياً عند ابن الزبير الغرناطي الذي تعددت نقولاته عن كتاب سيبويه وإحالاته واستشهاداته بما ورد فيه من شواهد شعرية وأخص بالذكر البيت التالي :

لتقربن قرباً جلذياً ما دام فيهن فصيل حياً

وهو أكثر الأبيات تكراراً ـ سبع مرات ـ في ملاك التأويل شاهداً على تقدم (فيهن) على (فصيل) ويكثر من ترديده مقولة سيبويه المضيئة (كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى) لبيان أهم أغراض التقديم والتأخير .

١٤- تفاوتت رؤى علماء المتشابه اللفظي وهم يوجهون الآيات بين مراعاة الجانب اللفظي والمناسبة اللفظية وهذا ما أشتهر به الخطيب الاسكافي غالباً في تعليلاته وبين الجانب المعنوي والمناسبة المعنوية التي اشتهر بها ابن زبير الغرناطي .

١٥- أما النتائج المستخلصة من المقابلة بين الآيات المتشابهات فجعلتها ختام كل موضع من المواضع بما وفقني ا فيه وفتح به علي.

المصادروالمراجع

* **ابن الأثير**, مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ) .

١- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ط ١, (تحقيق عبد القادر الأرنؤوط), مكتبة الحلـواني , مطبعة الملاح , مكتبة دار البيان، ١٩٧٠م .

* ابن الأثير ، أبو الفتح ضياء الدين محمد (ت٦٣٧ هـ) .

٢- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٩٩٥م .

* الأحمر، مي .

٣- **التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة** ، (رسالة ماجستير) ، الجامعـة الامريكيـة ، بيـروت ، ٢٠٠١ م .

* الأدنروي , أحمد بن محمد .

٤- **طبقات المفسرين** , ط١، (تحقيق:سليمان بن صالح الخزي) , مكتبة العلوم والحكـم , المدينـة المنورة ,١٩٩٧م .

* الأزهري , خالد بن عبد ا (ت ٩٠٥ هـ) .

٥- **شرح التصريح على التوضيح** أو(التصريح بمضمون التوضيح في النحو) ,ط ١,(تحقيق محمد باسل عيون السود) ، دار الكتب العلمية , بيروت ، ٢٠٠٠م .

٦- **موصل الطلاب إلى قواعد الاعراب** , ط١,(تحقيق عبدالكريم مجاهـد) , مؤسسـة الرسـالة , بيروت ، ١٩٩٦م .

* الاستانبولي ، اسماعيل حقي بن مصطفى (ت١١٢٧هـ) .

٧- روح البيان ، دارأحياء التراث العربي

* الاستراباذي، الرضي

٨- **شرح الرضي على الكافيـة** ،(تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر) منشورات جامعة قان يونس، بنغازي ط٢ / ١٩٩٦م .

* الاشموني ، علي بن محمد بن عيسى (ت ٩٠٠هـ).

٩- **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك** ، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) ، دار إحيـاء الكتب العربية .

* ابن أبي الأصبع ، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر (ت٦٥٤ هـ)

١٠- **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر** باب التهذيب والتأديب ، (تحقيق الدكتور حفني محمد شرف) , لجنة إحياء التراث الاسلامي , الجمهورية العربية المتحدة .

* الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)

١١- **المفردات في غريب القرآن** ، (تحقيق محمد سيد كيلاني) ،الناشر دار المعرفة، لبنان.

* الأطرش **,** عطية صدقي عطية **.**

١٢- دراسات في كتب المتشابه اللفظي من القرآن الكريم (الاسـكافي، الكرمـاني، الغرنـاطي) ، رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية , عمان , ١٩٩٧ م .

* الأفغاني ، سعيد .

١٣- **في أصول النحو** ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

* الألوسي , شهاب الدين محمود ابن عبدا الحسيني .

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني , دار إحياء التراث العربي،بيروت

* ابن الأنباري ، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن ابن محمد بن ابي سعيد(ت ٥٧٧هـ)

١٥- **نزهة الأباء في طبقات الأدباء** ، ط ٣، (تحقيق ابراهيم السامرائي) مكتبة المنـار، الزرقـاء، الأردن ، ١٩٨٥ م.

١٦- **أسرار العربية** ، ط١، (تحقيق محمد حسين شمس الدين) ، دار الكتب العلميـة ، بيـروت ، ١٩٩٧م.

١٧- الانصاف في مسائل الخلاف ، دار الطلائع ، القاهرة .

* الأنصاري ، عبدا بن يوسف بن عبدا بن يوسف بن أحمد بن عبدا بن هشام .

١٨- **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** ، ط ١، (تحقيق عبد الغنـي الـدقر)، الشـركة المتحدة للتوزيع ، دمشق ،١٩٨٤ م .

* الأنصاري , ابو يحيى زكريا (ت٩٢٨ هـ) .

١٩- فتح الرحمن بكشف ما يتلبس في القرآن , ط ١, (تحقيق محمـد علـي الصـابوني) ، دار القرآن الكريم ، بيروت , ١٩٨٣م .

* آيدن , مصطفى .
٢٠- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ، اطروحة دكتـوراه , جامعـة ام القـرى , السعودية , ٢٠٠١م .
* أنيس ، ابراهيم .
٢١- **من أسرار اللغة** ، ط٣ ، مكتبة الانجلو المصرية , مصر ،١٩٦٦ م .
* الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم .
٢٢- إعجاز القرآن، ط١ ، (تحقيق السيد أحمد الصقر)، دار المعارف ، القاهرة .
* البقاعي , برهان الدين ابراهيم بن عمر (ت٨٨٥ هـ) .
٢٣- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** , دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٩٥م .
* البلخي , مقاتل بن سليمان (ت١٥٠ هـ) .
٢٤- **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم** ، ط١, (تحقيق حاتم صالح الضامن) ، مركـز جمعـة الماجد للثقافة والتراث , دبي ، ٢٠٠٦م .
* البنجابي، عبد الغفور عبد الكريم
٢٥- **التوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القران**، ط١/ مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٩٩٤م
* البواب , غادة أحمد قاسم .
٢٦- التقديم والتأخير في المثل العربي ,رسالة ماجستير , جامعة مؤتة , ٢٠٠٦م .
* أبو بكرالجصاص ، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى : ٣٧٠هـ)
٢٧- أحكام القرآن , دار إحياء التراث العربي , بيروت , ١٩٨٤م .
* توفيق، أميرة علي .
٢٨- **الجملة الاسمية عند ابن هشام الانصاري** ، مطبعة البرلمان ، القاهرة ،١٩٧١ م .
* التونسي , محمد الطاهر ابن عاشور .
٢٩- التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧ م .
* الجرجاني ، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ) .
٣٠- **دلائل الإعجاز** ، ط١، (تحقيق محمد التنجي) ، دار الكتاب العربي , بيروت ،١٩٩٥م .
* الجرجاني، علي بن محمد بن علي .

٣١- **التعريفات ,** ط ١ ، تحقيق ابراهيم الابياري , دار الكتاب العربي , بيروت ، ١٤٠٥ م .

* الجزائري, جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر .

٣٢- **أيسر التفاسير** لكلام العلي الكبير، ط ٥ , الناشر مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، ٢٠٠٣م .

* الجكني الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت ١٣٩٣هـ) .

٣٣- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** , دار الفكر للطباعة والنشر , بيروت , ١٩٩٥م

* ابن جماعة , بدر الدين محمد بن ابراهيم (ت٧٣٣هـ) .

٣٤- **كشف المعاني في المتشابه من المثاني** ، ط١, (تحقيق عبد الجواد خاف)، دار الوفاء للنشر, مصر،١٩٩٠م .

* أبن جني ، أبي الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ) .

٣٥- **الخصائص** ،(تحقيق محمد علي النجار) ،المكتبة العلمية ، بيروت ، ، ١٩٥٢م .

٣٦- اللمع في العربية ، (تحقيق فائز فارس) ، دار الكتب الثقافية الكويت ،١٩٧٢.

٣٧- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها , ط ٢, (تحقيق علي النجدي ناصف، الدكتور عبد الفتاح اسماعيل الشلبي) .

* أبن الجوزي , ابي فرج (ت٥٩٧هـ) .

٣٨- **المدهش** , ط٢، (ضبطه وصححه وعلق عليه الدكتور مروان قباني) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٨٥م .

٣٩ - **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ،** ط ١، (تحقيق حسن ضياء الدين عتر) ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

* حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد ا القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ) .

٤٠- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م .

* الحبيشي , فهد بن عبد ا الحزمي .

٤١- **ري الظمآن في بيان القرآن** , موقع مكتبة صيد الفوائد www.saaid.net .

* حسان، تمام .

٤٢- **اجتهادات لغوية** , ط١, عالم الكتب القاهرة , ٢٠٠٧م .

٤٣- **الأصول**(دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م

٤٤- **اللغة العربية معناها ومبناها** ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب ، ١٩٩٤م .

٤٥- **البيان في روائع القرآن** , ط١, عالم الكتب, القاهرة , ١٩٩٣م .
٤٦- **الخلاصة النحوية** ، ط١، عالم الكتب ، القاهرة ،٢٠٠٠م .
* ابو حسان ، جمال .
٤٧- **الكتاب والقرأن في السياق القرأني** , بحث منشورفي كتاب (دراسات اسلامية وعربية) , دار الرازي ، عمان , ٢٠٠٣ م .
* الحسناوي , محمد .
٤٨- **الفاصلة في القرآن** , ط٢, دار عمار, الأردن , ٢٠٠٠م .
* حسن ، عباس
٤٩- **النحو الوافي** ، ط٣ ، دار المعارف بمصر .
* حسين ،عبد القادر .
٥٠- **أثر النحاة في البحث البلاغي** ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٩٨م .
* ابو حفص الدمشقى , عمر بن على ابن عادل (ت ٨٨٠ هـ) .
٥١- **تفسير اللباب** , ط ١, دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٩٨م .
* الحلبي، السمين .
٥٢- **الدر المصون في علم الكتاب المكنون** ،(تحقيق علي معوض وآخرون)، دار الكتب العلمية ، بيروت ,١٩٩١م.
* أبو حيان الأندلسي, محمد بن يوسف (ت٧٥٤هـ) .
٥٣ - **البحر المحيط** , ط ١، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض , دار الكتب العلمية, بيروت ، ٢٠٠١م .
* حيدر، حازم سعيد .
٥٤- **علوم القرآن بين البرهان والإتقان** (دراسة مقارنة) ، مكتبة دار الزمان ، السعودية ،١٤٢٠هـ .
* الخالدي، صلاح عبد الفتاح
٥٥- **اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني** ، ط ١، دار عمار للنشر، عمان ٢٠٠٠ م .
* الخطيب، عبد الكريم
٥٦- **إعجاز القرآن،** ط١، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

* خضر , قاسم توفيق قاسم .
٥٧- **شخصية فرعون في القرآن** , الرسالة ماجستير، ، جامعة النجاح الوطنية , فلسطين ,٢٠٠٣م .
* خضر , محمد زكي محمد .
٥٨- **المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظاً في القرآن الكريم** , ط١ , عمان ,٢٠٠١م .
* الخضري ، محمد بن مصطفى بن حسن الشافعي (ت١٢٨٧هـ) .
٥٩- **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، دار الفكر للطباعة .
* الخفاجي , ابن سنان .
٦٠- **سر الفصاحة** , ط١ , دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م .
* الدرويش ، محيي الدين
٦١- **إعراب القرآن وبيانه** ، ط٧، دار ابن كثير، دمشق ، ١٩٩٩
* الراجحي , عبده .
٦٢- **التطبيق النحوي** ، ط١ , مكتبة المعارف للتوزيع والنشر, السعودية , ١٩٩٩م .
* الرازي, فخرالدين محمد بن عمر(ت ٦٠٦ هـ) .
٦٣- **مفاتيح الغيب** , ط ١ , دار الكتب العلمية , بيروت ، ٢٠٠٠م .
* رضا, محمد رشيد بن علي (ت ١٣٥٤هـ) .
٦٤- **تفسير المنار,** الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , ١٩٩٠م .
* ذو الرمة
٦٥- **ديوان ذي الرمة** ، ط١ ،(تقديم وشرح أحمد حسن بسج) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٩٥ م
* الزجاجي، أبي قاسم عبد الرحمن (ت٣٣٩هـ) .
٦٦- **الايضاح في علل النحو** ، ط ٣ ،(تحقيق الدكتور مازن المبارك) ، دار النفائس , بيـروت ، ١٩٧٩م .
* الزحيلي , وهبة بن مصطفى .
٦٧- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمـنهج** ، ط ٢ , دار الفكـر المعاصـر ، بيـروت ,١٩٩٧م .
* الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد ا بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ).

٦٨- **البرهان في علوم القرآن** ،(تحقيق محمد أبو الفضـل ابـراهيم)، دار المعرفـة ، بيـروت ،١٣٩١هـ .

* الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد (ت١٣٩٦هـ) .

٦٩- **الأعلام** ، ط ١٥، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .

* أبن زكريا , أبي الحسين أحمد بن فارس .

٧٠- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها** ، ط١ ،(تحقيق السيد أحمد صقر) ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

* الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار ا (المتوفى : ٥٣٨هـ).

٧١- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، (تحقيق عبد الرزاق المهدي)، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

٧٢- **المفصل في صنعة الاعراب** , ط١ , (تحقيق علي بو ملحـم), مكتبـة الهـلال , بيـروت ، ١٩٩٣م .

* أبو زينة ، منصور محمود .

٧٣- **الحذف والذكر في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** ، (رسالة ماجستير) ، الجامعة الاردنية ، عمان ,٢٠٠٢م .

* الزواوي، يحيى

٧٥- **دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ في آيات القران الكريم**، ط٣ ، مكتبة السنة ببور سعيد، مصر ٢٠٠٧.

* الزيوت , محمد علي محمد .

٧٦- **ضوابط التقديم والتأخير في الجملة العربية** , رسالة ماجستير, جامعة آل البيت ، عمان .

* السامرائي , ابراهيم .

٧٧- **النحو العربي نقد وبناء** , دار الصادق , بيروت .

* السامرائي ، فاضل .

٧٨- **اسئلة بيانية في القرآن الكريم**، ط١, مكتبة الصحابة , القاهرة , ٢٠٠٨م .

٧٩- **تحقيقات نحوية** ، ط ١، دار الفكرللنشر والتوزيع ، عمان ،٢٠٠١ م .

٨٠- **التعبير القرآني** ، ط ٧ ، دارعمار للنشر ، عمان ، ٢٠١٠ م .

٨١- **الجملة العربية والمعنى** ، ط ٢ ، دار الفكر ، عمان ، ، ٢٠٠٩ م .
٨٢- **على طريق التفسير البياني** , النشر العلمي ، جامعة الشارقة ٢٠٠٢م .
٨٣- **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل** , ط ٣ , دار عمار للنشر والتوزيع, عمان , ٢٠٠٣م
٨٤- **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل،** الأنترنيت، موقع إسلاميات
http://www.islamiyyat.com/
٨٥- **من أسرار البيان القرآني** , ط١ , دار الفكر , عمان ,٢٠٠٩م .
٨٦- **معاني الأبنية** ، ط ٢، دار عمارللنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٧ م .
٨٧- **معاني النحو** ، ط٢ ،شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
* السامرائي ، محمد فاضل .
٨٨- **دراسة المتشابه اللفظي من آيات التنزيل في كتاب ملاك التأويل لابن زبير الغرناطي** , ط ٣ , دار عمار للنشر ،عمان ، ٢٠١١م .
* السخاوي، علم الدين علي بن محمد (ت ٦٣٤هـ)
٨٩- **هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب،** (تحقيق عبد القادر الخطيب الحسني)، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٤م
* ابن السراج ، أبي بكر محمد بن سهل .
٩٠- **الأصول في النحو** ،ط ٣، (تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي) ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٦م.
* سعد ، محمود توفيق محمد .
٩١- **شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية** ، ط ١ ، الأزهر ، ١٤٢٢هـ .
* أبو السعود , محمد بن محمد العمادي .
٩٢- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**, دار إحياء التراث العربي , بيروت .
* السكاكي ، سراج الدين أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي (ت ٦٢٦هـ) .
٩٣- **مفتاح العلوم** ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية , بيروت ، ١٩٨٧ م .
* السمرقندي , أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم .
٩٤- **بحر العلوم** , (تحقيق محمود مطرجي) , دار الفكر , بيروت .
* سيبويه ، ابو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٧٧ هـ) .

٩٥- **الكتاب** ، (تحقيق عبد السلام محمد هارون) ، مكتبة الخانجي ، بالقاهرة .

* السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ).

٩٦- **الإتقان في علوم القرآن** ، ط ١،(تحقيق سعيد المندوب) ، دار الفكر ، لبنان ، ١٩٩٦ م .

٩٧- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** , ط ٢ , (تحقيق محمد أبوالفضل ابـراهيم)، دار الفكر , ١٩٧٩م .

٩٨- **الدر المنثور** , دار الفكر , بيروت , ١٩٩٣م .

٩٩- **قطف الأزهار في كشف الأسرار** , ط ١, (تحقيق الدكتور أحمد بن محمد الحمادي) ،(اصدار وزراة الأوقاف والشؤون الاسلامية , قطر , ١٩٩٤م .

١٠٠- **لباب النقول في أسباب النزول** ، دار إحياء العلوم , بيروت .

١٠١- **معترك الأقران في إعجاز القرآن** ، ط ١، (ضبط وتصحيح أحمد الشمس الدين) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨م .

١٠٢- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، ط١، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .

* الشاذلي , أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة .

١٠٣- **البحر المديد** , ط ٢ , دار الكتب العلمية , بيروت ، ٢٠٠٢م .

* بنت الشاطئ ,عائشة عبد الرحمن .

١٠٤- **الإعجاز البياني في كتاب العربية الأكبر** , ط ٢ , دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

* الشثري , صالح عبد ا محمد .

١٠٥- **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية** ، اطروحة الدكتوراه , جامعة أم القرى , المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٠ م .

* الشحوذ، حسن عبد الكريم

١٠٦- **التقديم والتأخير عند اللغويين العرب القدامى مع تطبيق على سور مـن القـرآن الكـريم** (أطروحة دكتوراه) ،جامعة تشرين ، سوريا ٢٠٠٢م .

* الشربيني , محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ) .

١٠٧- **تفسير السراج المنير** ، مطبعة بولاق الأميرية ، القاهرة ، ١٢٨٥هـ .

* الشعراوي ، محمد متولي (ت١٤١٨هـ).

١٠٨- **تفسير الشعراوي** ، د.م: أخبار اليوم، قطاع الثقافة، ١٩٩٧م .

* الشوكاني , محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ) .

١٠٩- **الفتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)** , ط١, مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده , مصر، ١٣٤٩هـ .

* شيخون، محمود محمد السيد

١١٠- **أسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم في لغة القرآن الكريم،** ط١ ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة -١٩٨٣م .

* صالح، لبيب محمد جبران .

١١١- **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الاسـكافي والغرنـاطي** ، ط ١، دار الفاروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٠م .

* الصامل , محمد بن علي .

١١٢- **من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** , ط١ , دار اشبيليا , السعودية , ٢٠٠١ م

* الصعيدي، عبد المتعال

١١٣- **البلاغة العالية علم المعاني** (تقديم ومراجعة د.عبد القادر حسين)، ط٢ ، مكتبة الاداب، القاهرة ١٩٩١م

* الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد ا (ت٧٤٦هـ) .

١١٤- **الوافي بالوفيات**،(تحقيق أحمد الأرناؤط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث ، بيروت , ١٤٢٠ هـ .

* الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .

١١٥- **جامع البيان في تأويل القرآن** ، ط ١، (تحقيق أحمد محمد شاكر) ، مؤسسـة الرسـالة ، ٢٠٠٠ م

* الطنطاوي، سيد

١١٦- **التفسيرالوسيط** ، دار نهضة مصرللطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة ط ٣ / ١٩٨٧ م .

* الطيار، عبد ا بن محمد بن أحمد

١١٧- **الآيات المتشابهات (التشابه اللفظي للآيات، حكم وأسـرار- فوائـد وأحكـام)** ط ١ دار التدمرية، السعودية ٢٠٠٩.

* العاني، مزاحم طالب
١١٨- **دليل الحيران لحفظ القرآن**، دار الإيمان، مصر
* عبابنة ، يحيى و آمنة الزعبي .
١١٩- **علم اللغة المعاصر** ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن ، ٢٠٠٥ م .
* عبد الفتاح، بسيوني .
١٢٠- **علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني** , مكتبة وهبة , القاهرة .
* عبد اللطيف، محمد حماسة .
١٢١- **بناء الجملة العربية** , دار غريب , القاهرة , ٢٠٠٣م .
١٢٢- **التوابع في الجملة العربية** , الناشر مكتبة الزهراء , القاهرة ,١٩٩١م .
١٢٣- **النحو والدلالة** (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي) ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ،٢٠٠٠م
* عبد المطلب , محمد .
١٢٤- **البلاغة والاسلوبية** , ط١, دار الشركة العالمية للنشر، لونجمان , مصر ، ١٩٩٤م .
* عثمان , محمد حسن .
١٢٥- **إعراب القرآن وبيان معانيه** , ط١, دار الرسالة , القاهرة , ٢٠٠٢م .
* العسكري , ابو هلال .
١٢٦- **الفروق اللغوية** , (تحقيق محمد ابراهيم سليم) ، دار العلم والثقافة ، القاهرة .
* ابن عطية الاندلسي ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي (ت ٥٤٢ هـ).
١٢٧- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**, ط ١, (تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد) , دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٩٣م .
* ابن عقيل ، عبد ا بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : ٧٦٩هـ) .
١٢٨- **شرح ابن عقيل** , ط٢٠ , (تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد) ، دار التراث , دار مصر للطباعة ، القاهرة، ١٩٨٠م .
* العكبري , أبي بقاء عبد ا بن الحسين (ت ٦١٦هـ) ,

١٢٩- **إملاء ما من به الرحمن (من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن)**, دار الكتب العلمية , بيروت.

* علوش ، سعيد .

١٣٠- **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٥م .

* العلوي , يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم (ت ٧٤٥هـ) .

١٣١- **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز**, دار الكتب الخديوية مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤م .

* عمر , أحمد مختار .

١٣٢- **علم الدلالة** ، ط ٥، عالم الكتب ، القاهرة , ١٩٩٨م .

* ابو عودة , عودة خليل .

١٣٣- **الترتيل القرأني اول درس صوتي في تاريخ اللغات** , بحث القي في مؤتمر جامعة ال البيت ونشر في مجلة مجمع اللغة العربية في الخرطوم , ٢٠٠٩م .

١٣٤- **من شواهد الاعجاز القرآني** ، ط١, دار عمار للنشر , عمان , ١٩٩٨م .

* عون ، حسن .

١٣٥- **تطور الدرس النحوي** , معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٠م .

* عيد , رجاء .

١٣٦- **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور** , ط٢ , منشأة المعارف , الاسكندرية .

* العيني , محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد بدر الدين (ت٨٥٥هـ).

١٣٧- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** , دار احياء التراث العربي ، بيروت .

* الغلاييني ، مصطفى .

١٣٨- **جامع الدروس العربية** ، ط٣٦، (مراجعة وتنقيح د.محمد اسعد النادري) ، المكتبة العصرية ، بيروت ،٢٠٠٠ م .

* الغرناطي , أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي .

١٣٩- **ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل، في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ,** ط ١ , (تحقيق سعيد الفلاح) , دار الغرب الاسلامي ,لبنان ، ١٩٨٣م .

* الفحام ، صادق ، (ت ١٢٠٥هـ)

١٤٠- **شرح شواهد قطر الندى** ، (دراسة وتحقيق ناصر عبد الإله كاظم دوش) رسالة ماجستير، جامعة القادسية العراق ٢٠٠٢ م .

* الفوزان، عبد ا بن صالح

١٤١- **دليل السالك إلى ألفية ابن مالك** ، ط١، دارالمسلم للنشر والتوزيع ١٩٩٨م

* الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧ هـ) .

١٤٢- **بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز** , ط ٣, (تحقيق الاستاذ محمد النجار) ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة , ١٩٩٦م .

* الفراهيدي , أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ه) .

١٤٣- **الجمل في النحو** , ط١ , (تحقيق فخرالدين قباوة) , ١٩٩٥م .

* القاضي ، محمد .

١٤٤- **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم (رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق)**، ط١، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٩م .

* القرطبي , أبي عبد ا محمد بن احمد (ت٦٧١هـ) .

١٤٥- **الجامع لأحكام القرآن،** (تحقيق هشام سمير البخاري) ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ٢٠٠٣م .

* القزويني ، جلال الدين ابو عبد ا محمد بن سعد الدين ابي محمد عبد الرحمن الخطيب (ت ٧٣٩هـ).

١٤٦- **الايضاح في علوم البلاغة** ، ط ٤ , دار إحياء العلوم , بيروت , ١٩٩٨م .

* قطب , سيد .

١٤٧- **في ظلال القرآن** ، ط ١٠ ، دار الشروق - القاهرة ، ، ١٤٠٢هـ .

١٤٨- **معالم في الطريق** ، ط ٦ , دار الشروق القاهرة , ١٩٩٧م .

* القلموني، أبو ذر

١٤٩- **عون الرحمن في حفظ القرآن،** ط١، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ، ١٩٩٢م.

* قليقلة ، عبدة عبد العزيز.

١٥٠- **البلاغة الإصطلاحية** ، ط ٣ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .

القيسي ، ابي محمد مكي بن ابي طالب (ت٤٣٨هـ) .

١٥١- **مشكل إعراب القران** ، (تحقيق حاتم صالح الضامن) , منشورات وزارة الاعلام , دار الحرية للطباعة , بغداد , ١٩٧٥م .

* أبن القيم الجوزية , ابو عبدا محمد بن ابي بكر (ت٧٥١هـ) .

١٥٢- **بدائع الفوائد** ، ط١،(تحقيق هشام عبد العزيز عطا وآخرون)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة, ١٩٩٦م.

١٥٣- **التفسير القيم**، ط١ (جمع واعداد الشيخ محمد أويس الندري تقديم الشيخ محمد حامد الفقي ضبطه وحققه رضوان جامع رضوان) دار ابن هيثم، القاهرة، ٢٠٠٥ م .

* أبن كثير, ابي الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ).

١٥٤- **تفسير القرآن العظيم** , ط٢, (تحقيق سامي بن محمد سلامة) ، دار طيبة للنشر والتوزيع , ١٩٩٩.

* الكردي ، عزالدين محمد أمين سليمان .

١٥٥- **التقديم والتأخير في القرآن الكريم** ، ط١، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

* الكسائي ، ابو الحسن .

١٥٦- **متشابه القرآن** ،ط١،(تحقيق صبيح التميمي) ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس ، ١٩٩٤م .

* الكرماني، محمود بن حمزة .

١٥٧- **أسرار التكرار في القرآن**، (دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق أحمد عبد التواب عوض) ، دار الفضيلة .

١٥٨- **البرهان في توجيه متشابه القرآن** , ط١, (تحقيق عبد القادر أحمد عطا) ، دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٨٦م .

١٥٩- **البرهان في توجيه متشابه القرآن** , ط٣, (تقديم ومراجعة أحمد عز الدين عبد ا خلف ا) ، دار الوفاء، مصر , ٢٠٠٧م .

* لاشين ، عبد الفتاح .

١٦٠- **التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر**، دار المريخ ،السعودية ١٩٨٠م

١٦١- **صفاء الكلمة** , دار المريخ للنشر ، السعودية , ١٩٨٣م .

* لاشين ,عبد الفتاح و درويش الجندي،

١٦٢- **دراسة في نظرية النظام** ، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة نهضة، مصر، ١٩٦٠م .

* الماوردي , أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) .

١٦٣- **النكت والعيون (تفسير الماوردي)** , تحقيق السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم , دار الكتب العلمية , بيروت .

* المبرد ،ابي العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) ،

١٦٤- **المقتضب** ، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة ، الناشر لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ،١٩٩٤ م.

* مثنى ، أبي عبيدة معمر بن المثنّى التيمي البصري (ت ٢٠٨هـ) .

١٦٥- **مجاز القرآن** ، (تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

* المخزومي ، مهدي .

١٦٦- **في النحو العربي نقد وتوجيه** ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ م .

١٦٧- **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**، ط ٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، ١٩٥٨م .

* المرادي، الحسن بن قاسم (ت٧٤٩ هـ) .

١٦٨- **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك** , (تحقيق عبد الرحمن علي سليمان)

١٦٩- **الجنى الداني في حروف المعاني** , ط ١ (تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الاستاذ محمد نديم فاضل) ، دار الكتب العلمية ، بيروت , ١٩٩٢م .

* المرزوقي , أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ) .

١٧٠- **شرح ديوان الحماسة** , ط ١, دار الكتب العلمية , بيروت ٢٠٠٣ م .

* المشاهرة , مشهور موسى .

١٧١- **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** , أطروحة دكتوراه , الجامعة الأردنية ، عمان , ٢٠٠٤ م .

* مصطفى، ابراهيم .

١٧٢- **إحياء النحو** ، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

* الملائكة، سراج صالح

١٧٣- **دليل الآيات متشابهة الألفاظ** ، ط ٤ / مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ٢٠٠٦ .

* مطلوب , احمد .
١٧٤- **بحوث بلاغية** ، مطبوعات المجمع العلمي ، بغداد ، ١٩٩٦م .
١٧٥- **عبد القاهر الجرجاني ، بلاغته ونقده**. وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م
* المسيري، منير محمود
١٧٦- **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م
* المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم
١٧٧- **التبيان في تفسير غريب القرآن**، ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا ـ مصر /١٩٩٢ ، تحقيق الدكتور فتحي أنور الدابولي
* أبو المكارم، علي .
١٧٨- **أصول التفكير النحوي** ، ط ١، دار غريب للطباعة ، القاهرة، ٢٠٠٦م .
١٧٩- **التراكيب الاسنادية** (الجمل الضرفية – الوصفية – الشرطية) ، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
١٨٠- **الجملة الاسمية** ، ط ١ ، مؤسسة المختار للنشروالتوزيع ، القاهرة ،٢٠٠٧ م.
١٨١- **الجملة الفعلية** ، ط ١، مؤسسة المختار للنشروالتوزيع ، القاهرة ،٢٠٠٧ م.
١٨٢- **الظواهر اللغوية في التراث النحوي** ، دار الغريب ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
* ابن منادي، ابو الحسن أحمد بن جعفر .
١٨٣- **متشابه القرآن** ، (تحقيق الشيخ عبد ا الغنيمان) ، مطبوعات الجامعة الاسلامية , المدينة المنورة ، ١٤٠٨ هـ .
* ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) .
١٨٤- **لسان العرب** , ط١ , دار صادر , بيروت .
* أبو موسى ، محمد حسنين .
١٨٥- **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات اللغوية** ، دار الفكر العربي
* موسى، محمد السيد .
١٨٦- **الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول** . بحث مأخوذ من الأنترنيت على الرابط التالي : (http://www.٤shared.com/file/١٤١٥٥٤٩٠٤/fe٥٠c٧١f.html)
* الميداني ،عبد الرحمن حسن حبنكة

١٨٧- **البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها** ، ط١، دار القلم+ الدار الشامية دمشق، ١٩٩٦ م
* ابن النديم , محمد بن إسحاق أبو الفرج .
١٨٨- **الفهرست** , دار المعرفة , بيروت , ١٩٧٨ .
* النورسي ، بديع الزمان سعيد (ت ١٢٩٤هـ) .
١٨٩- **إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز** ،ط١، (ترجمة وتحقيق احسان قاسم الصالحي) ، دار الانبار للنشر ، العراق ، ١٩٨٨م.
١٩٠- **المعجزات القرآنية** ، ط ١، (ترجمة وتحقيق إحسان قاسم الصالحي)، دار الأنبار للنشر, العراق،١٩٩٠م.
* النوري, محمد .
١٩١- **علم أصوات العربية** ، ط٢ , منشورات جامعة القدس المفتوحة , ٢٠٠٣م ,
* النيسابوري , أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي .
١٩٢- **اسباب النزول** , الناشر مؤسسة الحلبي، القاهرة .
* النيسابوري , نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي .
١٩٣- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** , ط ١, (تحقيق الشيخ زكريا عميران) , دار الكتب العلمية , بيروت ، ١٩٩٦م .
* النيسابوري، أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري .
١٩٤- **صحيح مسلم** , دار الجيل دار الآفاق الجديدة , بيروت .
* النيسابوري , محمد بن عبد ا أبو عبد ا .
١٩٥- **المستدرك على الصحيحين** , ط١،(تحقيق مصطفى عبد القادر عطا), دار الكتب العلمية , بيروت ، ١٩٩٠م .
* أبن هشام الانصاري , أبي محمد عبد ا جمال الدين (ت٧٦١هـ) .
١٩٦- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** ، ط ٥، دار الجيل – بيروت ١٩٧٩ م .
١٩٧- **شرح قطر الندى وبل الصدى** , ط ١١, (تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد) , القاهرة ، ١٣٨٣هـ.
١٩٨- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط٦ ،(تحقيق د.مازن المبارك ومحمد علي حمد ا)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م .

* الهمذاني , القاضي عبد الجبار بن أحمد .

١٩٩- **تنزيه القرآن عن المطاعن** , دار النهضة الحديثة , لبنان .

* الواحدي , علي بن أحمد .

٢٠٠- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** , ط ١, (تحقيق صفوان عدنان داوودي), دار القلم الدار الشامية دمشق , بيروت , ١٤١٥ هـ .

* الوراق، ،أبي الحسن محمد بن عبد ا .

٢٠١- **علل النحو** ، ط١، (تحقيق محمود جاسم محمد الدرويش) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٩٩٩م .

* ياسين , عبد المجيد .

٢٠٢- **المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات** , ط١, دار ابن حزم , بيروت , ٢٠٠٥ م .

* ياقوت ، احمد سليمان .

٢٠٣- **ظاهرة الاعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم** ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٤م .

* يعقوب , اميل .

٢٠٤- **المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية** , ط١ , دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٩٦ م

* ابن يعيش، موفق الدين يعيش ابن علي

٢٠٥- **شرح المفصل** ، إدارة الطباعة المنيرية – مصر

Summary

This study concludes the (Advancement and deferment in quranic analogous verses semantical lingual study) phenomena . In the introduction , the researcher referred to the importance of this subject and the reasons to write about it . He also referred to the ex-studies in this field and different between them .

The first section , which is a theoretical study , concludes two parts: the first part is about (advancement and deferment) , and the second part is about (Analogues lingual) and the practical side comes to treat and analyse the analogues verses verbally in the rest three sections

The second section is about the (Advancement and Deferment) . The third section treats (Advancement and Deferment) related to ( ) , where as the fourth section dealt with (Advancement and Deferment) in( )

The study concludes these results ;

With a lot of semantic and verbal studies about Quran but It remains the enormous resource which never ends

And these studies disclose that there are verses analogue verses that researchers aren't aware of them because they study them generally . In addition these study will enable us to know about the secrets of structures either they came with order or not , so we know the structure of speech as Allah revealed it and of course He is the creator of languages and nations . The study also discloses the importance of connecting the two sides semantic and syntactic for analysing new sides in miracles of verses phenomena through the meeting between them .The study in these will be endless and there is another metaphoric phenomena that could be studied during these application to enrich the scientific research and Quranics studies to serve Allah's Holly Quran